شرب الكأس

تأليف

العارف الربانى والهيكل النورانى

شيخ وقته وأوانه حامل لواء العارفين

سيدى

الأستاذ الشيخ عبد المحمود نور الدائم

رضى الله عنه

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

مكتبة القاهرة

مكتبة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ شيخُ وَقتِه وأوانه حَاملُ لواء العارفينَ في زمانه العارف الرباني ، والهيكلُ النُوراني والدُنا وشيخنا وأستاذُنا سَيِّدي الأستاذُ الشيخ عَبْدُ المحمودِ ، ابن الأستاذِ الكاملِ سيِّدي الشيخِ نور الدايم ، بنِ القُطْبِ الغوثِ الشهير ، سَيِّدي وأستاذي وشيخ مشايخي الشيخ أحمد الطَّيِّب بنِ البشير ، الخلوتيّ القادريّ السمانيّ ، نفعنا اللهُ بهِ وبعلومهِ آمين .

• • •

حمداً لمن أفاضَ على أوليائه ، بمعارف حيَّا إيحائه ، وتجلَّى عَلَى قلوبهمْ بصفاته وأسمائه ، واختصَّهُم بقربه وَحُبِّهِ ومشاهدتهِ وَوَلاَئِه ، أسفرَلهم البراقعَ عَن عرائسِ آلائه ، ومخبئاتِ نعمائه ، وصلاةً وسلاماً على سيد أهل أرضهِ وسمائه ، الفيضِ على العالمِ مِنَ الأزَلِ إلى انتهائه ، سلطانِ سلاطينِ رُسُلِه وأنبيائه ، سَيِّدِنا ومولانا محمد مظهر الحق الظَّاهرِ بنوره وضيائه ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ المستهدينَ مِن نور أحْشَائه ، الوَارِثينَ لجلائلِ حِكَمِه وزَكائه ، وأصحابِهِ المصحبين لرفايفِ أبنائه ، نجومِ الاهتدا لمن ضل عن سَنَنِ الحق بأهوائه .

أما بعد ، فهذا ديوانٌ عَطِير ، ودرٌ نضير ، قد تَضَمَّنَ مِن الحقائق رَمْزًا وَمِن الدقائق كَنْزًا ومن المواجيدِ رِيَاضًا مُونقَة ، ومن المعارفِ حدائق مُحْدِقة ، ومن العبارات غدْرَاناً مُتَدَفِّقَة ، ومن الإشاراتِ أساليب مُشْرِقَة ، ومن

النصائح ثماراً ، ومن الحكم أزهاراً ، لا أدرى أنه فصل البديع ، أم فصل الربيع ، أم رياض أزهار ، أم غياض أفكار ، تجرى من تحتها الأنهار ، وهو جدير بأن يسترشف السمع من معانيه مداماً ، ويفضله المنصف على العقود نظاماً ، كيف لا وهو منهل عذب لأى وارد ، ومربع أبهى لكل وافد ، وما عليه إن تعامت عنه عيون الأوباش ، فعند الأنوار تعمى نواظر الخفاش .

فنواظر الخفاش تعمى عندما   تبدو الشموس وتظهر الأنوار

وجحود الموجود ، لايدل على أنه مفقود .

وجحود من جحد الصباح إذا بدا   من بعد ما اشتهرت له أضواء
ما دل أن الصبح ليس بطالع   بل مقلة قد أنكرت عمياء

سميته بالبرق اللميع ، فى ظلام الوهم المنيع ، أو نسمات الأسحار ، ونشر الأعطار ، أو شرب الكاس ، فى حضرة الأكياس ، والله أسأل ، وبنبيه صلى الله عليه وسلم أتوسل ، أن ينفعنى بما فيه من المعارف ، وما اشتمل عليه من التحف واللطائف ، وما إليه أوى من العلوم الذوقية ، والأحوال الشوقية ، والأسرار الملكوتية ، والأنفاس القدسية ، والمعانى الأنسية ، وكل سامع له أو ناظر بحسن نية ، إنه على ما يشاء قدير ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

(قال رضى الله عنه)

كَأسٌ مِنَ الخمرِ فى الحاناتِ بيْضَاء ... بِهَا لَقَدْ سَكِرَتْ قومٌ أَجِلاَّء
لاَ غَوْلَ فِيهَا وَلاَ نزقٌ يُعَابُ بِهِ ... صبٌّ له مِن مَعَانى رَمْزِهَا البَاء
بِكْرٌ عجُوزٌ حُمَيَّا عُتِّقَتْ قِدَمًا ... رَاحٌ سُلافٌ وَسَلْسَالٌ وَصَهْبَاء
فالزَّمْهَرِيرُ سَنَاهُ دُونَهَا وَكَذَا الـ ... ذُكَاء إِذْ مَا أَدَارَتْهَا الأَدِلاَّء

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

افْتَحْ لِبَابِ كَرِيمٍ أَنْتَ رَاجِيهِ ... عَالَهُ وَهُوَ يَرْضَى مِن مَرَاضِيهِ
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِن أَحْوَالِ نَفْسِكَ مَعْ ... دَمْعٍ عَلَى الخَدِّ بالأَحْزَانِ تُجْرِيهِ
وَنَاجِهِ فى ظَلاَمِ اللَّيلِ مُنْكَسِرًا ... ذَلِيلَ نَفْسٍ خُشُوعًا إِذْ تُنَاجِيهِ
فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ ماءٍ نَجَاسَتُهُ ... مَمْلُوءَةٌ وَطَرِيقُ الحَقِّ تُخْلِيهِ
قَدْ عِشْتَ فى هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى تَعَبٍ ... وَعِندَ مَوْتِكَ لَيْسَ الحَالُ تدرِيهِ
أَوَاهُ أَوَاهُ مِن نَفْسٍ عَوَاقِبُهَا ... مَجْهُولَةٌ عِنْد مَنْ قد رُكِّبَتْ فِيهِ
مَعَ ذا تُوَافِقُهَا فِيمَا لَه قَبِلَتْ ... مِن كُلِّ مَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُرْضِيهِ
فَمَا جَوَابُكَ عَمَّا أَنت فَاعِلُهُ ... يومَ القِيَامَةِ إِذْ لاحَتْ دَيَاجِيهِ
وَاللهُ حاكِمٌ وَالمُخْتَارُ شَاهِدُهُ ... وما يُرِيدُ تعَالَى فِيكَ يُمْضِيهِ
وَالسِّتْرُ مَكْشُوفٌ وَالأَهْوالُ ظَاهِرَةٌ ... وَالذَّنبُ تقْرَؤُهُ بِاللَّفظِ تُبْدِيهِ
والسِّجْنُ نَارٌ وبِالأَحْجَارِ مَوْقَدَةٌ ... مَامُورَةٌ بِاحْتِرَاقِ جِسْمِ عَاصِيهِ
لا عُذْرَ يَنفَعُ عِنْدَ الحَرْقِ لاَ وَلَدٌ ... لا وَالِدٌ لِبَنِيهِ لاَ وَأَهْلِيهِ
فاليَوْمَ لاَ نَسَبٌ للمرءِ وَهُوَ يقِي ... إِلَّا التُّقَى وَسِوَاهُ لَسْتُ أَرْوِيهِ

وَبالتَّوَاجُدِ فى الأيَّامِ أَنْجِمِهَا ... عَلَيْهِ عَضٌّ وَجَانِبْ غَيْرَ أَهْلِيهِ

كَذَاكَ ذِكْرٌ مَدَى الأوقَاتِ مُعَظِّمًا ... لِلقَلْبِ من شُرْبِ أَهْلِ اللهِ يَسْقِيهِ

وَذَوْبِ لَحْمٍ بِجُوعٍ مَعْ مَخَافَتِهِ ... وَسَهَرِ عَيْنٍ دَوَامًا فى مَرَاضِيهِ

وَعُزْلَةٍ عن جَمِيعِ الغَافِلِينَ كَذَا ... صَمْتٍ بِهِ الرُّوحُ يَنْمُو فى مَرَاقِيهِ

إِنْ رُمتَ لله وَصْلاً فى الزَّمَانِ بِهِ ... تَفْنَى عَنِ الكَوْنِ قَاصِيهِ وَدَانِيهِ

فاشْهَدْهُ فى كلِّ شَيْءٍ قد تَرَاهُ وَلا ... عَن ذاكَ تَغْفَلُ وَاغْرَقْ فى تَجَلِّيهِ

خَيَالُ فِكْرِكَ لاَ تَعْمَلْ بِهِ أبدًا ... وَلاَ بِكَشْفٍ فَلَمْ تَظْهَرْ مَعَانِيهِ

إِلَّا إِذَا وَافَقَ الشَّرْعَ القَوِيمَ عَلَى ... سُهُولَةٍ فَمَرِيضَ القَلْبِ يَشْفِيهِ

وَسَيْرَكَ اجْعَلْهُ فى أَطْوَارِ نَفْسِكَ مَعْ ... عَزْمٍ قَوِىٍّ تَذُوقُ النَّفْسُ حَالِيهِ

فَالْوَقتُ كَالسَّيْفِ فَاقْطَعْهُ عَلَى عَجَلٍ ... عَلَى رَكَائِبِ أَشْوَاقٍ وَتَنْبِيهِ

وَانْظُرْ لِمَن لَكَ فى كلِّ الحَيَاةِ كَذَا ... ما بَعْدَهَا نَاظِرٌ حَتَّى تُلاَقِيهِ

منهُ اسْتَحِى مِنْ أُمورٍ وَهِىَ تُغْضِبُهُ ... وَهْوَ العَلِيمُ بِمَا تُبْدِى وَتُخْفِيهِ

وَاخْدُمْهُ سِرًّا وَجَهْرًا عَلَّ يَخْدُمَكَ العِزُّ الرَّفِيعُ عَلَى ذُلٍّ بِأَيْدِيهِ

وَلا تَكُنْ لِلسِّوَى ماعِشْتَ مُلْتَفِتًا ... إِنَّ الْتِفَاتَكَ نُورَ القَلْبِ يُطْفِيهِ

فَإِن بَدَا لَكَ بَرقٌ فى المَسِيرِ فَلاَ ... تَنْظُرْ إِلَيْهِ بِحُبٍّ فَالرَّدَى فِيهِ

فَالخَالِقُ اللهُ مَولانَا غَيُورٌ فَلاَ ... يَرَاكَ مَعْ أَىِّ شَىْءٍ لَيْسَ رَاضِيهِ

لِحَىِّ سَلْمَى فَبَالِغْ فى السُّرَى شَغَفًا ... وَانزِلْ هُنَاكَ وَبِالأَشْوَاقِ حَيِّيهِ

وَقَيِّدِ النَّفْسَ عن إِطْلاَقِهَا أَدَبًا ... وَارْمُقْ بِعَيْنِكَ حُسْنًا وَهْوَ حَاوِيهِ

هُنَاكَ قَدْ تَجِدُ الأَبْطَالَ خَاضِعَةً ... لِوَجْهِ سَلْمَى وَنُورًا طَابَ رَائِيهِ

بِهِ فَقَدْ هَامَ أَرْبَابُ الطريقِ بِهِ ... تَاهُوا أُصَيْحَابُهُ بالشوقِ فى التيهِ

لاَ تَشْغَلِ القلبَ إلا بالجمـــالِ ولاَ ... تَهْوَى سِوَاهُ بحَالٍ أَوْ بتنويهِ

وَابْرِزْ صِفَاتِ التَّجَلِّى فيكَ مُنْدَهِشاً ... وَمن لهُ رَامَ بالإســنادِ فارْوِيهِ

زُرْ مَنْ هُنَاكَ عَلَى الحَانَاتِ قد عكَفُوا ... عَلَى شَرَابٍ طَهُورٍ طَابَ ســاقِيهِ

فإن تَغَنَّى مُغَنٍّ مِـــلْ بِهِ طَرَبَا ... وَاسْتَعْذِبَنْ عَلَى وَجْـــدٍ مَغَانِيهِ

وَإِنْ تَغَنَّتْ حَمَامَاتُ اللَّوَى سَحَرًا ... فَابْثُثْ لحالِ خَفِيِّ الحُبِّ يحْكيهِ

وَبَعْدَ هـذَا لِمِفتَاحِ الفَلاحِ فَخُذْ ... وَافْتَحْ لِطَلْسَمٍ سِرٍّ سِرَّ مَا فيــهِ

وَانقلْ إلى هـذهِ الأَحْشَاذِ خَايِرَهُ ... وَاكْتُمْ فلاكَتْمِ سِرٌّ عِنْدَ أَهْلِيهِ

وَدُمْ عَلَى السَّيْرِ مَعْ هَذَا وَكُنْ رَجُلاً ... مُلاَزِمَ الشَّرْعِ تَرَّاكاً مَنَاهِيهِ

فى السَّيْرِ فَاجْهَدْ بِهِ كُنْ صَاحِياً وَبِهِ ... فَاشْرَبْ لِسَلْسَالِهِ وَاطْرَبْ بِنَادِيهِ

فيَالَهُ مِنْ شَرَابٍ لاَ يَزُولُ وَلَوْ ... بالمَوْتِ مِنْ ذَايِقٍ فى النَّاسِ صَافِيهِ

وَإِنْ لَكَ السَّاقِ قَدْ أَتَى حَدِيثَهُ قُلْ ... عِنْدَ السُّكُوتِ لَهُ يَا سَاقِياً إِيهِ

وَإِنْ رُزِقتَ كَمالاً دَعْ مُقَارَنَةً ... لَهُ بِشَـــطْحٍ وَوَهْمٍ أَوْ بِتَشْبِيهِ

بِصَنْعَةِ الكيمياءِ ابْرُزْ عَلَى رشدٍ ... وَمَنْ أَتَاكَ بِصَفْوِ القَلْبِ فَاغْنِيهِ

وَاغْلِقْ لِبَابِكَ عمن كَانَ ذَا صَمَمٍ ... أَوْ أَبْكَمٍ لَيْسَ معنَى الحَقِّ يَدْرِيهِ

يَرَى الشموسَ كمِثْلِ اللَّيْلِ مظلمةً ... وَالمَشْهَدَ كَالصَّبْرِ إِذْ مَا حَلَّ فى فِيهِ

كَأَنه وَهْوَ خُفَّاشٌ فَلَيْسَ لَهُ ... بَصِـــيرَةٌ نُورُهَا لِلحَقِّ يُدْنِيهِ

بِقَلْبِهِ يَزِنُ الأَبْطَالَ عَنْ عَمَهٍ ... يُلْقَى لِمَا فى جَحِيمِ البُعْدِ يُلْقِيهِ

كَأَنَّهُ قَادِرٌ وَالعَجْزُ شِـــيمَتُهُ ... كَأَنَّهُ عَالِمٌ وَالجَهْـــلُ مُخْزِيهِ

فَوْقَ إِلَيْهِ سِهَامًا مِنْكَ ضَارِيَةً ... أَوْ دَعْهُ يَرْفُلُ فِى أَثْوَابِ مُغْنِيهِ

قَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ لِلْأَقْوَامِ مُنْتَمِيًا ... فِى أَىِّ مَا بَلَدٍ دَانٍ وَقَاصِيهِ

فَلَا وُصُولَ سِوَاهُمْ لِلْإِلَهِ وَلَا ... تَهْذِيبَ نَفْسٍ فَرَبُّ الْعَقْلِ يَحْكِيهِ

هُمْ سَادَةٌ رَضَعُوا لِلْغَيْبِ مِنْ قِدَمٍ ... وَهُمْ غَوَادِيهِ أَيْضًا هُمْ سَوَارِيهِ

فَرَوْضُ أُنْسِى بِهِمْ شُقَّتْ كَمَائِمُهُ ... وَهُمْ شَذَاهُ إِلَىَّ الْحُبُّ يُهْدِيهِ

هُمْ نَازِحُونَ وَلَكِنْ فِى الْفُؤَادِ فَهُمْ ... دَوَاءُ قَلْبِى سِوَاهُمْ مَنْ يُدَاوِيهِ

مَا لَذَّ لِى غَيْرُهُمْ حَتَّى أَمِيلَ لَهُ ... أَوْ حُبُّهُ فِى الْحَشَا شَوْقًا فَأَطْوِيهِ

فَلَوْ وَهَبْتَ لَهُمْ رُوحًا وَمَا مَلَكَتْ ... يَدَاكَ كَانَ قَلِيلًا عِنْدَ أَهْلِيهِ

أَسْبِلْ عَلَى الْخَدِّ دَمْعًا عِنْدَ فُرْقَتِهِمْ ... مَعَ التَّأَوُّهِ فِى لَيْلٍ وَتَالِيهِ

وَانْشُدْ فُؤَادًا إِذَا أَبْصَرْتَ رَبْعَهُمُو ... بَيْنَ الْخِيَامِ وَدَمْعَ الْجَفْنِ فَاذْرِيهِ

لَا تَبْتَغِى غَيْرَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِنْ بَدَلٍ ... إِنْ تَبْتَغِى غَيْرَهُمْ قَدْ تُهْتَ فِى التِّيهِ

مَنْ فِيهِ شِرْكٌ خَفِى فِى الْفُؤَادِ ثَوَى ... كَذَاكَ عُجْبٌ وَكِبْرٌ كَامِنٌ فِيهِ

وَحُبُّ مَالٍ وَجَاهٍ مَعْ تَلَذُّذِهِ ... بِغَيْرِ مَوْلَاهُ فِى بَيْتٍ وَنَادِيهِ

فَكَيْفَ مِنْهُ دَوَاءٌ لِلنُّفُوسِ يُرَى ... لِطَالِبِ الْخَيْرِ مِمَّا فِيهِ يَشْفِيهِ

هَذَا مُحَالٌ وَمَنْ أَهْوَاؤُهُ غَلَبَتْ ... صُمَّتْ مَسَامِعُهُ عَنْ حُسْنِ تَوْجِيهِى

وَصَلِّ رَبِّى عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا ... مَا فَاحَ زَهْرُ رِيَاضٍ فِى رَوَابِيهِ

وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا غَنَّتْ بِوَادِ قُبَا ... سَوَاجِعٌ أَوْ بِسَلْعٍ أَوْ نَوَاحِيهِ

(٦٨)

(وقال رضى الله عنه)

قَلْبِى بِلَيْلَى هَائِمٌ وَمُوَلَّعٌ ... وَالْجَفْنُ إِنْ ذُكِرَتْ يَفِيضُ وَيَدْمَعُ

شَغَلَتْ فُؤَادِيَ مُذْ رَأَيْتُ جَمَالَهَا وَلِعَاذِلِي أُذْنِي فَلَسْتُ تَسْمَعُ

وَتَكَادُ مَا هَبَّتْ عَلَيَّ نَسَايِمٌ مِنْ أَرْضِهَا رُوحِي غَرَامًا تُنْزَعُ

قَلِقٌ إِذَا مَا لَاحَ مِنْ تِلْقَائِهَا بَرْقٌ لَدَى جَوْفِ الدُّجَى يَتَلَمَّعُ

وَأَنُوحُ مَا نَاحَتْ حَمَائِمُ أَيْكَةٍ أَوْ سَاجِعَاتٌ فِي الْخَمَائِلِ تَسْجَعُ

وَإِذَا ذَكَرْتُ جَمَالَهَا ضَحْوَاء لَمْ أَشْرَبْ وَلَا فِي اللَّيْلِ عَيْنِي تَهْجَعُ

وَبِهَا أَنَا مَجْنُونُ عِشْقٍ مِثْلَ مَنْ جُنُّوا بِهَا قِدْمًا إِلَى أَنْ شُنِّعُوا

لَا أَرْتَضِي غَيْرَ الْجُنُونِ بِحُبِّهَا دُنْيَا وَفِي قَبْرِي إِذَا مَا أُضْجَعُ

وَأَرَى بِهَا ذُلِّي وَمَوْتِي جَائِزًا وَجُنُونَ قَلْبِي وَالصَّبَابَةَ تَصْنَعُ

يَا طَالَمَا قَدْ كُنْتُ بَيْنَ أُولِي الْهَوَى أَشْقَى وَطَوْرًا بَيْنَهُمْ أَتَوَجَّعُ

كُلٌّ لَهَا عَبْدٌ مُطِيعٌ وَالَّذِي تَرْضَاهُ بِي أَرْضَاهُ حَقًّا لِي اسْمَعُوا

فَأَنَا عُبَيْدُ عَبِيدِهَا وَأَنَا لَهُمْ مُتَذَلِّلٌ مُتَأَدِّبٌ مُتَخَضِّعُ

مَاذَا عَلَيَّ إِذَا تَرَكْتُ لِحُبِّهَا زَوْجًا وَأَوْلَادًا وَمَنْ لِي يَنْفَعُ

مَاذَا عَلَيَّ إِذَا رَفَضْتُ مَحَبَّةً بَيْنَ الْعَوَاذِلِ فِي هَوَاهَا وَأُولِعُ

مَاذَا عَلَيَّ إِذَا لِسَانِي دَائِمًا يَشْدُو بِهَا مَعْ دَمْعِ عَيْنٍ يَهْمَعُ

مَلَأَتْ لِرُوحِي فِي الزَّمَانِ صَبَابَةً طَوْرًا أَحِنُّ وَتَارَةً أَتَرَوَّعُ

وَأَغَارُ مِنْ صَبٍّ يَهِيمُ بِحُبِّهَا أَوْ حُسْنِهَا أَوْ مَنْ إِلَيْهَا يُهْرَعُ

لِلْعِشْقِ أَحْوَالٌ يَضِنُّ بِهَا الْفَتَى عَنْ كُلِّ مَا لَيْسَتْ بِقَلْبِهِ تُطْبَعُ

لِلْحُبِّ عِنْدَ أُهَيْلِهِ طُرُقٌ بِهَا هَامُوا وَفَاهُوا وَالْمَحَبَّةُ تَلْذَعُ

وَشُجُونُ قَلْبِي فِي الْغَرَامِ كَثِيرَةٌ لَمْ يَدْرِهَا غَيْرُ امْرِئٍ لِي يَتْبَعُ

طَوْراً تَرَانِي هَائِمًا بِجَمَالِهَا ... طَوْرًا لِعِزِّ جَلَالِهَا أَتَخَضَّعُ
طَوْرًا تَرَانِي مُنْكِرًا لِحُوَيْلَتِي ... طَوْراً فَأُثْبِتُهَا وَأَخْفِضُ أَرْفَعُ
طَوْرًا أَمُوتُ هَوًى وَطَوْراً إِنَّ ذَا ... قَلْبِي يَخَافُ وَبَعْدَ ذَا يَتَشَجَّعُ
طَوْراً أُغَازِلُ فِي مَحَاسِنِهَا الَّتِي ... أَسَرَتْ جَمِيعَ مَنْ بِهَا قَدْ مُتِّعُوا
طَوْراً أَظَلُّ بِبَابِهَا مُتَخَشِّعًا ... طَوْراً لَهُ عِنْدَ اشْتِيَاقِي أَقْرَعُ
سَهِرَتْ عُيُونِي فِي اللَّيَالِي بِحُبِّهَا ... وَأَهِيمُ مَا لَاحَتْ بُرُوقٌ لُمَّعُ
حُبِّي لَهَا وَلِمَنْ غَدَا فِي حُبِّهَا ... دَنِفًا كَئِيبًا لَيْسَ وَقْتًا يُقْطَعُ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي حَالَتِي فِي حُبِّهَا ... لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي مُوجَعُ
فَاللَّوْمُ يَحْلُو عِنْدَ عِشْقِي ذَاتَهَا ... وَالحَرْبُ هَذَا وَالسُّيُوفُ القُطَّعُ
وَضَلَالَتِي فِيهَا لَدَيَّ هِدَايَتِي ... وَالمُرُّ يَحْلُو إِذْ لَهُ قَدْ أَجْرَعُ
عَجَبًا لِأَسْرَارٍ بَدَتْ لِيَ فِي الدُّجَى ... مِنْهَا وَعُذَّالِي جَمِيعًا هُجَّعُ
لَوْ أَنَّهَا كَشَفَتْ دُجًى لِلِثَامِهَا ... صَارَ الدُّجَى كَغَزَالَةٍ إِذْ تَطْلُعُ
نَارٌ وَنُورٌ جَنَّةٌ تَجْرِي لَنَا ... مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارُ فَيْضٍ تُكْرَعُ
هِيَ جُنَّةٌ حَقًّا تَقِي لِمُحِبِّهَا ... مِنْ كُلِّ خَطْبٍ أَوْ هُمُومٍ تُفْزِعُ
هِيَ حَضْرَةٌ قُدْسِيَّةٌ صَمَدِيَّةٌ ... كَأْسَاتُهَا فِي شُرْبِهَا تَتَشَعْشَعُ
هِيَ حَضْرَةٌ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهَا النُّهَى ... هِيَ جَيْشُ حَقٍّ بِالبَوَاتِرِ يَقْطَعُ
هِيَ آيَةٌ وَعَلَامَةٌ وَإِشَارَةٌ ... وَعِبَارَةٌ تُشْجِي النُّفُوسَ وَتَلْسَعُ
هِيَ أَنْجُمٌ هِيَ بَدْرُ لَيْلٍ حَالِكٍ ... هِيَ رَوْضَةٌ لِلنَّاظِرِينَ تُمَتِّعُ
هِيَ دُرَّةٌ هِيَ جَوْهَرٌ يَاقُوتَةٌ ... وَهِيَ النُّهَى وَمَنَاظِرٌ وَالمَسْمَعُ

هي دية تحيي القلوب هي التي ... بجمالها هام الرجال الأربع
ومحمد السمان شيخ طريقنا ... والطيب القطب الشهير المنبع
هي كعبة الحسن التي طافت بها ... أهل السما والصالحون الركع
هي عقل كل الكائنات هي التي ... عمرت ببهجتها الديار البلقع
عرش وكرسي وكنز طلسم ... نور لدى جوف الدياجر يسطع
فالأسد أيضا والملوك جميعهم ... تخشى لمن بجلالها متدرع
خدام ليلى يا لهم من فتية ... نظراتهم لأولى التجبر تقمع
خدام ليلى يا لهم من سادة ... في روضهم كل الخلائق رتع
فهم الصراط المستقيم هم الذى ... صاروا عيونا فى البسيطة تنبع
وهم الملوك وغيرهم ليسوا كهم ... وهم الخلائف للأولى والمفزع
ولهم لدى يوم التناد شفاعة ... لجميع معتقد إليهم يرجع
لا خير فيمن ليس يصحبهم ولا ... منهم لأسرار المعارف يسمع

(٥١)

(وقال رضى الله عنه)

صرح بمن تهوى بدون توقف ... والقلب عن عذل العواذل إصرف
واعطف على ذاك الحمى بصبابة ... وتخضع وتخشع وتلطف
واجر المدامع فى الدياجر ذاهبا ... عن كل شىء عن هنالك مصرف
رو الفؤاد من الظما بسلافة ... تمحى بشربتها الرسوم وتنتفي
قد عتقت من قبل أملاك السما ... فى دنها فى حضرة الغيب الخفي
كانت ولا كون ولا كرم ولا ... حان ولا شاد بحالي الأحرف

خمرٌ بها سَكِرَ النَّبِيُّونَ الكِرا   مُ كَذَا المَلَائِكُ سَكْرَةً بِتَعَرُّفِ

رَقَّتْ بِرِقَّتِهَا الرَّقَايِقُ وَارْتَقَتْ   عَن وَصْفِ كُلِّ مُدَرِّسٍ وَمُصَنِّفِ

أَنَسَ الفؤَادُ بِذِكْرِهَا وَبِذِكْرِهَا   كَمْ مَالَ نَشْوَانًا بِهِ الصَّبُّ الوَفِي

قَدْ قُدِّسَتْ وَتَوَحَّدَتْ وَتَفَرَّدَتْ   وَتَلَاعَبَتْ طَرَبًا عَنْ قَدْ تَصْطَفِي

لَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِ الأَحِبَّةِ بَعْدَهَا   غَزَلٌ بِعِزَّةَ أَو هَوَى بِمُهَفْهَفِ

وَبِأَيْمَنِ الوَادِي المُقَدَّسِ كَمْ بِهَا   قَدْ قُتِّلَتْ أَقْوَامُ عِشْقٍ دُونَ فِي

وَانْظُرْ إِلَى السنطيرِ كَمْ يُومِي لهَا   وَالجَنْكِ وَالطُّنْبُورِ إِيمَاءً يَفِي

لَو أَنَّ رَاهِبَهَا تَلَا فِي دَيْرِهَا   إِنجِيلَهَا لَاهْتَزَّ كُلُّ المُرَّفِ

وَلَئِنْ دَنَوْا مِنْهَا العَوَاذِلُ لَحْظَةً   لَتَهَتَّكُوا سُكْرًا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

لِلَّهِ مِنْ خَمْرٍ وَلَوْ يَوْمًا عَلَى   حَانَاتِهَا مَرَّ امْرُؤٌ لَم يَصْدِفِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ قَصَدُوا أَذَى   وَرَدَى لِشَارِبِهَا فَلَمْ يَتَخَوَّفِ

تَخْشَى المُلُوكُ جَمِيعُهُمْ سَطَوَاتِهِ   وَتُطِيعُهُ الأَيَّامُ غَيْرَ تَوَقُّفِ

خَمْرٌ بِهَا سَكِرَتْ أَئِمَّةُ نَهْجِنَا   كَجُنَيْدِهِمْ مُولِي الفيوضِ الأَظْرَفِ

وَالأَرْبَعِ الأَقْطَابِ ثُمَّ إِمَامِنَا الـ   سمانِ ثُمَّ الطَّيِّبِ المُتَصَرِّفِ

لِلَّهِ مَا أَحْلَاهُمُو مِن سَادَةٍ   بَذَلُوا الرَّحِيقَ لِكُلِّ صَبٍّ مُدْنَفِ

خَمْرٌ بِهَا كَمْ جُنَّ ذُو شَوْقٍ وَكَمْ   أَعْمَتْ وَأَصْمَتْ مِن فَتًى بِتَأَلُّفِ

كَمْ ذَلَّ ذُو عِزٍّ لَهَا وَمَكَانَةٍ   عَلْيَا وَمِن مَلِكٍ وَمِنْ مُسْتَنْكِفِ

وهي التِي لَعِبَتْ بِأَبْنَاءِ التُّقَى   وَالصَّالِحِينَ مِن الوَرَى بِتَظَرُّفِ

يَا وَيْحَ مَن فِي هَذِهِ الأَيَّامِ لَمْ   يَشْرَبْ بِأَلْحَانٍ كُئُوسَ القَرْقَفِ

أَرِدِ الْمَعَالِي لِكَيْ تَفُوزَ بِشُرْبِهَا ... مَعْ كُلِّ صُوفِيٍّ وَكُلِّ مُعَرِّفِ
وَاجْرِ الدُّمُوعَ تَعَشُّقًا لِوِصَالِهَا ... وَاصْحَبْ لِعَزْمٍ قَاطِعٍ كَالْمَشْرَفِي
وَانْبِذْ سِوَاهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ كُلَّهُ ... وَلَدَى الْقُدُومِ بِبَيْتِ عِزَّتِهَا طُفِ
وَإِذَا رَأَيْتَ السَّاقِي قُلْ يَاسَاقِيَ ... الْأَقْوَامِ مُنَّ عَلَى مُحِبِّكَ وَاتْحِفِ
خُذْ مَا اسْتَطَعْتَ هُنَاكَ بَيْنَ رِجَالِهَا ... وَاكْتُمْ وَلَا تُبْدِي لِأَمْرِكَ وَاخْتَفِي
حَتَّى يَلُوحَ لِعَيْنِ قَلْبِكَ بَارِقٌ ... مِنْ طُورِ سِينَاءِ التَّجَلِّي الْأَشْرَفِ
اظْهَرْ وَلَا تَخْشَى عَدَاوَةَ حَاسِدٍ ... كَلًّا وَلَا تَعْنِيفَ فِيهِ مُعَنِّفِ
هِمْ وَهِمْ طَرَبًا وَغَنِّ ذَاهِلًا ... بِالرَّقْمَتَيْنِ وَبِالْمَلِيحَةِ عَرِّفِ
وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ نَاظِرًا لِجَمَالِهَا ... حَتَّى سِوَاهَا عَنْ شُهُودِكَ يَنْتَفِي
لَاحَتْ بِنُورِ جَمَالِهَا وَتَحَجَّبَتْ ... بِجَلَالِهَا وَكَمَالِهَا الْمُسْتَشْرِفِ
مِنْ أَيْنَ تُدْرِكُهَا النُّفُوسُ وَمَا لَهَا ... وَصْفٌ بِهِ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ تَكْتَفِي
عَجَبًا إِذَا أَخْفَيْتَهَا تَبْدُو وَإِنْ ... أَظْهَرْتَهَا بِعِبَارَةٍ هِيَ تَخْتَفِي
قَدْ حَارَتِ الْقَوْمُ الْأُلَى فِي وَصْفِهَا ... وَأَبُو يَزِيدَ الْقُطْبُ وَالْجِيلِي الْخَفِي
شَمْسٌ إِذَا ظَهَرَتْ فَلَا يَبْقَى سِوَى ... أَنْوَارِهَا فِي أَعْيُنِ الْمُتَصَوِّفِ
لَا كَالشُّمُوسِ إِذَا بَدَتْ وَنَهَارُهَا ... مَا بَعْدَهُ لَيْلٌ وَلَمْ تَتَكَسَّفِ
آهٍ عَلَى ذَاكَ الْحِمَى وَحَدِيثِهِ ... وَبُدُورِهِ مَنْ نُورُهُمْ لَمْ يُخْسَفِ
مَالِي سِوَاهُ فَغَنِّنِي بِحَدِيثِهِ ... لَكِنْ بِحُسْنِ إِشَارَةٍ وَتَلَطُّفِ
إِنَّ الْإِشَارَةَ عِنْدَ أَرْبَابِ الْهَوَى ... أَحْلَى وَأَعْذَبُ مِنْ أَحَادِيثٍ بِفِي
لَا تَسْقِنِي مَعْنَى الْحُرُوفِ فَإِنَّنِي ... عَنْ كُلِّ مَعْنًى بِالْإِشَارَةِ مُكْتَفِ

وَاكْتُبْ بِأَقْلَامِ الغَرَامِ بِمُهْجَتِي ... سِرَّ المَحَبَّةِ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ
وَإِلَى الحِمَى أَوْجَانِ تِلْكَ أَحِبَّتِي ... سِرْ بِي عَسَى بِالوَصْلِ لَهُمْ يَنْطَفِي
جسمى مريض بالهوى وَحُشَاشَتِي ... كادت تذوب جوى بعشق متلف
أَصْبَحْت فِى طُرُقِ المَحَبَّةِ ذَاهِبًا ... لَمْ أَدْرِ لِي بَيْنَ الوَرَى مِن مُسْعِفِ
إِنَّ الصَّبَابَةَ فِى الفُؤَادِ عَجِيبَةٌ ... كَمْ أَمْرَضَتْ وَلَكَمْ بِهَا أَحَدٌ شُفِي
لِكُئُوسِهَا سَجَدَ الزَّمَانُ تَذَلُّلًا ... وَتَخَضُّعًا بِتَوَلُّهٍ وَتَعَطُّفِ
لِكُئُوسِهَا سِرٌّ إِذَا سُرَّ الفَتَى ... يَوْمًا بِهِ أَضْحَى مَلِيكَ تَصَرُّفِ
لِلكَأْسِ أَسْرَارٌ عَجِيبٌ وَصْفُهَا ... قَدْ حَيَّرَ الأُولَى وَكُلَّ مُؤَلِّفِ
عَجَبًا لِمَنْ جَهِلُوا الكُئُوسَ وَشُرْبَهَا ... وعَالَهَا مِن قِمَّةٍ مِنْ مَوْقِفِ
سِرٌّ تُسَرُّ بِهِ النُّفُوسُ وَتَزْدَهِي ... وَلِحُبِّهَا تُبْدِي لِأَمْرٍ قَدْ خَفِي
عِلْمٌ علومُ الفِكْرِ تحتَ لِوَائِهِ ... فَتَكَادُ وَهِي تُجِلُّهُ كَالمُصْحَفِ
يَأْتِي مِنَ الحَضَرَاتِ فِي غَسَقِ الدُّجَى ... لِلقَائِعِين بِخَشْيَةٍ ، وَتَقَشُّفِ
إِنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظَى بِهِ بَادِرْ إِلَى ... أَرْبَابِهِ وَعَلَى شَرَائِطِهِمْ قِفِ
تَجِدِ المُرادَ وَتَرْتَقِي أَوْجَ العُلَى ... وَبِسَاطَ سِرُّ الفَتْحِ نُورِ الرَّفْرَفِ
واسْجُدْ لِرَبِّكَ عِنْدَ ذَلِكَ شَاكِرًا ... وَعَلَى الدُّوَيْرِ مَعَ القَسَاسِيسِ اعْكُفِ

(٥٩)

(وقال رضى الله عنه)

تَزَايَدَ الوَجْدُ حَتَّى مَدْمَعِي هَتَنَا ... لِسَاكِنِي المُنْحَنَى وَالرَّقْمَتَيْنِ مِنَا
وَأَيْقَظَ العَيْنَ مِنِّي بَعْدَ نَوْمَتِهَا ... بِحَرٍّ نِيرَانِ شَوْقٍ فِى الحَشَا سَكَنَا
يَا سَائِقَ الظُّعْنِ مِن بَيْنِ البَوادِي بِنَا ... سِرْ نَحْوَهُمْ عَلَّ أَنْ أَلْقَى بِهِ مِنَنَا

لو أنّ نيرانَ شوقي تنطفي وأرى ... بعدَ ابتعادي عنهم ذلكَ الوطنا

روحي لهم طائعٌ في كلّ آونةٍ ... يهيم ما ذكروا بينَ الورى علنا

يشمّ فكري إذا ما مرّ ريحهم ... عرفاً به مهجتي تبدي لما كمنا

فإن كتمتُ هواهم في الفؤادِ له ... شواهدٌ وتباريحٌ جوًى وضنا

يهتزّ كلّي إذا ما قد شدا بهم ... شادٍ كغصنٍ به ريحُ الصبا اقترنا

لا إلفَ لي سواهم في الزمانِ وما ... سواهمُ لفؤادي بالهوى سجنا

أنباؤهم وهي عندي كالعقار إذا ... ما قد أديرتْ لفتيانٍ بحانِ غنا

إني لديهم وإن قد شامني أحدٌ ... هنا فيا عجباً ممن هناكَ هنا

للعشق أحوالٌ شتّى ليس يعرفها ... سوى امرئٍ قد قاسى لكلّ عنا

تهنى بذكرهم أهلُ الغرامِ كما ... يهنى بهم من لهم بعدَ البعادِ دنا

آهٍ على رؤيةٍ منهم أسرّ بها ... على اشتياقٍ وأشواقٍ وحسنِ ثنا

فلا تلمْ لاعمى صباً غدا دنفاً ... يرى الملامةَ فيهم من ألذّ هنا

فاللومُ فيهم جفاءٌ لستُ أسمعهُ ... ولو فشا عمّ غرباً مشرقاً يمنا

كيفَ استمعْ في الذي فيهم فنى أبدا ... قلبي على رغمِ أنفِ العاذلينَ لنا

راضٍ بأن أكُ رقاً في الزمانِ لهم ... ببابهم واقفاً مع تركنا لأنا

لي فيهمُ ألسنٌ شتّى وغيرهمُ ... لي فيهمُ واحدٌ لكنّهُ التكنا

لو اطّلعتَ عذولي في الزمان على ... حالي بهم ما رأيتَ العذلَ بي حسنا

أفٍ لقومٍ فلا يدرونَ حالتنا ... فيهم وما حلّ من داء الغرامِ بنا

في نغمةِ العودِ لي في ذكرهم أثرٌ ... به فهمتُ لمعنًى كان مكتمنا

فَمَا سَمِعْتُ طُيُورًا فى الرُّبَا سَجَعَتْ ... إِلَّا وَأَبْدَتْ وُلُوعًا فى الحَشَا سَكَنَا

وَما تَأَلَّقَ بَرْقٌ نَحْوَهُمْ بِسَنًى ... إِلَّا وأَهْدَى سُهَادًا أَذْهَبَ الوَسَنَا

مُحِبُّهُمْ لَمْ يَزَلْ مَعْزُوزَ بَيْنَهُمُ ... وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ مُمْتَهَنَا

حَسْبِي سُرُورى بِهِمْ ما مَرَّ ذِكْرُهُمُ ... وَإِنْ كَسَتْنِى أَحْوَالُ الهَوَى شَجَنَا

حَسْبِي مِنَ الفَخْرِ أَنْ أُعْزَى لِحُبِّهِمِ ... حَيًا وَلَوْ كَانَ جِسْمِي فى الثَّرَى دُفِنَا

آهِ عَلَى مَنْ يُرَى صَبًّا وَلَيْسَ لَهُ ... فِيهِمْ غَرَامٌ وَشَوْقٌ أَنْحَلَ البَدَنَا

مِنْ عَيْنِكَ اخْرِجْ غُبَارًا كَانَ حَاجِبَهَا ... وَاسْلُكْ بِحُبِّكَ فِيهِمْ ذلكَ السَنَنَا

وَدَعْ لِمَا حَدَّثَتْكَ النَّفْسُ مِنْ خَلَلٍ ... فِيهِمْ وما رُمْتَ أَنْ تَلْقِيهِ مُمْتَحِنَا

وَاعْكُفْ عَلَيْهِمْ وَدَعْ مِنْكَ العُكُوفَ عَلَى
ما فِيكَ مِن خَطَرَاتٍ تَمْنَعُ المِنَنَا

فَهُمْ رِجَالٌ فَيَا لِلَّهِ دَرُّهُمُ ... من فِتْيَةٍ حُبُّهُمْ فى القَلْبِ قَدْ بَطَنَا

لَهُمْ إِفَاضَةُ سِرٍّ للمشوقِ لَهُمْ ... نُورٌ أَزَالَ ظَلَامًا عَنْهُمُ جُنَنَا

عِمْهُمُو فى حُضَيْرَاتٍ بِهَا طَلَعَتْ ... شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَفَجْرٌ لَاحَ بِسنَا

تَجِدْ لَدَيْهِم كُئُوسًا آهِ وهِيَ لَهَا ... شُرْبٌ فَيُذْهِبُ عنك الهمَّ والحَزَنَا

بِهَا لَقَدْ سَكِرَتْ أَقْوَامُنَا قِدَمًا ... وَأَخْبَرَتْ بِخَفِىٍّ أَعْجَزَ الفَطِنَا

بِهَا لَقَدْ فَازَ مَنْ فى النَّاسِ وَهُوَ لَهُمْ ... أَتَى بِصِدْقِ الحِجَى مَعَ عَزْمِهِ الرَّصِنَا

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَمْ يَظْفَرْ بِكَأْسِهِمْ ... من كان فى سَيْرِهِ فى نَهْجِهِمْ زَمِنَا

هَجَرَتْ عُصْبَةُ جَهْلٍ فى تَحَبُّبِهِمْ ... مَقْصُودُهُمْ أَنْ يُثِيرُوا بِالهَوَى فِتَنَا

لِى فى الأَضَالِعِ رَعْدٌ وَالحَشَا حُرَقٌ ... بِهِ غَدَوْتُ بِحَبْلِ العِشْقِ مُرْتَهَنَا

لَهُمْ بَوَاطِنُ قَدْ عَزَّتْ مَدَارِكُهَا ... لهُمْ ظَوَاهِرُ أَغْنَتْ مَنْ أَرَادَ غِنَا

لَمْ تَدْرِ يَا زَيْدُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ مِنَنٍ ... لَهَا يَكَادُ العُلَى يَعْنُو بِغَيْرِ وَنَا

لَمْ تَدرِ يَا زَيدُ أحوَالاً لَهَا كَتَمُوا   مَعْ عِلْمٍ وَصْلٍ بِهِ صَارُوا لَنَا سُفُنَا

فَإِنْ تَغَنَّوا بِنَجْدٍ وَالعقيقِ مِنَّا   مَا كَانَ قَصْدُهُمُ حَقًّا لِذِينِ مِنَا

أوْ بالرَّبَابِ وَعُلْوَى مَيٍّ زَيْنَبَ أوْ   لَيْلَى فَمَا قَصْدُهُمْ إلَّا بِهِنَّ كُنَا

يُومُونَ لِلْغَيْبِ بالمَعْنَى الذى وَلِهَتْ   بِهِ المَحبُونَ سِتْرًا كُنْ بِهِمْ فَطِنَا

إلَى مَتَى أَنْتَ يَا مَن قَيَّدَتْهُ عَنِ الْ   مَطْلُوبِ أوهَامُهُ لَمَّا ارتَقَى الظَّنَنَا

دَعِ الخَيَالَاتِ وَاشْرَبْ خَمْرَةً عَشِقَتْ   هَا الأنبياءُ وَأمْلَاكُ السَّمَا الأُمَنَا

لا غولَ فِيهَا وَلَا نَزْقُ لِشَارِبِهَا   وَلَا مَلَامَةَ مِمَّنْ يَعْرِفُ السُّنَنَا

تُفْنِى العَدِيمَ وَتُحْيِى مَيِّتًا وَكَذَا   تُقَوِّى مَنْ كَانَ قَبلَ الشُّرْبِ قَدْ وَهَنَا

لِرَبِّهَا فَمُلُوكَ الأرْضِ خاضعةٌ   وَالأسْدُ إذْ مَالَهَا بالحَالِ وَهُوَ رَنَا

(٥١)

(وقال رضى الله عنه)

لَوْلَا تَذَكُّرُ أَيَّامِ العَقِيقِ لَمَا   قَدَحْتُ نِيرَانَ أشْوَاقٍ بِأحْشَائِى

وَلَا تَغَنَّيْتُ عِشْقًا بِالمُحَصَّبِ أَوْ   بِالمُنْحَنَى وَرُبَا نَجْدٍ وَبَطْحَاء

وَلَا تَلَاعَبَت الأَهْوَا بِنَا زَمَنًا   لَدَى سَمَاعِ غِنَا شَادٍ بِبَغْدَاء

ولا تَمَايلتُ كالغُصْنِ الرَّطِيبِ إذَا   مَا عَانَقَتْهُ نُسَيْمَاتُ أخلائى

وَلَا بَكَى الطَّرْفُ من تَطْرِيبِ سَاجِعَةٍ   عَلَى الرَّوَابِى بِمَا يُنْمِى لِأَهْوَائى

ولا اعتزلتُ لمن قد كنت آلَفُهُم   قبل الزمان بقلب خالِى عن داء

وَلَا بَكَى مِن شَوْقٍ فى السَّرِيرَةِ قَدْ   أيقَظْتُ نَفْسِىَ سُرْعًا بَعْدَ إغفاء

وَلَا بِدَوْحَةِ أحْوَالِ الحَشَا رَقَصَتْ   بَلَابِلُ الأُنْسِ فى خَتْمِى وَإبْدَائى

لِى فَاعْذِرَن عَاذِلِى إِنْ شِمتَ حَالَتَنَا   أبْدَتْ لِأمْرٍ فَلَمْ يُدْرَكْ بِآرَاء

رَمْزُ الحقيقة لَمْ يَفْهَمْهُ غَيْرُ فَتَى ... رَقَا عَلَى هَامَةِ الشِّعْرَى وَجَوْزَاء

مَنْ لَمْ يَمُتْ قَبْلَ هَذَا المَوْتِ لَيْسَ لَهُ ... مِنْهُ نَصِيبٌ وَلَوْ يَرْقَى لِأَعْلَاء

مَرَاتِبٍ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ فَاخِرَةٍ ... تُحْكَى لَدَى كُلِّ أَحْيَاءٍ وَأَنْدَاء

لَا تَهْمِلَنْ مَشْرَبًا هَامُوا بِهِ شَغَفًا ... قَوْمٌ عَلَى عِلْمِ تَصْرِيحٍ وَإِيمَاء

وَاخْرُجْ عَنِ الكَوْنِ بِاللهِ المُكَوِّنِ كَيْ ... تَرْقَى عَلَى رُتْبَةٍ فِي اللهِ فَمَسَّاه

لٰكِن بِوَاسِطَةِ العِشْقِ الَّذِي زَهِدُو ... هُ مَنْ هُمُو بَيْنَنَا أَشْبَاهُ صَخْرَاء

مَنْ لَمْ يَكُن فِيهِ تَمْلُوهُ السَّرِيرَةِ لَمْ ... يَخْلُو لَهُ الوَقْتُ فِي سِرٍّ وَنَجْوَاء

وَلَمْ يَذُقْ كَاسَ عِرْفَانٍ بِهِ عَرَفُوا ... أَرْبَابُهُ سِرَّ إِلْهَامٍ وَإِيحَاء

عَذْبٌ وَمُرٌّ وَلٰكِنْ عِنْدَ مَنْ جَهِلُوا ... لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ سُوءِ بَلْوَاء

إِنكَارُ أَهْلِ قُصُورٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ... فِيهِ وَكَثْرَةُ لُوَّامٍ أَشِدَّاء

إِنَّ الحَقِيقَةَ لَمْ تُخْلَعْ خَلَايِمُهَا ... إِلَّا عَلَى صَابِرٍ فِي كُلِّ آنَاء

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الهَوَى فِي حَالِ سَيْرَتِهِ ... لَمْ يَلْتَفِتْ لِلسِّوَى دَانٍ وَلَا نَاء

فَلَا تُبَالِي إِذَا مَا قَدْ بَدَا لَكَ فِي ... شَمْسِ التَّجَلِّي وَأَظْلَالٍ وَأَفْيَاء

شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ الكَوْنِيِّ مُخْتَلِفٌ ... عَلَيْكَ فِي حَالِ سَرَّاءٍ وَضَرَّاء

قُلْ مَا تَشَا مِن مَعَانِيهِ جَوَاهِرِهِ ... لَدَى أَصْحَابِ أَذْوَاقٍ أَجِلَّاء

مَنْ فَاتَهُ الحَالُ فِي عَصْرِ الشَّبِيبَةِ لَمْ ... يَظْفَرْ بِصَوْلَتِهِ بَيْنَ الأَحِبَّاء

إِلَيْهِ فَاجْنَحْ وَإِلَّا دَعْهُ إِنَّ لَهُ ... أَهْلًا بِهِ وَرِثُوا أَسْرَارَ إِفْنَاء

وَكَمْ كَثِيرٍ لَهُ فِي النَّاسِ مَالَ وَلَمْ ... يَثْبُتْ وَحَالَتُهُ صَارَتْ كَحِرْبَاء

بَالَغْتُ فِيهِ إِلَى أَن لَامَنِي أُمَمٌ ... مَعْ قَصْدِهِمْ لِشَتَاتِ بَلْ وَإِطْفَائِي

وَلَمْ أُبَالِ بِمَا قَالَتْهُ أَلْسُنُهُمْ … مِنْ نَظْمِ أَهْوِيَةٍ فِينَا وَإِنْشَاءِ
لَوْ كُنْتُ خَالٍ لَمَا هَمُّوا بِنَا أَبَداً … وَلاَ نَحَوْا بَيْنَ أَهْلِ الْعَصْرِ إِجْلاَئِى
وَحَيْثُ مَا خَالَفَتْ أَحْوَالُنَا لَهُمُ … فِيمَا عَلَيْهِ هُمُو مِنْ حَالِ إِغْوَاءِ
لَمْ يَسْتَرِيحُوا وَمَنْ بِاللهِ لَيْسَ لَهُ … إِلاَّ النَّجَاةُ بِهِ مِنْ كُلِّ أَعْدَاءِ

(٣٢)

(وقال رضى الله عنه)

وَلاَ تَظُنَّنْ وَلَهِى هَــذَا بِغَانِيَةٍ … رُعْبُوبَةٍ مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ أَهْوَاهَا
بَلْ مِنْ مَعَانٍ عَنِ الأَغْيَارِ فَاحْتَجَبَتْ … تَبْدُو لِمَنْ نَفْسُهُ بِاللهِ أَغْنَاهَا
وَكُلُّ مَنْ كَانَ ذَا مَيْلٍ وَذَا أَمَلٍ … فِي غَيْرِ مَوْلاَهُ لَمْ يَظْفَرْ بِمَغْنَاهَا
آهِ عَلَيْكُمْ أَيَا مَنْ أَنْتُمُ دَوَماً … عَلَى وَسَاوِسَ فَالشَّيطَانُ أَهْدَاهَا
لِعَقْلِكُمْ وَبِهَا قَدْ صِرْتُمُو حُمُرًا … لَمْ تَفْهَمُوا دِينَ خَيْرِ الأَنْبِيَا طَاهَا
وَلاَ اتَّبَعْتُمْ لِشَيْخٍ تَرْشُدُونَ بِهِ … لَهُ مَلاَحِظُ فَوْقَ الْفِكْرِ أَدْنَاهَا
قَدِ اكْتَفَيْتُمْ بِأَشْيَا غَيْرُ نَافِعَةٍ … عَقْلُ الذَّكِيِّ وَنَصُّ الْعِلْمِ يَأْبَاهَا
أَنَا وَنَحْنُ وَلِي عِنْدِي أَبِى نَسَبِي … عِلْمِي وَجِدِّى فَدَعْهَا إِنْ تُرِدْ جَاهَا
قَوَاطِعُ مَنْ يَرَى فِى النَّاسِ يَرْفُلُ فِي … أَثْوَابِهَا كَصَبِيٍّ فِى الْفَلاَ تَاهَا

(٩)

(وقال رضى الله عنه)

إِنَّ الإِشَارَةَ عِنْدَ أَرْبَابِ الْبَصَا … يِرِ كَالنِّدَاءِ لَدَيْكَ يَا مَحْجُوبُ
شَمْسٌ وَلَكِنْ حُجِبَتْ بِسَحَابِ فِكْ … رٍ مُحَجَّبٍ قَدْ دَنَّسَتْهُ عُيُوبُ
هِيَ فِى الْقُلُوبِ شُرُوقُهَا وَمَسِيرُهَا … وَلَهَا بِهَا بَعْدَ الْمَسِيرِ غُرُوبُ
رَاحٌ لِأَرْبَابِ الْمَحَبَّةِ مُسْكِرٌ … وَمُهَيِّمٌ وَمُتَيِّمٌ وَمُذِيبُ

سِرٌّ وَفى سِرّ النُّهَى مُتَمَكِّنٌ   فِيهَا لَهُ بَعْــدَ الشَّرَابِ دَبِيبُ

لَا تَحْسَبَنْ عِلْمَ الرِّجَالِ كَمَا عَكَفْـ   ـتَ عَلَيْهِ مِنْ علمٍ هُوَ المَكْسُوبُ

عِلْمٌ فَيُنْبِؤُ عَن خَفِيٍّ لَمْ يَكُنْ   شُرْبٌ لِأَرْبَابِ الصَّفَا مَوْهُوبُ

وَبِهِ فَكَانُوا فى الأَنَامِ أَئِمَّةً   وَمَقَالُهُــمْ وَفِعَالُهُــمْ مَشْرُوبُ

زَمُّوا الرِّكَابَ إِلَيْهِ فِى حَانَاتِهِ   وَالْقَلْبُ مِنْهُمْ بِالْهَوَى مَصْحُوبُ

هَــذَا وَحَقِّكَ نفحَةٌ قُدْسِيَّةٌ   هَــذَا وَحَقِّكَ إِنَّهُ المَطْلُوبُ

هَـذَا وَحَقِّكَ زَوْقُهُ يَهْدِى لِمَنْ   لِلْحَانِ قَلْبُهُ بِالمعَــانِى طَرُوبُ

هَذَا وحَقِّكَ رُوحُ أَرْوَاحِ التُّقَى   هَــذَا بِهِ هَذِى الحَيَاةُ تَطِيبُ

هَــذَا وَلَيْسَ يَمُوتُ شَخْصٌ نَالَهُ   حَيًّا وَمَيْتًا وَالمَذَاقُ عَجِيبُ

حَاشَى وَحَاشَى أَن يَمُوتَ الصُّوفِى عِنْــدَ العَارِفِينَ وَقَولُهُمْ مَحْبُوبُ

مَا رَدَّهُ إِلَّا امْرُؤٌ فى قلبِــهِ   جَهْـــلٌ وَفى أَحْوَالِهِ تَقْلِيبُ

هَــذَا لِرَبِّهِ فى الزمانِ مهَابَةٌ   وَجَلَالَةٌ يَوْمَ القَضَــا تقْرِيبُ

لَكِنَّهُ عِنْــدَ الأُنَاسِ جَمِيعِهِمْ   إِلَّا رِجَالَ الفَتْحِ وَهْوَ غَرِيبٌ

وَعَلَى أَهَيْــلِهِ فِى جَمِيعِ حَيَاتِهِمْ   صِــدْقًا فَإِنه حَارِسٌ وَرَقِيبُ

لَا خَوْفَ مِنْ غَيٍّ عَلَى أَصْحَابِهِ   وَمُخَــادِعٍ مِنْهُ أَذَى تَعْذِيبُ

حَرَسَتْهُ أَسْرَارُ العِنَايَةِ وَاعْتَلَى   عَنْ أَرْضِ نَفْسٍ لَطَّخَتْهَا ذُنُوبُ

لَا يَظْفَرَنْ بِالْعِلْمِ هَــذَا غَيْرُ مَنْ   فِيــهِ انكِسَارٌ دَائِمٌ وَنَحِيبُ

وتلاوةٌ وَعِبَــادَةٌ وَزَهَادَةٌ   وَوَرَاعَــةٌ وَعَفَافَةٌ تَهْذِيبُ

وَغِنًى عَن المَرْبُوبِ بِاللهِ الذى   حَقًّا لَهُ قَدْ أَذْعَنَ المَرْبُوبُ

ضُرِبَتْ عَلَيْهِ سُرَادِقَاتٌ يَا لَهَا	مِن مَانِعٍ لِفَتًى لَهُ تَكْذِيبُ
فَالْبَعْضُ مِن أَرْبَابِهِ تَاهُوا وَمَا	تَاهُوا وَشَانُ الحَالِ وَهو عَجِيبُ
فالبعضُ يَشْـــطَحُ جَهْرَةً بِعقالهِ	فِيهَا مَعَانٍ بَعْضُهَا تَغْلِيبُ
وَالْبَعْضُ يَهْوَى لِلْعَذُولِ وَصَدْرُهُ	لِلحَافِظِ فِي الْعَذْلِ وَهوَ رَحِيبُ
لـكِن رِجَالُ الْوَصْلِ فِيهِ تَحَقَّقُوا	وَلَهُمْ فَنًى بِشَرَابِهِ وَرُسُوبُ
لَا يَشْهَدُونَ سِوَى الإِلَهِ وَكُلُّهُمْ	لِلْعَاشِقِينَ مِنَ الوَرَى يَعْسُوبُ
عِلْمٌ كَيُوسُفَ فِي مَدِينَةِ حُسْنِهِ	وَالعَاشِـــقُونَ كَأَنَّهُمْ يَعْقُوبُ

(٣٠)

(وقال رضى الله عنه)

فِي كُلِّ صُـــورَةِ حُسْنٍ لِلنُّهَى نَظَرُ	أَحَاطَ فِيهَا بِمَعْنًى وَهوَ مستترُ
مِن كل سِرٍّ نفيسٍ مُطرِبٍ فَرَحًا	تحلُو بِهِ عندَنا الآلاتُ وَالصُّوَرُ
ماهامَ صَاحِبُ كَشْفٍ عندَ مَلْحَظِهِ	إِلَّا دَعَتْهُ جَهْلًا غَضَّتِ الفِـكَرُ

بِأَعْيُنِ القَلْبِ أَهْلُ الـكَشْفِ قَدْ نَظَرُوا

وَشَاهَدُوا صُـــوَرَ الأَشْيَا لَهَا ثَمَرُ

وَلَمْ يَرَوْا حَاجِبًا عَن رَبِّهِمْ أَبَدًا	لا جَنْكَ لَا عُودَ لَا طُنبورَ يُعْتَبَرُ
فِي آلَةِ اللَّهْوِ كَمْ لَاحَتْ لِعَقْلِهِمْ	أَشَايِرُ وَبِهَا هَامُوا بِهَا سَـكِرُوا
وَفِي تَغَارِيدِ أَطْيَارِ الفَــلَاةِ لَهُمْ	مَعْنًى عَلَيْهِ بِفَهْمِ الرُّوحِ قَدْ عَثَرُوا
أَرْوَاحُهُمْ فِي مَحَارِيبِ الدَّيَاجِي تَلَتْ	آيَاتِ سِرٍّ بِهَا لِلدُّرِّ قَدْ نَثَرُوا
مَالَامَهُمْ غَيْرُ مَن عَنْهُمْ قَدِ احْتَجَبُوا	بِسُوءِ ظَنٍّ بِهِ عَن حَالِهِمْ نَفَرُوا
فَأَلْقَوْا فِيهِمْ كُتُبًا بِكُفْرِهِمِ	وَالبَعْضُ بِالْجَهْلِ نَظْمًا بَعْدَهُ نَثَرُوا

مَعْ ذَا فَمَا قَدَرُوا وَالْحَقُّ نَاصِرُ مَنْ ... لَهُ بِنُورِ التُّقَى وَالْعِلْمِ قَدْ نَصَرُوا

رَامُوا بِأَنْ تُخْفَضَ البَازَاتُ مَرْتَبَةً ... وَالبُومُ يُرْفَعُ كَيْ يَبْقَى لَهُ الخَطَرُ

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ هَذَا لَا يَكُونُ وَلَوْ ... بِشِبْهِهِمْ فَاسْتَمَانُوا أَيْنَمَا ذُكِرُوا

(١٢)

(وقال رضى الله عنه)

مشطراً لقصيدة الاستاذ سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى قدس سره وهى هذه :

يارَب صَلِّ عَلَى مَن زَادَ تَقْدِيساً ... فِي الْمُرْسَلِين بِبشرى سيدى عيسَى

قِفْ جَانِبَ الدَّيْرِ سَلْ عَنهَا القَسَاسِيسَا ... لَكِن بِكَشْفِ حَمَى عَنْهَا التَّقَايِيسا

حَقِيقَةً فى حِجَابِ الغَيْبِ قَدْ حُجِبَتْ ... مُدَامَةً قَدَّسَتْهَا الْقَوْمُ تَقْدِيسَا

بِكْرًا إِذَا مَا انْجَلَتْ فِي الكَأْسِ تَحْسَبُهَا ... شَمْسًا أَشِعَّتُهَا تَمْحُو الْمَقَايِيسَا

قَد ظَنَّهَا قومنا لَمَّا بِهَا وَلعوا ... مِن فَوْقِ عَرْشٍ مِنَ اليَاقُوتِ بِلْقِيسا

رَقَّتْ وَرَاقَتْ وَطَابَتْ فَهْى مُطْرِبَةٌ ... لِكُلِّ صَبٍّ حَلا سَيْرًا وَتَعْرِيسَا

تَمِيلُ وَجداً نَشَاوى مِن لَذَاذَتِهَا ... كَأَنَّهَا بَيننَا دَقَت نَوَاقِيسَا

مَالَتْ بِهَا الْقَوْمُ صَرْعَى عِندمَا بَرَزَتْ ... لَهَا سَنًى مُشْرِقٌ فَاقَ الْفَوَانِيسَا

لِلّٰهِ مِنْ خَمْرَةٍ فِي الحَانِ قَدْ ظَهَرَتْ ... بِهَا الْبَطَارِقُ نَسْقِهَا الشَّمَامِيسَا

كَأَنَّهَا وَهِىَ فى الْكَاسَاتِ دَائِرَةٌ ... صُبْحٌ فَغَادَرَ سَحْمَ اللَّيْلِ مَطْمُوسَا

أَوْ إِنَّهَا وَهى تَحْكِي عِندَ نَاظِرِهَا ... صَافِي الزُّلَالِ حَكَى فِيهِ طَوَاوِيسَا

صِرْفٌ صَفَتْ وَصَفَتْ دَارَ النَّعِيمِ لَنَا ... بِصَفْوِهَا وَتَنَاوِيمًا وَتَجْنِيسَا

نَرَى بِهَا الكَونَ هَذَا كُلُّهُ حَسَنًا ... وَآدَمًا والذى يَحْكِي وَإِبْلِيسَا

عُجْنَا عَلَى دَيْرِهَا وَاللَيلُ مُعْتَكِرٌ ... نَشْدُو بِهَا وَالحَشَا قَدْ صَارَ مَأْنُوسَا

أهدت لنا ما به زاد الحجا طربا ... حتى زجرنا لدى حاناتها العيسا
مستخبرين سألنا عن مكامنها ... بوجد قلب أفاد الروح تنفيسا
فلم يجاوب سوى من هم بها ثملوا ... توما ويوشى ويوحنا وجرجيسا
نأتى الكنائس والرهبان قد عكفوا ... على محبتها ليلا وتغليسا
فالكل قد ألبستهم من ملاحتها ... لدى الصوامع يدعون النواميسا
طفنا بها واستلمنا دنها شغفا ... بحال ذوق غدا فى النفس مغروسا
وإن بها دنس المذال حالتنا ... فلم نخف عندها عيبا وتدنيسا
حيث القساقس قاموا فى برانسهم ... طاوين فى السير معقولا ومحسوسا
أو إنهم عند ما ذاقوه من كوب ... يومون بالرأس نحو الشرق عن عيسى
فالكل فى بحر نور اليثربى حكى ... سواريا أعقبت جذبا وتحبيسا
أو إنها فى معانيها ورقتها ... موجا أرته رياح القرب تأنيسا

(٢٥)

(وقال رضى الله عنه)

نار الغرام تأججت بجوانحي ... والعين منى قد جفت لمنامى
من فرطها فترى العيون كأننى ... متعرض لملامة اللوام

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

من لم يذق كأس الحقيقة ويحه ... من عبد سوء ذاهب فى نفسه
إن لم يعجل بالسلوك فإنه ... يخشى عليه من الرجيم ومسه
علم الحقيقة وهو يهدى للفتى ... ما لم ينله بفهمه أو درسه
سر وليس يناله غير امرىء ... فى الله هذا فى النهار وأمسه

قَدْ ذَاقَ فى حَانِ المَحَبَّةِ أَكْؤُسًا ... أَضْحَى بِهَا مُتَقَلِّبًا فى أُنْسِهِ

(٥)

(وقال رضى الله عنه)

نَزِّهْ إِلَاهَكَ عَمَّا فى الفُؤَادِ خَطَرْ ... مِنْ كُلِّ مَسْمُوعِ أُذْنٍ أَوْ رَآهُ بَصَرْ

القلبُ كَوْنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ بِهِ أَبَدًا ... غَيْرُ المُكَوَّنِ فى أَىِّ الزَّمَانِ خَطَرْ

شَتَّانَ ما بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَخَالِقِهِ ... فِى كُلِّ شَىْءٍ لَدَى مَنْ فى العُلُومِ مَهَرْ

ذَات الإِلٰه فَلَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَتَهَا ... مُقَرَّبٌ مَلَكٌ أَوْ مُرْسَلٌ فَنَذَرْ

فَضْلاً عَنِ الغَيْرِ أَصْحَابِ التَّفَكُّرِ مِنْ ... ضَلُّوا عَنِ الحَقِّ بِالفِكْرِ المُرَدِّ بِذَرْ

قَدْ حَذَّرَ اللهُ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً ... عَنْ نَفْسِهِ فى كِتَابٍ لِلنُّصُوصِ مقرْ

وَفِى الحَدِيثِ الذى صَحَّتْ رِوَايَتُهُ ... قَدْ حَذَّرَ المُصْطَفَى مِنْ هَاشِمٍ وَمُضَرْ

عَلَيْهِ إِجْمَاعُ كُلِّ العَالَمِينَ سِوَى ... مَنْ عِنْدَنَا كَافَّةَ الإِسْلَامِ وَهْوَ كَفَرْ

لَا تَحْصُرِ اللهَ فِى ظَرْفِ الزَّمَانِ وَلَا ... ظَرْفِ المَكَانِ لَدَى الأُخْرَى تَحُلُّ سَقَرْ

الظَّرْفُ كَوْنٌ كَذَا المَظْرُوفُ فيه كذا اﻟ ... مَحْصُورُ وَالحَاصِرُ اسْمَعْ لِلكَلَامِ نُسَرْ

وَمَا أَتَى مِنْ ظُرُوفٍ فى الكِتَابِ وَفِى ... حَدِيثِ خَيْرِ رَسُولٍ قد نَهَى وَأَمَرْ

لَا كَالَّذِى أَنْتَ تَدْرِيهِ وَتَعْرِفُهُ ... وَلَا سِوَاكَ وَلَوْ بِالعِلْمِ وَهْوَ ظَفَرْ

وَإِنَّمَا ذَاكَ تَدْرِيهِ الأَكَابِرُ مَعْ ... تَنْزِيهِ خَالِقِنَا مَنْ لِلمَثِيلِ حَجَرْ

هُمْ يَأْخُذُونَ عَنِ المَوْلَى وَغَيْرُهُمُ ... عَنْ زَيْدِهِمْ عَمْرِهِمْ مع خَلْفِهِمْ وَغِيَرْ

لَا يَعْرِفُ اللهَ إِلَّا اللهُ كُلُّكُمُ ... كُونُوا عَلَى الجَهْلِ فِيهِ فى عشى وبُكَرْ

لَكِنْ صِفُوهُ بِمَا قَدْ جَاءَ مِنْهُ لِخَيْرِ الرُّسْلِ فى مُنْزَلٍ لِلحَقِّ وَهو نَشَرْ

وَرَاقِبُوهُ مَدَى أَيَّامِ عُمْرِكُمُ ... لِتَظْفَرُوا بِمَذَاقٍ لِلْقُلُوبِ عَمَرْ
وَشَاهِدُوهُ لَدَى إِدْرَاكِكُمْ دَوْماً ... كَذَاكَ إِسْكَانِكُمْ صَفْواً بِغَيْرِ كَدَرْ
وَقَيِّدُوا النَّفْسَ فِى الأَحْوَالِ أَجْمَعِهَا ... بِشَرْعِ أَحْمَدَ مَنْ أَقْوَالُهُ كَدُرَرْ

(١٩)

وقد سأله البعض رضى الله عنهُ عن أحوال الأولاد فأجابه بقوله :

أَوْلَادُنَا هُمْ كَذَا أَعْمَالُنَا اسْتَبِنِ ... ضَارٌ وَنَافِعٌ فِى سِرٍّ وَفِى عَلَنِ
أَمَّا الَّذِى هُوَ عِنْدِى نَافِعٌ فَيُرَى ... عَلَى فُؤَادٍ طَهُورٍ كَامِلٍ فَطِنِ
يَرَى بِفِكْرٍ جَمِيلٍ مِنْهُ مُتَّصِلٍ ... بِالْحَقِّ فِى سَائِرِ الأَوْقَاتِ وَالزَّمَنِ
وَلَا يُرَى أَبَداً تَسْعَى جَوَارِحُهُ ... فِى غَيْرِ شَىْءٍ بِهِ يَرْقَى عَلَى الْقُنَنِ
وَلَمْ يَزَلْ مُعْرِضاً عَنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... بِهِ مَدَى عُمْرِهِ عَمَّا سِوَاهُ غَنِى
يُحِبُّ وَالِدَهُ مَعْ حُسْنِ مَيْلِهِ فِى ... كُلِّ الزَّمَانِ لَهُ بِالْمَدْمَعِ الْهَتِنِ
يَنْمُو بِهِ حَالُهُ قَلْباً وَقَالِبَهُ ... مَعَ الْوِفَاقِ لَهُ وَالْمَنْطِقِ الْحَسَنِ
وَلَا يَرَى أَبَداً حَقًّا عَلَيْهِ لَهُ ... وَلَا يُرَى عِنْدَ مَا يَهْوَاهُ كَالزَّمِنِ
مُشَمِّراً دَائِماً فِى أَمْرِ وَالِدِهِ ... وَكَيْفَ لَا وَهْوَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْبَدَنِ
وَلَمْ يَزَلْ فِى جَمِيعِ الْعُمْرِ مُمْتَثِلاً ... أَقْوَالَهُ حَالَةَ الأَفْرَاحِ وَالْحَزَنِ
وَقَابِلاً كُلَّ شَىْءٍ مِنْهُ وَهْوَ لَهُ ... مِنْ غَيْرِ رَدٍّ بِهذا القلبِ مُخْتَقِنِ
بَارًّا لَهُ مِثْلَ مَنْ فَازُوا بِبِرِّهِمِ ... مِنَ الإِلَهِ بِفَوْزٍ غَيْرَ مُكْتَمِنِ
وَنَاظِراً بِعُيُونِ الْوُدِّ حَضْرَتَهُ ... مَعَ التَّوَاضُعِ وَالإِكْرَامِ وَالْمِنَنِ
يُعِينُهُ وَيُدَارِيهِ وَيُؤْثِرُهُ ... يَقِيهِ عِنْدَ الْبَلَا وَالْكَرْبِ كَالْجُنَنِ
وَلَمْ يَزَلْ خَادِماً ، حُبًّا لِحَضْرَتِهِ ... لَيْلاً نَهَاراً بِعَقْلٍ خَيْرِ مُؤْتَمَنِ

وَلاَ يَطِيبُ لَهُ حَالِي الطَّعَامِ وَلاَ   حَالِي الشَّرَابِ وَلاَ ثَوْبٌ مِنَ القُطُنِ

إِلَّا وَيَبْعَثُهُ مِنْهُ لَهُ أَمَلاَ   لِشَرْحِ خَاطِرِهِ الْمُفْضِي لِكُلِّ سَنِي

يُحِبُّهُ وَلِمَنْ يُعْزَى لَهُ أَبَدًا   وَلَوْ يَكُونُ لَدَى كُلِّ الأَنَامِ دَنِي

وَلاَ يُخَالِفُ أَمْرًا مِنْهُ يُوحِشُهُ   وَلَوْ صَعِيبًا وَلَوْ مِنْ أَبْلَغِ الْخَشِنِ

مُوَافِقًا فِيهِ قَوْلَ اللهِ بَارِيهِ   مَعَ الْوَصِيَّةِ بِالإِحْسَانِ وَالْحَسَنِ

أَيْضًا حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ سَيِّدِنَا   طِبْقَ الَّذِي قَدْ رَوَوْهُ سَادَةُ السُّنَنِ

أَمَّا الَّذِي هُوَ ضَارٌّ بِئْسَ ذَاكَ فَقَدْ   لَهُ أَشَارَ كَلاَمُ الْمُعْطِي لِلْمِنَنِ

بِقَوْلِهِ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَعَلَيْــهِ اعْطِفْ تَجِدْ مَالَهُ تَدْنَاتٌ فِي الأَسُنِ

احْذَرْهُ وِفْقًا لِقَوْلِ اللهِ خَالِقِنَا   لِأَنَّهُ لَيْسَ يَأْتِي غَيْرَ مَا الْفِتَنِ

مُنَاقِضٌ حَالُهُ أَحْــوَالَ وَالِدِهِ   وَمُغْضِبًا قَلْبَهُ فِي سَائِرِ الزَّمَنِ

يَوَدُّ أَنْ لاَ يَرَى بِالْعَيْنِ وَالِدَهُ   وَلاَ يُقَارِبُهُ بِالْجِسْمِ وَالْوَطَنِ

مُسْتَوْحِشًا مِنْهُ فِي كُلِّ الزَّمَانِ وَلاَ   يَرْضَى لَهُ غَيْرَ هَذَا اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ

يَرَى كَأَنَّهُ مَظْلُومٌ وَمُنْتَقَصٌ   عَنْهُ بَعِيدٌ كَبُعْدِ الْغَرْبِ لِلْيَمَنِ

هَذَا الشَّقِيُّ مِنَ الأَوْلاَدِ وَهْوَ غَدًا   فِي النَّارِ مَعْ عَابِدِي الأَصْنَامِ وَالْوَثَنِ

هَــذَا وَأَرْجُو إِلَهِ الْعَرْشِ خَالِقَنَا   أَنْ يُنْجِيَنَّ لِكُلِّ الْوَلَدِ مِنْ مِحَنِ

وَيَسْلُكَنْ بِهِمْ نَهْجَ السَّعَادَةِ مَعْ   بِرٍّ يَكُونُ بِهِ عَيْشُ الْجَمِيعِ هَنِي

(٣١)

وقد سئل أيضاً رضى الله عنه عن حقيقة المريد فأجاب :

مُرِيدُهُمْ هُوَ مَنْ لِلَّهِ قَدْ قَصَدَا   وَمَالَهُ مَقْصَدٌ فِي غَــيْرِهِ أَبَدَا

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ آمَالٌ سِوَى رَشَدٍ   تُلْهِيهِ عَنْهُ وَتَقْضِي مَالَهُ قَصَدَا

وَلاَ يُوَافِقُ شَيْئاً مِن خَوَاطِرِهِ   وَلا يُلَبِّسُ نَقْضًا للذى عَقَدَا

وَلاَ بِجِسْمٍ تَرَاهُ العينُ مُتَّصِــلاً   وَقَلْبُهُ مَوْضِعَ الإِرْشَادِ قَدْ بَعُدَا

وَلَيْسَ يَعْرِفُ أَحْوَالَ السُّلُوكِ عَاً   أَلْقَتْهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْنًى هَوًى وَرَدَا

ولا يداهن يوماً فى ديانتـــه   وَلاَ يُغَيِّرُ قَلْبَ الشَّيْخِ مَا اعْتَقَدَا

وَلاَ يَزِنُهُ بِمِيزَانِ العُقُولِ وَلاَ   لَه يُخَالِفُ أَمْرًا يُبْعِدُ الرَّشَدَا

وَلاَ يُغَيِّرُ مَا فِى سَمْعِــهِ لفتى   وَلاَ الذى قَدْ رَآهُ لِلَّذِى حَسَدَا

يَحْمِى مَكَانَتَهُ عَنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ   وَلاَ يُصَاحِبُ مَنْ لِلْفَضْلِ قَدْ جَحَدَا

بِهِ يَسِــيرُ إِلَى مَوْلاَهُ مُتَّصِلاً   بلاَ انفِصَالٍ بِمَلٍّ أَوْ عَسَى وَعَدَا

لَهُ فَيُؤْثِرُ فِى كُلِّ الزَّمَانِ عَلَى   نَفْسٍ وَلَوْ وَالِدًا حَقًّا لَهُ وَلَدَا

ولاَ يَرَى لَهُ مِنْ بَيْنِ الوَرَى مَثَلاً   وَلَوْ إِمَامًا عَلَيْهِ الْكُلُّ فَانْعَقَدَا

مَا دَامَ فِيهِ رَأَى خَــيْرًا وَمَرْحَمَةً   عَلَيْهِ فَلْيَعْكُفَنْ كُلَّ الزَّمَانِ مَدَا

مَعَ الْوِفَاقِ لَهُ فى كُلِّ حَالَتِهِ   سِرًّا وَجَهْرًا بِقَلْبٍ طَالَمَا حَمِدَا

وَإِن بَدَا مَدَدٌ مِنــه لَهُ فَيَرَى   عَلَى التَّوَاضُعِ لاَ يَعْــلُو بذا أَحَدَا

مَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ آدَابَ الطَّرِيقَةِ قَدْ   تَرْفُضُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِى لِذَا أَبَدَا

(١٦)

(وقال رضى الله عنه)

زَادَ وَجْدِى وَاشْتِيَاقِى ذِكْرُ مَىْ   غَادَةٍ مِن حُسْــنِهَا بَدْرُ الدُّجَىْ

جِئْتُهَا أَسْــعَى بِأَقْدَامِ المُنَى   وَبِدَمْعٍ فَايِضٍ مِن مُقْلَتَىْ

فَهَوَاهَا دُونَ قَوْمِى مَذْهَبِى   قد سَرَى فى سِرِّ سِرِّى وحُجَىْ

جُبِلَتْ رُوحِى عَلَى عِشْــقِى لَهَا   وَسُــلُوِّى غَيْرَهَا مِن كُلِّ شَىْ

يا عذولي عنكَ دعْ عذلي فلي   حالةٌ يحلو بها العذلُ لدى
كيفَ يصغي السمعُ مني في التي   قد غزتْ أجفانُها مني الحشى
غادةٌ هيفاءُ يسبي ثغرُها   ظلمُها أعذبُ من طعمِ الأرى
قد جفا جفني الكرى في حبها   وفؤادي غيرَها من كلِّ شى
عرفُها تعرفُهُ ريحُ الصبا   كلما مرَّ بها مرَّ على
فنسيمُ الليلِ من أنفاسِها   وضياءُ الصبحِ منها الوجنتى
آهِ واشواقي لضاحي خدِّها   لو بدا لي كلُّهُ في سكرتى
إنني حيرانُ فيها إنني   في هواها في صباحي وعشى
أنحلتْ جسمي نحولاً بيننا   بهواها وهو أودى المنى
قد شوتْ قلبي وقلبي فهو كمْ   نالَ شيئاً في هواها أيَّ شى
كمْ أنادي في الدجى أوّاهِ من   نارِ شوقٍ قد أسالتْ أدمعى
باحَ جفني ما بدا لي ليتَهُ   لمْ يبحْ دمعاً ولمْ ينسبْ إلى
ما خلاصي منْ هوًى ما حيلتي   من غرامٍ قد كواني أيَّ كى
في التي أضحى فؤادي عندَها   كلما فاحَ لنا منها شذى
وهيَ من آي التي في طيها   من معاني الروحِ أسنى مطلبى
نحنُ جسمٌ وهيَ روحي وهيَ لي   قبلةٌ وهيَ منانٍ قبلتي
سجدَ القلبُ لها وهي لها   تسجدُ الأفلاكُ طرًّا والثرى
كيفَ لي وصلٌ إليها بعدَ ما   قصرتْ في حبها كلتا يدى
نحنُ قومٌ ليسَ نهوى غيرَها   نحنُ فيها وهيَ أعلى جنتى

لِضِيَاءِ الْوَجْهِ مِنْهَا فِي الدُّجَى ... تَسْجُدُ الْأَمْلَاكُ طُرًّا يَا بُنَىْ
ارْحَمُوا قَوْمِي مُحِبًّا قَدْ غَدَا ... فِي هَوَاهَا دَمُهُ وَهْوَ دُمَىْ
مَا لَهُ فِي سَائِرِ الْآنَا سِوَى ... مَدْمَعٍ أَوْ لَوْعَةٍ فِي الْخَالِقَىْ
كُلَّمَا مَالَتْ غُصُونٌ بِالصَّبَا ... مَالَ شَوْقًا سِيَّمَا إِنْ قِيلَ مَىْ
كُلَّمَا نَاحَتْ حَمَامَاتُ اللِّوَى ... زَادَ حُبًّا وَاشْتِيَاقًا لِلِّوَىْ
ضَائِعَ الْقَلْبِ كَئِيبًا دَنِفًا ... بَيْنَ ذَيَالِكِ الْتَّيَّا وَاللُّتَىْ

(٢٩)

(وقال رضى الله عنه)

ظَبْيُ النَّقَا شَغَلَ الْفُؤَادَ هَوَاهُ ... وَكَوَى الْحَشَا مِنِّي لَهِيبُ جَوَاهُ
فَمَتَى ذَكَرْتُ جَمَالَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ ... ذِكْرًا لِغَيْرِهِ أَوْ هَوًى بِسِوَاهُ
يَا ظَبْيُ إِنِّي قَدْ أَرَاكَ مُعَذِّبِي ... بِفُتُورِ طَرْفٍ قَاتِلٍ مَرْآهُ
أَذْهَبْتَ عَنْ عَيْنِي الْكَرَى وَفَتَنْتَنِي ... بِالْحُسْنِ حَتَّى قُلْتُ يَا غَوْثَاهُ

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

دِينِي هَوَى لَيْلَى وَحُبُّ وِصَالِهَا ... وَلِحَاظُنَا بِالْعَيْنِ عَيْنُ جَمَالِهَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى هَذَا فَمَا ... لَهُ حَالَةٌ تُحْكَى لَدَى أَبْطَالِهَا
كَمْ مِنْ كَثِيرٍ يَدَّعِي وَصْلًا لَهَا ... وَالنَّفْسُ مِنْهُ تَرُدُّ ذَاكَ بِحَالِهَا
شَتَّانَ مَا بَيْنَ الَّذِي وَصَلُوا لَهَا ... وَالْمُدَّعِينَ بِزَعْمِهِمْ لِوِصَالِهَا
تَأْبَى الشَّرِيكَ وَحَقِّهَا لَوْ لَحْظَةً ... مِنْ أَيِّ صَبٍّ قَاصِدٍ لِنَوَالِهَا

(٥)

(وقال رضى الله عنه)

اذْهَبْ إِلَى سَلْمَى بِشَوْقٍ طَالِبًا ... وَصْلًا وَلَوْ مِقْدَارَ لَمْحَةِ نَاظِرِ

فَإِذَا بِذَلِكَ أَنْعَمْتَ فَلَكَ الْهَنَا   دُنْيَا وَفِى الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الآخِرِ

(٢)

(وقال رضى لله عنه)

خَلِّ عَذْلِى يَا عَذُولِى   فِى هَوَى عُلْوِى وَشُغْلِى
لَا تَلُمْنِى فِى هَوَاهَا   فَهَوَاهَا وَهْوَ سُبْلِى
لَوْ تَكُنْ تَدْرِى هَوَاهَا   لَمْ تَمِلْ يَوْماً لِعَذْلِى
رُبَّمَا كُنْتُ لَهَا   فِى غَدَاةٍ ثُمَّ أَصْلِى
فَاتْرُكَنْ مَا كُنْتَ تَهْوَى   فَهَوَاهَا وَهْوَ نَفْلِى
ثُمَّ فَرْضِى فِى حَيَاتِى   وَلِسَانِى يَوْمَ فَصْلِى

(٦)

(وقال رضى لله عنه)

لَمَعَتْ أَنْوَارُ سَلْمَى   لَكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابْ
غَادَرَتْ قَلْبَكَ هَذَا   فِى اشْتِيَاقٍ وَالْتِهَابْ
كَيْفَ لَوْ قَدْ شَاهَدَتْ عَيْنُكَ لِلْحُسْنِ الْمُهَابْ
لَبَقِيتَ عَدَمَا   أَوْ كَلَمْحٍ أَوْ سَرَابْ

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

لَدَىَّ إِنَّ الْجُنُونَ وَهْوَ مَحْبُوبُ   فِى فِتْيَةٍ قَلْبُهُمْ بِاللهِ مَصْحُوبُ
إِنْ رُمْتَهُ أَقْرَبْ إِلَى حَانَاتِنَا شَغَفَا   وَاشْرَبْ كُؤُوسَ كَلَامٍ وَهْوَ مَوْهُوبُ
يُفْنِى وَيُبْقِى وَيُضْحِى بَعْدَ سُكْرٍ طِلَا   بِهَا فَقَدْ هَامَ نَسِيكٌ وَمَجْذُوب

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

لَا تَحْتَجِبْ بِعَظَاهِرِ   عَنْ ذَلِكَ الْحُسْنِ الْجَمِيلْ

حزق بسيرك حجبها   لتفوز بالوصل الجليل
إن لم تكن تصغى لقو   لى قد ضللت عن السبيل

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

قد شبت فى الإسلام لكنى على   جهل عظيم فى طريقة دينى
والنفس وهى لنا تقول لك الهنا   بوراثة مع كامل التمكين
وأنا عليم فى الزمان بقولها   فى حالة التحريك والتسكين
خداعة مكارة غرارة   فتانة بحديثها الملحون
أمارة بالسوء كم بسهامها   قتلت لجمع فى الطريق مبين
وكذا لأخيار بسم ناقع   فى كوبة الإفتاء بالتحسين
قد أفسدت أقوال أقوام بما   تبديه وهى أهم من التزيين
لم يظفرن أحد بدين خالص   فى أى وقت فى الزمان وحين
إلا بذبح من فؤاد هداية   لمرادها بشجاعة ويقين
يا حسرتى ضاع الزمان وإننى   لا زلت فى سجن الهوى بظنون
أهملت وقت شبيبتى وكهولتى   شيخوختى بتلاهى فى الدين
ما صمت ما قمت الليالى بخشية   بمدامع من باطنى وجفونى
كلا ولا قيدت نفسى بالشريعة والطريقة فى جميع سنينى
لم أتعظ بكلام مولاى ولا   بمقال خير الأنبيا ياسين
كلا ولا الأموات من آبائنا   وسواهم وصحابنا وبنونى
أقسى من الأحجار قلبى يا له   من قلب سوء مفتن بجنون

يا رَبَّنَا قَرُبَ الرَّحِيـــلُ وما لَنَا عَمَـــلٌ لَدَى يَوْمِ التَّلَاقِ يَقِينِي
إِلَّا رَجَائِي فِيكَ يَا رَحْمٰنُ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ يَا بَارِينِي
ومَحَبَّتِي فِي أَحْمَـــدٍ وَشَهَادَتِي لَه بِالرِّسَالَةِ مَعْ قَوِيِّ يَقِينِي
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا سَجَعَتْ عَلَى قُضُبِ الأَرَاكِ حَمَامَةٌ وَغُصُونِ

(٢٠)

(وقال رضى الله عنه)

لَنَا حَكَتِ المَثَانِي عَنِ المَثَانِي كَلَامًا فِي الفُـــؤَادِ لَهُ مَعَانِ
إِشَارَاتٍ تَدِقُّ عَنِ الفُهُومِ فَلَمْ تُدْرَكْ لِشَخْصٍ غَيْرِ فَانِ
فَمَا فِي المُلْكِ وَهوَ لَهُ قَرَارٌ وَلَا المَلَكُوتِ فِي أَيِّ الزَّمَانِ
وَلَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا مُقِـــيمٌ وَلَا الأُخْرَى كَذَلِكَ فِي أَوَانِ

(٤٠)

(وقال رضى الله عنه)

لَوْ كَانَ يَدْرِي مُحِبُّ النَّفْسِ وَالمَالِ سِرَّ الحَقِيقَةِ لَمْ يَلْوِ إِلَى حَالِ
فَلَذَّةُ المَرْءِ فِي هَـٰذَا الحِجَابِ لَدَى أَهْلِ البَصَائِرِ أَهْلِ المَنْزِلِ العَالِي
فَإِنَّهُ مِنْ ظَلَامٍ فِي الفُؤَادِ أَتَى لَهُ مِنَ الشَّكِّ أَوْ مِنْ شِرْكِهِ الضَّالِ

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

خَـلِّ السِّيَادَةَ إِنَّهَا لَيْسَتْ تَقِي يَوْمَ القِيَامَةِ غَـيْرَ مَأْذُونٍ تَقِي
فَإِذَا لَهَا قَدْ مِلْتَ يومًا عَنْ هَوى نَفْسٍ فَأَنْتَ بِمَعْزِلٍ عَنْهَا شَقِي

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

لا تَدَّعِي مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الحِجَابْ عِلْمَ الحَقِيقَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالشَّرَابْ
لَاحِظْ لِنَفْسِكَ فِي الذَّهَابِ وَفِي الإِيَابِ تَجِدِ الجَهَالَةَ سَهْمَهَا فَلَهَا أَصَابْ

فَإِذَا عَلِمْتَ لِذَلِكَ ارْجِعْ قَبْلَ مَا ... تَفْنَى بِتَوْبٍ خَالِصٍ يَجْلِي الْعَمَى

وَاعْمَلْ عَلَى نَدَمٍ وَدَمْعٍ قَدْ هَمَى ... فَعَسَى لَكَ الرَّحْمَنُ يَفْتَحُ خَيْرَ بَابْ

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

وَلِلْمُرِيدِ شُرُوطٌ كُلُّهَا جُمِعَتْ ... فِي سَبْعَةٍ وَلَهَا أُذْنُ التَّقِي سَمِعَتْ

ذِكْرٌ وَتَقْوَى وَآدَابٌ يَكُونُ بِهَا ... وَرَعٌ وَمَعْرِفَةٌ حُبٌّ لِتِلْكَ تَلَتْ

طَرِيقَةٌ وَهْيَ إِخْلَاصٌ يَطِيبُ بِهَا ... جَمْعًا بِطِيبِ قَبُولٍ رِيحُهُ عَبِقَتْ

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

تَعَلَّمْ لِلْغَرَامِ مِنَ الْقَمَارِي ... إِذَا غَنَّتْ عَلَى شَاطِي الْبِحَارِ

وَإِنْ لَمْ تَدْرِ مَا تُومِي إِلَيْهِ ... لَعَمْرِي أَنْتَ مُلْحَقٌ بِالْحِجَارِ

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

مَتَى لِلْوِرْدِ تَتْرُكُ قَدْ تَرَكْتَ ... وَمِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ قَدْ طُرِدْتَ

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَرِيبٍ ... سَتَرْحَلُ لِلْقُبُورِ بِمَا عَمِلْتَ

وَلَا يَنْفَعْكَ مَالٌ لَا وَوُلْدٌ ... وَلَا زَوْجٌ بِهَا دَهْرًا شُغِفْتَ

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

إِذَا قَدِمَتْ عَلَيْكَ جُيُوشُ هَمٍّ ... وَقَدْ خَشِيَ الْفُؤَادُ سِهَامَ حَطْمِ

تَوَسَّلْ بِالنَّبِي بِحُسْنِ عَزْمٍ ... فَإِنَّكَ قَدْ تَجِدْ فَرَجًا قَرِيبًا

وَحَقُّهُ لَمْ تَخِبْ فِيهِ الظُّنُونُ ... وَلَوْ مِنْ فَاسِقٍ فِيهِ جُنُونْ

وَغَيْرُهُ فِي الْفُؤَادِ فَلَا يَكُونُ ... إِذَا مَا رُمْتَ غَوْثًا أَوْ لُبُوبَا

وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ بَاعٌ طَوِيلٌ ... وَلا حَالٌ لَهَا نَفْسِي تَمِيلُ
كَذَاكَ وَلاَ شَفَاعَةَ إِذْ تجُولُ ... بِحَشْرٍ يَوْمَهُ جَمْعُ الْكُرُوبَا

(٦)

(وقال رضى الله عنه)

إِذَا مَا رُمْتَ أن تَحْيَا سَعِيدًا ... وَتَبْلُغَ فى القِيَامَةِ لِلْمُرَادِ
فَرَاقِبْ لِلْمُكَرَّمِ بِاشْتِيَاقٍ ... وَصَلِّ عَلَيْهِ مَعْ صَفْوِ الْفُؤَادِ

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

بِأَخْبَارِكُمْ قَدْ سُرَّ يَا سَادَتِي بَالِي ... وَمِن قَبْلِهَا قَدْ كَانَ فى حُبِّكُمْ بَالِي
وَعَن حُبِّكُمْ ضَلَّتْ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ... وَإِنِّي إِلَيْهِ فَاهْتَدَيْتُ بِإِضْلاَلِي
سَلَوْتُ سِوَاكُمْ وَالسُّلُوُّ لِغَيْرِكُمْ ... طَرِيقِي وَأَمَّا فِيكُمُ لَسْتُ بِالسَّالِي

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

تَشَمُّ عُقُولُنَا أَنفُ الْعُقُولِ ... وَمَا لِلأَنفِ هَـذَا مِن سَبِيلِ
طَرِيقَتُهَا الْوُصُولُ وَلَيْسَ شَيْءٌ ... سِوَاه بِهِ تَقُولُ أُولُو الاصُولِ
مَتَى فى النَّفْسِ شَهْوَةُ أَيِّ وَصْلٍ ... فَأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْهُ وَعَن قَبُولِ

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

يَا مَنْ هَوَاكُمْ فِي الْفُؤَادِ أُقِيمَا ... وَمَنَحْتُمُ الْقَلْبَ الصَّفِيَّ عُلُومَا
وَسَقَيْتُمُو بَعْدَ الظَّمَا لِمُحِبِّكُمْ ... مِنْ خَمْرِ كَأْسٍ لَمْ يَزَلْ مَخْتُومَا
وَكَشَفْتُمُو عَن سِرِّ سِرٍّ طَالَمَا ... عَنَّا فَكَانَ مُحَجَّبًا مَكْتُومَا
هَلْ مِنْ وِصَالٍ فى الزَّمَانِ إِلَيْكُمُ ... يُبْقِي الْجَنَانَ مُنَوَّرًا مَعْصُومَا

(٤)

(وقال رضي الله عنه)

ذَوقُ الفُهُومِ فَلَا يَحْجُبكَ فِي الزَّمَنِ ... عَمَّن هُمُو أَهْلُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ

مِن أَيْنَ تَدْرِي وَدَعْوَى النَّفْسِ غَالِبَةٌ ... دَلِيلَكَ مَعْ غَفْلَةٍ مِنْ طَبْعِكَ الْخَشِنِ

الْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي الصَّوَابَ بِهِ ... عَلَى ضِيَاءٍ مَحَا مَا فِيكَ مِنْ دُجَنِ

فَلَا يُفِيدُكَ نَفْعًا فِي الْحَيَاةِ وَلَا ... يَقِيكَ فِي الْمَوْتِ أَوْ فِي الْحَشْرِ مِنْ فِتَنِ

(٤)

(وقال رضي الله عنه)

لَا يَسْتَرِيحُ الْمَرْءُ إِلَّا بَعْدَمَا ... يَأْتِي إِلَيْنَا اللهُ بَعْدَ وُقُوفِنَا

اعْمَلْ عَلَى خَوْفٍ عَسَى وَعَسَى بِهِ ... تَلْقَى النَّجَاةَ هُنَاكَ بَيْنَ صُفُوفِنَا

(٢)

(وقال رضي الله عنه)

طَرِيقَتُنَا سِرٌّ وَلَيْسَ يَنَالُهَا ... سِوَى تَارِكِ الْأَهْوَا وَزَاهِدِ دُنْيَاهُ

وَمَا زَالَ مَهْمُومًا وَسَاكِبَ أَدْمُعٍ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ وَهُوَ يَرَاهُ

(٢)

(وقال رضي الله عنه)

إِذَا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي لِعَاقِبَةِ الْأَمْرِ ... فَرُؤْيَاكَ هَازِي النَّفْسِ مِنْ أَبْلَغِ الْخُسْرِ

أَلَسْتَ عَلَى حَالٍ وَلَوْ كُشِفَتْ لَمَا اسْتَطَعْتَ ... جُلُوسًا عِنْدَ زَيْدٍ وَلَا عَمْرِو

أَتَضْحَكُ مَعْ هَذَا الْخَفِيِّ وَأَنْتَ عَنْ ... قَرِيبٍ سَتَفْنَى ثُمَّ تُدْخَلُ فِي الْقَبْرِ

وَفِيهِ فَلَا غَوْثٌ سِوَى تَوْبِ بَاطِنٍ ... تَكُونُ نَصُوحًا وَهْيَ قَبْلَ انْتِهَا الْعُمْرِ

(٤)

(وقال رضي الله عنه)

اقْرَبْ إِلَى حَانِنَا فَالْكَأْسُ مَوْهُوبَهْ ... لَكِنْ لِنَفْسٍ لَدَيْنَا وَهْوَ مَحْبُوبَهْ

قَامَتْ بِشَرْطٍ بِهِ أَمَّتْ مَسَالِكَنَا ... عَلَى سُلُوكٍ بِهِ قَدْ دَارَتِ الْكُوبَهْ

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

ستندم بالبعاد عن اتصالى إذا ما حان وقت الإرتحال
أراك معى ولست معى بقلب يذيقك كأس جريال الجمال
إذا منى بعدت على معاص وفى قربى على حال اختيال
فويحك ثم ويحك يا فلان على عمر تقضى فى ضلال

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

ستزهدك الأخرى كما قد زهدتها إذا مالها بالموت أنت دخلتها
هناك لا تلقى سوى المقت والردى وحسرة أعمال هنا قد عملتها

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

إن الطريق إلى المهيمن واضح للسالكين له ونوره لايح
إن لم تكن قبل الممات سالكه بمحبة لا شك أنت الرائح
لحويلة النقص الذى من فيه لم يفلح ولم يك وهو عبد صالح

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

لا تدعى علما بغير مذاق تصفو به من دعوة ونفاق
حسد النفوس وكبرها مع حبها دنيا كذا مع عجبها وحناق
لا دين معه فى الحياة به امرؤ يسقى به كأس المدير الساقى
كلا ولا حال بها يسمو غدا فى حضرة الأشهاد والخلاق

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

نصحتك والنصيحة للبليد فلم تمنعه عن سبل الصدود

يؤوِّلُ كلَّ معنًى فيهِ رُشدٌ ‏ ‏ ‏ إلى معنًى بعيدٍ عن مزيدِ
لِكَيْ عن نقلِ هذا يستريحُ ‏ ‏ ‏ ويسلكُ نهجَ شيطانٍ مَريدِ
كَكِذْبٍ ثمَّ لهوٍ ثمَّ لغوٍ ‏ ‏ ‏ وصُحبةِ غافلٍ نكدٍ طَريدِ

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

اسلُكْ طريقتَنا فإنَّ طريقنا ‏ ‏ ‏ نهجُ النبيِّ المصطفى من هاشمِ
لا تجهلَنْ أحوالَنا بوسواسٍ ‏ ‏ ‏ أو قولِ أفّاكٍ أثيمٍ لائمِ
فإذا سلكتَ مؤدِّيًا لشروطِها ‏ ‏ ‏ نزلتْ عليكَ فيوضُها كغمائمِ

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

يا مَنْ شُغلتُمْ بالجنيهِ ‏ ‏ ‏ عن نهجِ هادينا الوجيهِ
أفٍّ لكُمْ مِنْ رُجْلةٍ ‏ ‏ ‏ أفسدتُمو العقلَ النبيهِ
ولهٌ خذوا لا شكَّ إ ‏ ‏ ‏ نَّ الشؤمَ قاتلَكُمْ لفيهِ
هلّا استحيتُمْ من وفا ‏ ‏ ‏ قِكُمو بنيهِ وعابديهِ
إنْ لمْ تتوبوا الإلـ ‏ ‏ ‏ ـهِ بقلبِ جنسِكُمُ وفيهِ
لا ريبَ أنتُمْ تُحشَرو ‏ ‏ ‏ نَ غدًا جميعًا معْ ذويهِ

(٦)

(وقال رضى الله عنه)

إلى حيِّ الحبيبِ بعثتُ روحي ‏ ‏ ‏ فآبَ بمرهمٍ أشفى جُروحي
حديثَ صبابةٍ والجرحُ كانَ ‏ ‏ ‏ بنا منها لدى بدءِ الفتوحِ
شفائي كانَ مِنْ سقمي وسُقمي ‏ ‏ ‏ لدينا مِنْ شفاءٍ عندَ ريحي
إذا لمْ تدرِ أقوالي وحالي ‏ ‏ ‏ وسرَّ النهجِ الحسنِ المليحِ

فلا تدخلْ مضايقنا فتبقى   ذليلاً مُبْعداً عن شمِّ ريحي

(٥)

(وقال رضى الله عنه)

نحنُ الكرامُ بنو العباس هل أحدٌ   لنا يُفاخرُ فى عُرْبٍ وفى عجمِ
أيضاً وآلُ رسول الله أفضلُ من   مشى على الأرض بين الناس بالقدمِ
أهلُ الكساء فمنا فالفخارُ لنا   بهم وأحمدَ والعباسِ جدِّهمِ
كذاك حمزةُ ليثُ الله خيرُ فتى   بين الكتائبِ يومَ الضربِ كالعلمِ
ونحنُ بينَ أولاكَ جدُّنا فلهُ   يقولُ أفضلُ خيرِ الرسلِ كلِّهمِ
فأنتَ ابني كإبراهيمَ هل أحدٌ   يُعزى لجدهِ قولاً مثلَ ذا بفمِ
لولا حمايتهُ السودانِ أجمعهمْ   صاروا بتصريفِ أهلِ اللهِ فى عدمِ
قد قالَ ذلكَ مجذوبُ الفؤادِ إلى   حضائرِ القربِ ربُّ الكشفِ والهممِ
لولا مخافةُ مولانا بذاكَ وذا   قلنا لنا الدهرُ عبدٌ مدةَ الدومِ

(٩)

(وقال رضى الله عنه مشطراً)

حلفتُ يميناً ما ألفتُ لغيركمْ   لأنَّ حشاى قد حُشِى بهواكمُ
لأنتمْ مُنى قلبي من الناسِ كلِّهمِ   وإنَّ فؤادي لا يحبُّ سواكمُ
سقاني الهوى كأساً من الحبِّ مُترعاً   فهمتُ به وجداً لوصلِ حماكمُ
فللهِ من ساقٍ به ابتهجَ الحشا   فيا ليتهُ لما سقاني سقاكمو
ويا ليتَ ذاكَ الحبَّ يُقسمُ بيننا   وبينكمْ فى الحانِ عندَ لقاكمو
ويا ليتَ روحي عندكمْ وصبابتي   وداعي الهوى لما دعاني دعاكمو
فنحيا جميعاً تحتَ ظلِّ ودادكمْ   ونهنى مدى أوقاتنا لهناكمُ

وَنُدْرِكُ مَا قَدْ فَاتَ مِنَّا مِنَ الْجَفَا ... وَنُعْطَى الْمُنَى مِنْكُمْ وَنُعْطُوا مُنَاكُمُ
وَإِنِّى لَآتٍ أَرْضَكُمْ لَا لِحَاجَةٍ ... يَرَاهَا امْرُؤٌ فِى النَّاسِ وَهْوَ جَفَاكُمُ
وَلَـكِنْ لِأَمْرٍ فِى حَشَايَ وَإِنَّهُ ... لَعَلِّى أَرَاكُمْ أَوْ أَرَى مَنْ يَرَاكُمُ
إِذَا لَمْ يَـكُنْ بَيْنِى وَبَيْنَكَ مُرْسَلٌ ... بِهِ يَسْتَرِيحُ النَّفْسُ حَيْثُ يَقُولُ
فَلَا تَشْغَلَنَّ مِنْكَ الْفُؤَادَ بِمُرْسَلٍ ... فَرِيحُ الصَّبَا مِنِّى إِلَيْكَ رَسُـــولُ

(١٢)

(وقال رضى الله عنه)

يَا مُسْلِمِينَ عَلَى شَهَادَتِنَا اشْهَدُوا ... أَنْ لَا إِلَهَ سِـــوَى الَّذِى هُوَ يُوجِدُ
وَكَذَا اشْهَدُوا أَنَّ الْأَمِينَ مُحَمَّدًا ... هُوَ عَبْدُهُ وَرَسُـــولُهُ الْمُتَفَرِّدُ
خَتَمَ النُّبُوَّةَ لَيْسَ يَأْتِى بَعْدَهُ ... أَبَدًا نَبِيٌّ أَوْ رَسُـــولٌ يُسْعِدُ

(٣)

(وقال رضى الله عنه)

عَجَبًا فَإِنِّى قَدْ أَرَى أَهْلَ الدُّنَا ... أَحْوَالُهُـــمْ فِى حُبِّهَا تَزْدَادُ
وَأَرَى بَنِى الْأُخْرَى كَأَنَّهُمُو لَهَا ... فِى فِعْلِهِمْ فِى حَالِهِمْ زُهَّـــادُ

(٢)

(وقال رضى الله عنه)

لَا تَتَّخِذْ أَبَدًا صَـدِيقًا فِى الزَّمَنْ ... هَذَا وَلَوْ قَدْ قِيـلَ إِنَّهُ مُؤْتَمَنْ
عُدِمَ الصَّدِيقُ وَمَنْ يَرَى غَيْرَ الَّذِى ... قَدْ قُلْتُـــهُ فَهْوَ الْبَلِيدُ الْمُفْتَتَنْ
فَسَدَ الزَّمَانُ وَصَارَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ ... فِى بِدْعَةٍ وَغِيمَةٍ حَسَـــدٍ إِحَنْ
لَعِبُوا بِدِينِهِمْ مَعَ الدَّعْوَى الَّتِى ... قَدْ رَدَّهَا نَصُّ الْكِتَابِ مَعَ السُّنَنْ
اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ وَهْوَ عَلَيْهِمُ ... أَنْسَاهُمُو نَهْجَ الْهِدَايَةِ فِى الزَّمَنْ
تَبِعُوا الْعَـدُوَّ وَلِاتِّبَاعِهِ حَسَّنُوا ... بِكَلَامِ غَىٍّ إِنَّهُ ضِـــدُّ الْحَسَنْ

صُمٌّ فَلَيْسَ لَهُمْ مَسَامِعُ بَلْ وَلَا ... بَصَرٌ وَلَا عَقْلٌ فَيُدْرِكُ لِلْفِتَنْ

فُتِنُوا وَحَقِّ مُحَمَّدٍ وَمَلِيكِهِ ... فِي دِينِهِمْ وَلَهُ فَبَاعُوا بِالثَّمَنْ

أَيِ الْقَلِيلِ لِزُهْدِهِمْ فِيهِ وَقَدْ ... سَاقَتْهُمُ الْأَهْوَا لِحُطْمَةَ بِالرَّسَنْ

فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِلْقَوْمِ الَّذِي ... قَدْ أَصْحَبُوهُمْ فِي الْإِقَامَةِ وَالظَّعَنْ

لِمَنَاصِبٍ وَأَكِيلَةٍ وَشُرَيْبَةٍ ... لِفَسَادِ إِيمَانٍ وَإِصْلَاحِ الْبَدَنْ

مِنْ هَؤُلَاءِ الْبَعْضُ مَالَ لِمَنْهَجٍ ... لَفْظًا بِلَا مَعْنَى فَيَظْهَرُ لِلْفِطَنْ

وَلَهُمْ عَلَامَاتٌ فَهَا كَهَا يَا فَتَى ... قَدْ أَحْدَثَتْهَا أَنْفُسٌ مَلِئَتْ دَرَنْ

رَدُّ النُّصُوصِ وَبُغْضُهُمْ لِأُولِي النُّهَى ... مِنْ عَالِمٍ مِنْ صَالِحٍ مِنْ مُؤْتَمَنْ

بَلْ حِلْمُهُمْ فِي نَوْمِهِمْ خَيْرٌ لَهُمْ ... مِمَّا رُوِي عَنْ سَيِّدِ الدُّنْيَا بِمَنْ

لَا نَصَّ عِنْدَهُمُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ... وَعَلَى عَقَائِدِهِمْ بِمُنْزَلٍ أَوْ سَنَنْ

فَإِذَا سَأَلْتَهُمُ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي ... فِيهِ أَجَابُوا بِالْجَرَاءَةِ وَالْفِتَنْ

إِنْ قُلْتَ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... غَضِبُوا لِذَاكَ وَأَظْهَرُوا سُوءَ الْحَزَنْ

وَلَهُمْ ضَغَائِنُ فِي الصُّدُورِ عَدِيدَةٌ ... وَلَهُمْ كَمِينٌ لَاحَ فَوْقَ الْوَجَنْ

فَكَأَنَّ مِفْتَاحَ الْجِنَانِ بِيَدِهِمْ ... وَالْخِزْيُ لِلنَّائِينَ عَنْهُمْ وَالسَّكَنْ

مَعْ ذَا لَهُمْ فِي خَيْرِ أُمَّةِ أَحْمَدٍ ... إِنْكَارُ فِي سِرٍّ كَذَاكَ وَفِي عَلَنْ

وَالِارْتِدَادُ طَرِيقُهُمْ فِي جَمْعِهِمْ ... وَلَدَى السُّؤَالِ لِمَنْ تَفَطَّنَ أَوْ وَزَنْ

وَجَمِيعُ دِينٍ غَيْرُ مَا هُمْ فِيهِ لَا ... هُوَ عِنْدَهُمْ دِينٌ وَلَوْ وَفْقَ السُّنَنْ

فُتِنُوا وَقَدْ فَتَنُوا وَمَا زَالُوا عَلَى ... غَيٍّ شَدِيدٍ لَا تُكَفِّيهِ الْأُسُنْ

رَحِمَ الْإِلَهُ لِكُلِّ شَخْصٍ قَدْ نَأَى ... عَنْهُم وَعِنْدَ الِارْتِدَادِ لَهُمْ لَعَنْ

أَمْ كَيْفَ لا ولدينِ أَحْمَدَ بدَّلُوا ... حَقًّا بِحُلْمٍ فى نوعِهِ أَوْ وَسَنْ

فَإِذَا أَردتَ أَن تَـكُونَ لَدَيْهِمِ ... مَحْبُوبَ فانفِ سِوَى كَمَالِهِم بِلَمْنْ

فوحقِّ دِينِى هَؤُلاءِ جَمِيعُهُمْ ... أَعْدَاءُ كُلِّ مُحَمَّدِيٍّ فِي الزَّمَنْ

لا خيرَ فِيهِمْ كُلُّهِمْ فَجَلِيلُهُمْ ... وَحَقِيرُهُمْ عِندى كَأَقذارِ الدِّمَنْ

(٢٩)

(وقال رضى الله عنه)

اتبِعْ شَرِيعَةَ أَحْمَـدَ الْمُخْتَارِ ... إِنْ رُمْتَ تَنْجُو مِنْ دُخُولِ النَّارِ

وَإِذَا عَصَيْتَ اللهَ فَارْجِعْ تَائِبًا ... بِمَدَامِـعٍ كَالْوَابِلِ الْمِـدْرَارِ

وَاكْثِرْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَاصْحَبْ كَامِلاً ... مُتَحَقِّقًا بِحَقِيقَـةِ الْأَبْرَارِ

فَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ الطَّرِيقَةِ لَمْ تَزَلْ ... فِى حَـيْرَةٍ فى لَيـلةٍ وَنَهارِ

لا وصلَ للمولى سوى برجال نَهْـجِ ... العارِفِ الشيخِ الْجُنَيْدِ السَّارِى

فَإِذَا تَرَكْتَ لِقَوْلِنَا فَكَأَنَّمَا ... بَدَّلْتَ لِلْإِبْرِيزِ بِالْأَحْجَـارِ

(٦)

(وقال رضى الله عنه مخمساً)

مُرِيدَ الهوى إِنْ رُمْتَ شُرْبَ المحبةِ ... وَفَوْزًا وَإِكْرَامًا وَنَيْلاً لِرُتْبَةِ

فَشَمِّرْ عَلَى سَاقٍ بِصَفْوِ سَرِيرَةٍ ... إِذَا مَا دَعَتْكَ النَّفْسُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ

وَكَانَ عليها للخلاف طَرِيقُ

فَأَمَارَةٌ بالسُّـوءِ كَمَا اللهُ اعْلَمَا ... وَمَنْ يَتَّبِعْهَا ضَلَّ فِي مَنْهَجِ العَمَى

فَلاَ تَخْدَعَنْكَ بالحديثِ لِتَأْثَمَا ... وَخَالِفْ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا

هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالخلافُ صَدِيقُ

(٦)

(وقال رضى الله عنه)

نَسَبُ المَحَبَّةِ وَالتُّقَى خَيْرُ النَّسَبِ ... وَبِهِ فَيَرْقَى المرءُ أوْجَاتِ الرُّتَبْ

وَسِوَاهُ لَمْ يَنفَعْ لَدَى يَوْمِ القَضَا ... شَخصًا بِهِ مُتَمَسِّكًا وَلَهُ أحَبْ

انظرْ إلى سَلمَانَ ذَاكَ الفَارِسِى مَعَ النَّسِيبِ ابنِ العِظَامِ أَبِى لَهَبْ

فَلِذَاكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ بلا امْتِرَا ... وَلِذَا فَنَارٌ ذَاتُ حَرٍ مَعْ لَهَبْ

(٤)

(وقال رضى الله عنه)

يَا أَيُّهَا الصُّوفِىُّ بَالِغْ فِى الصَّفَا ، ... وَأَزِلْ لِأَكْدَارِ الفُؤَادِ مَعَ الجَفَا

أَطِعِ الذِى أَحْبَبْتَهُ وَلِأَجْلِهِ ، ... إِنْبُذْ لِآلَاءِ الدُّنَا خَلْفَ القَفَا

وَاطْوِ الضَّمِيرَ عَلَى عَقِيدَةِ سُنَّةٍ ... وَكِتَابِ حَقٍّ لِلعَقَائِدِ قَدْ نَفَا

دَاوِمْ عَلَى وِرْدِ الطَّرِيقَةِ كَىْ بِهِ ... تَشْرَبْ مِنَ الحَضَرَاتِ كَأْسًا قَرْقَفَا

وَاظِبْ عَلَى حَرْبِ الدُّنَا وَهَوَى وَشَيْطَانٍ وَنَفْسٍ حَرْبُهَا قَدْ خَوَّفَا

وَالمُرْجِفِينَ مِنَ الأَنَامِ جُنُودِهَا ... وَالحَاسِدِينَ وَمَنْ بِرَأْىٍ أَضْعَفَا

وَاسْتَوْفِ آدَابَ الرِّيَاضَةِ وَاغْتَنِمْ ... آثَارَ حَبْرٍ بِالنَّبِىِّ قَدِ اقْتَفَا

حَدِّثْ لِنَفْسِكَ بِالذِى يُغْضِبْهَا لَا ... بِسِوَاهُ إِنْ رُمْتَ التَّحَقُّقَ بِالصَّفَا

وَأَزِلْ صِفَاتِكَ بِالصِّفَاتِ لِصَفْوِهَا ... فِى حَضْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ تَهَبُ الوَفَا

لِتَرَى السِّوَى عَدَمًا بِسِرِّ الوَهْمَةِ ... لِلغَيْرِ مَانِعَةٍ بِهَا السُّكُونُ اخْتَفَى

وَاغْمِضْ عُيُونَكَ فِى الزَّمَانِ لِتَشْهَدَنْ ... رَشَأَ النُّجُودِ أَوِ النُّورِ الأَهْيَفَا

وَكَذَا إِلَى سَفْحِ اللَّوَاعِجِ مُغْرَمًا ... وَلِدَارِ سَلْمَى حَىٌّ لِلدَّمْعِ اذْرِفَا

وَيحَ الذِى كَدَرُ النُّفُوسِ وَرَانُهَا ... أَعْمَى فُؤَادَهُ عَنْ طَرِيقِ المُصْطَفَى

إِنْ صَحَّ صِدْقُكَ فِى المَحَبَّةِ لَمْ تَقِفْ ... بِوَسْوَاسٍ أَوْ بِامْرِئٍ قَدْ عَنَّفَ

كُنْ دَائِمًا مُسْتَيْقِظًا مَا أَهْلَكَ الشَّيْطَانُ إِلَّا مَنْ لَدَى حَرْبٍ غَفَا

فى أىِّ حَرْبٍ فَاقْتَحِمْ وَاضْرِبْ بِسيـ ـفِ قاطِعٍ جَيْشًا أَتَاكَ لِيتْلِفَا
وَاخْرِقْ حِجَابًا مانِعًا وَاسْحَقْ كَذَا لِلْكَوْنِ وَامْحَقْ فَأَنِبْا مُتَصَرِّفَا
واخْرُجْ عَنِ التَّكْلِيفِ وَالتَّكْيِيفِ لِلتَّشْرِيفِ كَىْ يُوحَى إِلَيْكَ هنا قِفَا
ارْجِعْ إِلَى الكَونِ المبارَكِ مُرْشِدًا لِلسالِكِينَ وَنَاصِرًا وَمُشَرَّفَا

وقال رضى الله عنه مشطراً لعينية القطب الربانى سيدى الشيخ محمد السمان رضى الله عنه

ظهرتُ وشمسى فى البَرِيَّةِ سَاطِعُ بِأَنوارِ أَسْرَارٍ بها الدهر وَالِعُ
وَقَلْبِى فى الحُسْنِ البديعِ مُطَالِعُ وَكُلِّى لِأَسْرَارِ الوُجُودِ مَطَالِعُ
وَمُذْ لَاحَ بَدْرِى فى سَمَائِى لِنَاظِرِى بِمَيْزِ فُؤَادٍ نورُهُ يَتَلَامَعُ
فَفِى سَائِرِ الأنحاء طُولاً وَعَرْضها أَفَلْنَ نُجُومُ الغَيْرِ وَهِىَ طَوَالِعُ
وَلِى لَمَّا جُنَّ عَادَ بِطَلْعَتِى نَهَارًا لَهُ تَرْنُو النُّفُوسُ الطَّوَائِعُ
وَقَدْ صَارَ وَجْهِى فِى اللَّيَالِى جَمِيعِهَا صَبَاحًا فَأَنْوَارِى شُمُوسٌ سَوَاطِعُ
أَنَا كُنْتُ مَكْنُونًا لِسِرِّ عَلِمْتُهُ بِتَعْلِيمِ وَحْىٍ قَدْ حَوَتْهُ الأَضَالِعُ
وَعُلِّمْتُ عِلْمًا بَعْدَ هَذَا تَفَضُّلاً وَعَنْ فَهْمِهِ إِدْرَاكُ غَيْرِى قَاطِعُ
وَيَوْمَ أَلَسْتُ الكلُّ جاء لِدَعْوَتِى مِنَ الصَّحْبِ مَنْ فِى العِلْمِ كَانُوا وَبَايَعُوا
وَمَالَ مُرِيدِى فى الوُجُودِ تَوَاجُدًا وَهَامَ بِحُسْنِى وَالدُّمُوعُ هَوَامِعُ
تَمَشَّقَتْ ذَاتِى حِينَ لَاحَتْ لِأَعْيُنِى مَرَاتِبُ عِزٍّ وَهِىَ وَهِىَ بَوَادِعُ
وَلَمَّا رَأَى مِن بَعْدِ مَحْوِىَ بَاطِنِى صِفَاتِى فَطَرْفِى فِى جَمَالِىَ رَاتِعُ
أُشَاهِدُ فى مِرْآةِ ذَاتِى بِمَسْمَعِ إِلَى أَنْ تَبَدَّتْ لِى بِذَاكَ مَسَامِعُ
أَرُوحُ وَأَغْدُو هَائِمًا وَمُتَيَّمًا صِفَاتِى فَأَصْبُو نَحْوَهَا وَأُسَارِعُ
فَكُلُّ وُجُودِى بِى مَشُوقٌ وَهَائِمٌ إِذَا مَا لَهُ لَاحَتْ بُرُوقٌ لَوَامِعُ

وَعَقْلِيَ عن سِرِّى فَصَارَ مُحَجَّبًا ... وَقَلْبِيَ فِي وَصْلِي وَقُرْبِيَ طَامِعُ

وَأَيْسَرُ مَا حُسْنِي يَهِيمُ بِبَعْضِهِ ... جَمِيعِي وَجَمْعِي كُلُّهُ وَالْمَجَامِعُ

وَعَيْنِي لَمْ تَنْظُرْ سِوَى الْحُسْنِ شَاهِدِي ... فُؤَادِي وَنَفْسِي فِي الْغَرَامِ تُتَابِعُ

فَسَمْعِي مُشْتَاقٌ لِيَشْهَدَ بَهْجَتِي ... بِأَنْوَارِهَا كَيْ مَا إِلَيْهَا يُسَارِعُ

وَكُلِّي بِهَا مِنْهَا إِلَيْهِ مُوَلَّهٌ ... وَطَرْفِيَ مُمْنِعٌ وَالْفُؤَادُ يُرَاجِعُ

وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ جَعَلْتُهَا ... لِإِرْثِي نَبِيًا وَهْوَ فِي العرض شَافِعُ

خَنِيتُ بِهَا عَنِّي بِحُسْنِ لَطَافَةٍ ... فَهَا هُوَ كُلِّي نَحْوَهَا الْيَوْمَ خَاشِعُ

أَقُولُ لَهَا لَمَّا بِقَلْبِي تَحَجَّبَتْ ... بِأَسْتَارِ أَسْرَارٍ لَهَا الْحُكْمُ رَاجِعُ

فَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ ... وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالْفُؤَادِ مَوَاضِعُ

أَيَا رَبَّةَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَنَا الَّذِي ... إِلَيْكِ لَمُشْتَاقٌ لِعِزِّكِ خَاضِعُ

وَلَكِنْ بِمَا قَاسَيْتُ فِيكِ مِنَ الْجَوَى ... دِيَارِي بِفَرْطِ الْهَجْرِ مِنْكِ بَلَاقِعُ

أَيَحْسُنُ هَذَا الْفِعْلُ مِنْكِ بِمُغْرَمٍ ... عَلَيْهِ مِنَ الشَّوْقِ الْأَلِيمِ خَلَائِعُ

كَئِيبٍ وَمَحْزُونٍ مَشُوقٍ وَمُدْنَفٍ ... حَشَاهُ بِجَذْوِ الْبَيْنِ بُعْدُكِ لَاذِعُ

فَلَا تُنْكِرُوا يَا عَاذِلِينَ تَوَلُّهِي ... بِمَحْبُوبَةٍ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا زَعَازِعُ

وَأَجْرِي دُمُوعٍ عِنْدَ رُؤْيَايَ حُسْنَهَا ... وَقَوْلِي لِنَفْسِي وَالْغَرَامُ يُنَازِعُ

فَجَلَّ جَمَالِي عَنْ شَبِيهٍ تَنَزُّهًا ... وَلَيْسَ لِكُلِّ النَّاسِ فِيهِ مَطَامِعُ

فَإِنْ رُمْتَ مِنِّي فَهْمَ بَعْضِ حَقِيقَتِي ... فَرَوْضُ جَمَالِي بِالْكَمَائِمِ يَانِعُ

وَجَلَّ جَمَالِي أَنْ يُشَاهَدَ أَوْ يُرَى ... لِأَيِّ امْرِئٍ فِينَا تَجِدْهُ يُخَادِعُ

وَلَسْتُ أُبِيحُ الْحُسْنَ يَوْمًا لِنَاظِرٍ ... لِغَيْرِي فَمَا غَيْرِي لِحُسْنِي يُطَالِعُ

فَفِي لِحُسْنِي سَاجِدٌ إن مَرَّتْ لَهُ   رِيَاحُ اشْتِيَاقٍ إنَّنِي بِهِ وَالِعُ

وَإن مَرَّ بِي فِي جَمْعِ جَمْعِي وَغَيْبَتِي   نَسِيمٌ فَكُلِّي نَحْوَ ذَاتِي رَاكِعُ

وَإنْ نَاحَ وَرْقٌ فِي الرُّبَا أو تَرَاسَلَتْ   حَمَايِمُ أَيْكٍ ذَاكَ مِنِّي وَاقِعُ

وَإن غَرَّدَتْ مِنْ فَوْقِ أَفْنَانِ رَوْضَةٍ   مُطَوَّقَةٌ إنِّي الْكَلِيمُ السَّاجِعُ

وَوُرْقُ الحِمَا تَشْدُو عَلَى بَانَةِ الفَضَا   بِأَلْحَانِ أَسْرَارٍ وهُنَّ بَدَائِعُ

وَلَا تَجْهَلُوا هَذا ولَكِن لِي اسمعُوا   وَإنِّي الذي بِالْبَانِ فِي الرَّوْضِ سَاجِعُ

فَنُجْلُ الحَيَا تَبْكِي بِمَادِي وَمَاسِوَى   مَقَامِي لَهُ ذَاكَ الْبُكَا وَهْوَ رَاجِعُ

وَلَيْسَ رِيَاضٌ وَهِيَ تُسْقَى بِغَيْرِ مَا   جُفُونِي التي مِنْهَا تَسُحُّ الْمَدَامِعُ

وَلَيْسَ سِوَايَ أُمٌّ تَحْوِي وَلَا سِمِي   بِرُوحٍ لَهُ حَالٌ لَدَيَّ مُوَادِعُ

وَمَا شَبَّهَتْ نَفْسِي لَهَا وَهِيَ أَوْمَأَتْ   إلَيَّ وَلَا لَاحَتْ لِعَيْنِي الْمَرَابِعُ

تَطَوَّرْتُ فِي الأشياءِ طُراً جَمِيعِهَا   بِعِنِّي لَهُ فِي نَفْسِ قَوْمِي مَوَاقِعُ

وَأُفْنِيتُ عَن كُلِّي بِكُلِّي تَحَقُّقاً   وَكُلِّي لِأَسْرَارِ الْوُجُودِ مَنَابِعُ

وَكُلُّ مَلِيحٍ صُورَةُ الحُسْنِ وجْهُهَا   وَقَلْبٌ وروحٌ نَيِّرٌ مُتَلَامِعُ

جَمِيعِي فِي حَانَاتِ جَمْعِي وَقَهْوَتِي   بِنُورِ صِفَاتِي لِأَنَّهَا يَتَلَامَعُ

وَوَجْهِي جَمِيلٌ جَلَّ مُنْشِيهِ فِتْنَةً   بِهِ كَمْ كَثِيرٍ لِي فَصَارَ يُنَازِعُ

فَشَوْقِي بِهِ قَد صَارَ حَالِي مُحَوَّلاً   وقلبي بِهِ مُضْنَى الجَوَانِحِ وَالِعُ

وَكُلٌّ يُرِيدُ الْوَصْلَ مِنِّي وَهَا أَنَا   بِعَيْنِ وِصَالِي لِلْغُيُوبِ أُطَالِعُ

وِصَالُتُ وَمِنْ وَصْلِي رَقِيتُ وَإنَّنِي   قَرِيبٌ وَلَكِن دُونَ وَصْلِي مَوَانِعُ

فَقَلْبِي بِحُسْنِي مُغْرَمٌ ومُتَيَّمٌ   بِشُرْبِ خُمُورٍ نُورُهَا مُتَسَاطِعُ

وَسَمْعِي سَارٍ فِي شُهُودِي تَلَذُّذًا … وَطَرْفِي فِي رَوْضَاتِ حُسْنِيَ رَاتِعُ

تَحِنُّ إِلَيَّ العِيسُ شَوْقًا لِعِلْمِهَا … تَجِدُّنِي وَكَمْ مِنِّي إِلَيْهَا مَنَافِعُ

لِذَاتِي قَدْ أَمَّتْ رَكَائِبُ كَيْ بِذَا … تَحُطُّ بِحَيِّ وَهِيَ نَحْوِي تُسَارِعُ

وَمَا قُلْتُ حَتَّى صَارَ سَمْعِي وَنَاظِرِي … بِتَسْلِيمِ قَلْبِي وَهُوَ لِلضُّرِّ دَافِعُ

تَصَرَّفْتُ فِي كُلِّ الكَوَائِنِ كَيْفَ لَا … وَكَفِّي لِسَانِي سَاعِدٌ لِي أَصَابِعُ

وَقَدْ جَاءَ عَنْ طٰه حَدِيثٌ مُقَدَّسٌ … لِتَقْدِيسِ قَلْبٍ وَهُوَ لِلْحَقِّ سَامِعُ

فَيَالَهُ مِنْ مَعْنًى شَرِيفٍ وَإِنَّهُ … عَنِ الحَقِّ يَرْوِيهِ النَّبِيُّ المُتَوَاضِعُ

لَهُ كُنْتُ سَمْعًا نَاظِرًا رِجْلًا يَدًا … لَهَا الحُكْمُ فِي عَاصٍ كَذَلِكَ طَائِعُ

وَمِنْ حُبِّهِ إِنِّي فَنِيتُ بِقُرْبِهِ … فَبِي نَاطِقٌ بِي نَاظِرٌ بِي سَامِعُ

فَبِاللهِ لَا بِي قُلْتُ قَوْلًا مُحَقَّقًا … لِمَعْنًى لِمَعْنَى السِّرِّ فِي النَّفْسِ طَابِعُ

فَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ قَوْلًا كَمِثْلِهِ … تَضَمَّنَ مَعْنًى وَاحِدَ القَصْدِ جَامِعُ

فَيَا مُنْكِرًا إِنْ رُمْتَ تَفْهَمُ سِرَّ مَا … ثِمَارُ عُلُومِ الحَقِّ مِنْهُ أَيَانِعُ

وَتَنْظُرُ تَحْقِيقًا بِعَقْلِكَ سِرَّ مَا … تَضَمَّنَ قَوْلِي قُمْ وَأَنْتَ مُسَارِعُ

وَكُنْ وَاعِيًا لَفْظِي تَجِدْهُ مُوَافِقًا … لِفَهْمِ امْرِئٍ لِلْحَقِّ وَهُوَ يُطَاوِعُ

فَكُلِّيَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَحَالَتِي … لِشَرْعِي طِبْقًا لَيْسَ فِيهِ بَدَائِعُ

وَأَقْبِلْ بِصِدْقٍ ذَا اعْتِرَافٍ مُسَلِّمًا … وَإِنْ لَامَ لُوَّامٌ وَبَالَغَ رَادِعُ

وَمَزِّقْ ثِيَابًا عَنْ هَوًى قَدْ لَبِسْتَهَا … بِحُسْنِ اعْتِقَادٍ وَلَا تَشِنْهُ خَدَائِعُ

وَسَلِّمْ إِلَى الأَمْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ … بِقَلْبٍ صَفِيٍّ لَيْسَ فِيهِ تَنَازُعُ

وَطَهِّرْ مِنَ الأَرْجَاسِ قَلْبَكَ مُسْرِعًا … وَكُنْ سَامِعًا نَهْيِي لِأَمْرِي طَائِعُ

وَنَفْسَكَ فَادْفِنهَا بِطِينَةِ ذُلِّهَا ... لِينبتَ فيهَا مَا لَهُ القَلْبُ زَارِعُ
وَرِفْعَتِكَ ابْذِلهَا بخفضِكَ دَاعِيًا ... وَعِزَّكَ مِنْ أَجْلِي بِذُلِّكَ بَايِعُ
فَقِيرًا حَقِيرًا ذَا انْكِسَارِ وَتَارِكًا ... لِحَالٍ بِهَا عَنَّا فَضَلَّ المُخَادِعُ
إِلَىَّ اقبِلَنْ سِرًّا وَجَهْرًا مَحَبَّةً ... سِوَاىَ وَغَيْرِى حُبُهُ عَنكَ نَازِعُ
لأَسْقِيكَ خَمْرًا عُتِّقَتْ فِى دِنَانِهَا ... مُشَعْشَعَةً فى كَأسِهَا تَتَلَامَعُ
مُنَزَّهَةً عَن وَصْمَةٍ وَمَفَاسِدِ ... مُقَدَّسَةً مِن نُورِهَا الكَونُ سَاطِعُ
بِهَا هَامَ شِبْلِىٌّ وجُنَّ بِشُرْبِهَا الْ ... سرىُّ ومعروفٌ أُوَيْسٌ وَنَافِعُ
وَجِيلِيُّهُمْ أَيضًا رِفَاعِيُّهُمْ كَذَا الْ ... جُنَيْدُ وإِبْرَاهِيمُ فِى الحَىِّ خَالِعُ
أَنَا سَاقِى الأَقْدَاحِ فِى حَانِ حَضْرَتِى ... لِكلِّ امْرِىءٍ فِيهِ لِتِلكَ مَوَاضِعُ
وَكُلُّ امْرِىءٍ قد صَارَ منى وِصَالَهُ ... وَكُلُّ وَلِىٍّ مِن شَرَابِىَ كَارِعُ
أَنَا الفردُ قطبُ الوقتِ وَالوقتُ كُلُّهُ ... عليه بحكمى دايرٌ وهوَ واقِعُ
وكلُّ ولىٍّ فى الأراضى وإن نَأَى ... لأَمْرِى مُجِيبٌ يا مُرِيدِى وَطَايِعُ
أَنَا العارفُ السمانُ واسمى محمدٌ ... وَلَقَبِى جمالُ الدينِ والشَّأْنُ وَاسِعُ
وَبَحْرِى بِأنواعِ العلومِ مُطَمْطَمٌ ... ونحرى فى الأكوانِ لِلنَّاسِ شَايِعُ
أَنَا النُورُ مَحْضًا وَالوَلىُّ الذى بِهِ ... فَقَدْ عَمَرَتْ هَذْيًا دِيَارٌ بَلَاقِعُ
أَنَا وَاهِبُ الأَسْرَارِ حَقًّا ومَنْ بِهِ ... أَضَاءَتْ بُدُورُ الهُدَى فَهَىَ سَوَاطِعُ
أَنَا القُرَشِىُّ الحَبْرُ وَالعَلَمُ الذى ... عداوته سمٌّ حذارك ناقعُ
أنا الأوحد المعروف والسيد الذى ... لرفعتهِ جَيْشُ الولايةِ خَاضِعُ
أَنَا فِى الدُّنَا أَحمِى مُرِيدِى إِذَا أَتَى ... لِبَابِى مِن امْرٍ وَفِنٍ فَظَائِعُ
وَأَنْشُلُهُ مِن أَوْحَالِهِ إِنْ لَنَا رَعَا ... بِصِدْقٍ وَفى العُقْبِى لَهُ أَنَا شَافِعُ

أنا غَوثُ مَن قد أمَّ نحوى وحِرزُهُ ‏ ‏ إذا ما به حَفَّتْ نفوسٌ خَوادِعُ

أنا غايثٌ مَن فى الأراضى لنا عُزِى ‏ ‏ إذا مَسَّهُ من نكبةِ الدهرِ فاجعُ

شربتُ كؤوسَ العشقِ صِرفًا وفضلتى ‏ ‏ بها أسكرتْ قومٌ كرامٌ مَصاقعُ

ولى أكؤسٌ تسبى تُدارُ بحانتى ‏ ‏ بها هامَ مَن أسقيتُهُ فهو خالعُ

وكلُّ مقامٍ فى الهوى قد سلكتُهُ ‏ ‏ سريعًا وغيرى وهو فى السَّيرِ ظالعُ

وفى قبضتى أهلُ الوصالِ وإن علَوا ‏ ‏ وتحتَ لوائى العاشقون خواضعُ

وما أنا مِمَّن يدَّعى الحبَّ باطلًا ‏ ‏ وما أنا فى هذا الطريقِ مُخادعُ

وما أنا فى قطبيَّتى بمُنازَعٍ ‏ ‏ وما أنا من قولِ الحواسدِ جازعُ

وإنى وإن أخملتُ ذِكرى سابقًا ‏ ‏ لتنجوَ من سيفى وذلك قاطعُ

وحالى له إن كنتُ ساترَ وصفِهِ ‏ ‏ وأخفيتُهُ عنكم فللغيرِ ذائعُ

سَلوا نجدَ عنى والعراقَ وشامَها ‏ ‏ وتُركًا وروما ثم فمنكم شوائعُ

وجاوَةَ أيضًا والمشارقَ كلَّها ‏ ‏ فلى ثَمَّ أسرارٌ هناك ودائعُ

وفى يمنٍ والهندِ لى ثَمَّ فتيةٌ ‏ ‏ سكارى حيارى فى الطريقِ بوارعُ

وفى الغربِ والسودانِ أيضًا أجلةٌ ‏ ‏ بهدْيى يهدُوا مَن عن الحقِّ ضائعُ

وها هى ليلى قد أماطتْ لثامَها ‏ ‏ لنا وإليها القلبُ منَّا يسارعُ

تجلَّتْ علينا فى حظائرِ قدسِها ‏ ‏ ومن دونها انزاحت لعينى البراقعُ

رضعتُ بثدى الحبِّ مذ كنتُ راقدًا ‏ ‏ كئوسًا سناها فى الدجى يتساطعُ

وأُسقيتُ من سرِّ الغيوبِ معارفًا ‏ ‏ بحجرِ الصِّبا والغيرُ للَّهوِ راضعُ

ولم أُبقِ فيهِ بعدَ شربى فضلةً ‏ ‏ سوى لغريقٍ وهو للأثرِ تابعُ

أقولُ وقولى صادقٌ ومحقَّقٌ ‏ ‏ لذا حُرِّمَتْ بعدى لغيرى المراضعُ

فمن شاء منكم فليقم لعناقي … بطيبة من فيها شذا الرشد ضائع
ألا أيها الطلاب في الأرض كلكم … إلى كم وأنتم من مدامي صواجع
دنا العمر منكم والزمان قد انقضى … لنا فاسرعوا فالفيض مني واسع
ولا تلتهوا بالغير عني فإنكم … ستفنوا وما الأكوان إلا ودائع
فأين الذي من قبلكم عمروا الدنا … بملك وجند للعدو يمانع
فلا شك فيهم كلهم وسواهم … خلت منهم فالأرض منهم بلاقع
فمن رام منكم من سعاد زيادة … بها يعتلي متبوعكم والتابع
وأنتما سموا ثم عن سعادة … وتدنو له من حي سلمى المرابع
يجاهد يشاهد إن يرم أن يفز بها … به فاز قوم في الجبال روائع
وإن رام أن يرقى العلى فليفز بها … به نحن فزنا فالمحب يسارع
فدع يا عبيد النفس سوف لعلني … ورب عسى فالكل هن قواطع
فبالسهر كحل للعيون مشمرا … فما فاز صب بالمنى وهو هاجع
وأزكى صلاة ما تنفست الصبا … وزال أسى من حره الجفن دامع
وما شمأل هزت غصونا بأبرق … وما رنمت بالرقمتين يوازع
وما فضضت خد الربيع بنشرها … بحيث لها من حسنها الطرف راجع
مدى الدهر في إبكاره وعشائه … دموع عيون المزن وهي هوامع
على أحمد والآل والصحب ما انتلت … بناد حبور نشره وهو ذائع
يبوت فنزري باللآلي وإنها … ظهرت وشمسي في البرية ساطع

(١٣٠)

(وقال رضى الله عنه)

عَجِبْتُ مِنَ الْمَجْنُونِ فِى هَيَمَانِهِ ... بِلَيْلَى مَدَى أَوْقَاتِهِ وَزَمَانِهِ
وَمَا هِىَ إِلَّا مِنْ مَظَاهِرِ ظَاهِرٍ ... بِأَنْوَارِهِ فِى ذَاتِهَا وَكِيَانِهِ
فَلَوْ شَاهَدَ الْحُسْنَ الْقَدِيمَ لَمَا رَأَى ... لِلَيْلَى بِعَيْنَىْ رَأْسِهِ وَجَنَانِهِ
وَصَارَ بِهِ فَانٍ عَنِ الْكَوْنِ كُلِّهِ ... وَلَيْلَى وَعَنْ أَحْوَالِهِ وَمَكَانِهِ

(٤)

وقال رضى الله عنه مشطراً لقصيدة شيخ المشايخ الطود الباذخ مولانا العارف بالله الشيخ شهاب الدين السهروردى والقصيدة هى هذه :

أَبَدًا تَحِنُّ إِلَيْكُمُ الْأَرْوَاحُ ... (وَتَهِيجُ ما نَسَمَتْ لَهَا الْأَرْوَاحُ)
(وَلَهَا انْزِعَاجٌ مُفْرِطٌ فِى سَيْرِهَا) ... وَوِصَالُكُمْ رَيْحَانُهَا وَالرَّاحُ
قُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ ... مَا مَرَّ لَيْلٌ أَوْ تَلَاهُ صَبَاحُ
وَتَمِيلُ مَا شَامَتْ سَوَاطِعَ قُرْبِكُمْ ... وَإِلَى لَذِيذِ لِقَائِكُمْ تَرْتَاحُ
وَارَحْمَتَا لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا ... مَا فِيهِ سُقْمٌ لِلْحَشَا وَجِرَاحُ
مَعْ ذَاكَ قَدْ رَامُوا لِشِدَّةِ صَوْنِهِمْ ... سِتْرَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى فَضَّاحُ
بِالسِّرِّ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ ... شرعاً كَمَا نَصَّتْ بِذَاكَ صِحَاحُ
مِنْ أَىِّ صِنْفٍ عَابِدٍ أَوْ زَاهِدٍ ... وَكَذَا دِمَاءُ الْبَائِحِينَ تُبَاحُ
فَإِذَا هُمُو كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمُ ... حَالٌ عَلَيْهِمْ فَيْضُهُ رَشَّاحُ
هَذَا لَدَى أَهْلِ الْهَوَى لَكِنَّهُ ... عِنْدَ الْوُشَاةِ الْمَدْمَعُ السَّفَّاحُ
وَكَذَا شَوَاهِدُ لِلسَّقَامِ عَلَيْهِمُ ... حَفَّتْ بِهَا بَعْدَ الضَّنَا أَتْرَاحُ
وَلَوَاعِجٌ شَوْقِيَّةٌ عِشْقِيَّةٌ ... فِيهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِيضَاحُ
خَفْضِ الْجَنَاحِ لَكُمْ وَلَيْسَ عليكم ... يَا مَنْ بِكُمْ عَرْفُ الرِّضَا فَوَّاحُ

أحكامكم فهمت وقد قالت فما ... للصب فى خفض الجناح جناح
فإلى لقاكم نفسه مرتاحة ... مذ بالسرى كثرت لها الأرباح
وإلى شهود جمالكم متشوق ... وإلى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا ... وبسره كى تطرب الأشباح
فالبعد عنكم كالجحيم حرارة ... فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له فقلوبهم ... نحو العلى فلها ارتقى ونجاح
كملت بأسرار السلوك وإنها ... فى نورها المشكاة والمصباح
وتمتعوا فالوقت طاب بقربكم ... ونما السرور وزادت الأفراح
فاللحن جاز لأجلكم والجنك إذ ... راق الشراب ورافت الأقداح
يا صاح ليس على المحب ملامة ... فيما نحا مما به يرتاح
لا سيما فى سكره لا سيما ... إن لاح فى أفق الوصال ملاح
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى ... أو حركت أسرارهم أرياح
أو حل فى أحشائهم حال أبى ... كتمانهم فنما الغرام وباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها ... سيرا إلى أن فى الملايح ساحوا
وتسارعوا فى جدهم وتنافسوا ... لما رأوا أن السماح رباح
ودعاهمو داعى الحقائق دعوة ... فتمنوا بها ولحكمها فأباحوا
ولهم أديرت فى الحضاير شربة ... فمدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سفن الدجى فدموعهم ... ندم وطورا وهى وهى قراح
فكأنها غيث همى وكأنه ... بحر وشدة خوفهم ملاح

وَاللهِ مَا طَلَبُوا الْوُقُوفَ بِبَابِهِ   بِهَوًى فَفِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ وَقَاحُ
لَكِنْ ذَا قَدْ كَانَ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا   حَتَّى دُعُوا وَأَتَاهُمُ الْمِفْتَاحُ
لَا يَطْرَبُونَ لِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ   مَا مَرَّ غُدْوٌ عِنْدَهُمْ وَرَوَاحُ
مَا مَسَّهُمْ فِي عُمْرِهِمْ يَوْمًا أَسًى   أَبَدًا فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ
حَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ ذَاتِهِمْ   فِيمَنْ هُوَ الرَّحْمٰنُ وَالْفَتَّاحُ
وَإِلَيْهِ قَدْ قَصَدُوا بِخَالِصِ نِيَّةٍ   فَتَهَتَّكُوا لَمَّا رَأَوْهُ وَصَاحُوا
فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ   فِيكُمْ مِنَ الْحُسْنِ الْجَمِيلِ وِشَاحُ
سِيرُوا عَلَى آثَارِهِمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ   إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرَامِ فَلَاحُ
أَفْنَاهُمْ عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ   رَوْضَاتُ غَيْبٍ زَهْرُهَا فَيَّاحُ
وَلَهُمْ أَمَاطَ كَذَاكَ فَضْلًا بَعْدَ ذَا   حُجُبَ الْبَقَا فَتَلَاشَتِ الْأَرْوَاحُ
قُمْ يَا نَدِيمِ إِلَى الْمُدَامِ فَهَاتِهَا   صِرْفًا سَنَاهَا كَأَنَّهُ الْمِصْبَاحُ
وَهِيَ الْمَرَامُ الْمُبْتَغَى وَهِيَ الَّتِي   فِي كَأْسِهَا قَدْ دَارَتِ الْأَقْدَاحُ
مِنْ كَرْمِ إِكْرَامٍ بِدَنِّ دِيَانَةٍ   فَشَدَتْ بِذِكْرِ حَدِيثِهَا الصُّلَّاحُ
هَذِي لَعَمْرِي خَمْرَةٌ قُدْسِيَّةٌ   لَا خَمْرَةٌ قَدْ دَاسَهَا الْفَلَّاحُ

(٤٦)

وقال رضى الله عنه ونفعنا به ناظماً لرجال سنده القادرى

شُرْبُ الْمَحَبَّةِ مِنْ أَلَسْتُ أُدِيرَا   وَبِهِ الْأُلَى قَدْ نَالَتِ التَّوْقِيرَا
فَغَدَوْا سُكَارَى غَائِبِينَ عَنِ السِّوَى   بِشُهُودِ مَنْ أَهْدَى النُّهَى التَّنْوِيرَا
لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ الَّذِي أَفْنَاهُمُ   لَا آمِرًا أَبَدًا وَلَا مَأْمُورَا
أَضْحَوْا مُلُوكًا فِي الزَّمَانِ وَسَادَةً   وَشُمُوسَ فَضْلٍ ظَاهِرٍ وَبُدُورَا

فى كلّ مرتبةٍ لهم قدمٌ وفى ... كلّ المجالى فأوهبوا التصديرا

فرقت إلى أوج العُلى أرواحهم ... وجنت من الروض الغيوب زهورا

ورأوا هناك عجايبا وغرايبا ... مستورةً فى غيبها وستورا

لله يا لله من شربٍ به ... صارت أئمتنا الكرام صدورا

فلقوا به ذوقا بحار حقائقٍ ... بمضا كلامٍ قد حلا تعبيرا

بمشارق الفخر العزيز فقد بدوا ... بالنور حتى قد محوا الديجورا

ومرادنا بالشرب ذلك سرّ ما ... قد كان فى توحيدنا مستورا

هى كلمة الإخلاص من هى خلّصت ... من كان فى أيدى الرجيم أسيرا

حازت بها أممٌ لها فتلقّنوا ... علما وعزّا دائما وحبورا

حتى لعمرى صيّروا بشرابها الـ ... أشهى نحاسىّ الطباع نضيرا

تاهوا بها حيث استدام شرابهم ... من كاسها واستكملوا التبصيرا

أملاك أحوالٍ إذا ما شمتهم ... لرأيتهم بعيون قلبك نورا

لا ريب أن الكون وهو عبيدهم ... فيه فأثّر حكمهم تأثيرا

والسرّ هذا لا يكون سوى بتا ... بع امرىء فضل الورى تشهيرا

وإذا أديرت فى الدياجى كؤوسه ... فاحت لكل الشاربين عبيرا

وهناك ترقص عن هوى أرواحهم ... طربا بشربٍ قد أهاج ضميرا

وبكاس هذا السرّ توحيد الهدى ... أسقى الإله أمينه المنصورا

جبريل مولاى الذى قد كان من ... مولاه للرسل الكرام سفيرا

هذا سقى المختار أفضل مرسلٍ ... قد جاء بالحق المبين بشيرا

وَهوَ الذى فِى حَقّهِ قَد أَنزَلَ الـ　　رحمٰنُ قولاً صَادِقاً مَزبُورَا

شَرَفاً لهُ فِى هـذِهِ الدُّنياَ وَفِى　　يَوم بهِ لِلنَّارِ كَانَ زَفِيرَا

هذا سَقَى زَوجَ البَتُولِ علىٌّ مَن　　بِالعِـلمِ كَانَ مُكَاشِفاً وَخَبِيرَا

هذا سَقَى حسنَ المعانى إمامَنا الـ　　بَصْرِىَّ مَن بالحَقِّ كَانَ بَصِيرَا

هذا سَقَى العَجَمِىَّ ذاكَ حَبِيبَهُم　　كَأساً غَـدَا بِشَرَابِهاَ مَغمُورَا

هذا سَقَى داودَ الطَّائِىَ الذى　　قد كَانَ رَوضاً فى العُلوم مَطِيرَا

هذا سَقَى معرُوفاً الـكَرخِىَّ حَـ　　تّى صَـارَ عَن غَيرِ الإلهِ نَفُورَا

هذا سَقَى مُحيِي الدَّيَاجِى سَرِيَّهُم　　كَأساً سَرَى فى كُلّ قَلبٍ نُورَا

هذا سَقَى فَخرَ الطَّرِيقِ جُنَيدَهُم　　فَسَقاَ الأَنَامَ صَغِيرَهُم وَكَبِيرَا

لِلّهِ دَرُّهُ مِن فَتَى مُتَبَحّـرٍ　　قَد فاقَ فَيضاً أَنهُراً وَبُحُورَا

هذا سَقَى الشِّبلِىَّ مِن جِريَالِهِ　　كَاساً بِهاَ فِى اللهِ غَابَ عُصُورَا

هذا سَقَى الأستاذَ عبدَ الواحد الـ　　فَردَ الذى للـكَأسِ كَانَ مُدِيرَا

هَذا سَقَى طَرسُوسِيَّهُم أَعْنى أَبَا الـ　　فَرَجِ الَّذِى فى القوم كَانَ أَمِيرَا

هَذا سَقَى العَـلَمَ الهَـكارِىَّ الَّذِى　　قَد كَانَ سُحباً مَاطِراً وَهَمِيرَا

أَعنى أَبَا حَسَنَ الإمَامَ المرتَضَى　　قولاً وَفِعلاً غَيبَـةً وَحُضُورَا

هَذَا سَـقَى القَاضِى المبَارك يا لَهُ　　مِن شَيخِ عِلمٍ كَم أَفَادَ حبُورَا

هَذَا سَقَى كَنزَ الغِنَى غَوثَ الرَّجَا　　شَمسَ الضُّحَى بَدرَ الدُّجَى المَشهُورَا

سُلطَانَ كلِّ الأَولِيَا الجِيلِى مَن　　أَسقَى مِنَ الـكَاسِ الطَّهُورِ كَثِيرَا

رَبُّ الـكَرَامَاتِ التِى لَم يُحصِهاَ　　قَـلَمُ البَنَانِ وَلاَ امرُؤٌ تَعبِيرَا

أهلاً بهِ من سيدٍ سُدنا بهِ   دُنيا وفى يومٍ يكونُ أخيرا

هذا سقى القطبَ الهدادىّ عليهم   كأساً بها قد لازمَ التشميرا

هذا سقى السامى قريبَ الله من   قد كانَ فى كشفِ الغيوبِ شهيرا

من صاحَ عدَّ الشاه من أقوامنا   بالجملِ العالى أتى مسطورا

هذا سقى الأستاذَ ذلكَ عابدَ ال   فتاحِ من فى الفتحِ كانَ كبيرا

هذا سقى من خندريسه قاسما   قسما بمن أعطاهُ كانَ عطيرا

هذا سقى طودَ العلومِ عقيلة ال   مكىّ من سادَ الكبارَ صغيرا

هذا سقى شيخَ الشيوخِ محمداً   أعنى بذاكَ الصادقَ المنظورا

هذا سقى للطاهرِ الأواهِ ذا   كَ محمدٍ كأساً جلا التكديرا

هذا سقى قطبَ المدينةِ سيدَ ال   ساداتِ كأساً مترعاً مخمورا

بوّابَ خيرِ الأنبياء محمد ال   سمانَ من فاقَ البدورَ ظهورا

من كانَ من بينِ الورى نظراتُهُ   للسالكينَ طريقةً إكسيرا

فوحقِّ ما قد نالَهُ من ربهِ   لا زالَ صباغاً ولو مقبورا

هذا سقى قطبَ الحضائرِ طيب ال   أطيابِ بحرَ شرابنا المسجورا

نجلَ البشيرِ فيالَهُ من كاملٍ   أسقى البريةَ منجداً ومغيرا

فكأنهُ فى أىِّ قلبِ سعادةٍ   شهدٌ وبدرٌ قد أضاء منيرا

بركاتُهُ عمّت وأعجزَ آيهُ   أهلَ الذكاه من الورى تسطيرا

هذا سقى أشياخنا لا سيما ال   قرشىّ من للقطبِ كانَ وزيرا

وكذاكَ قد أسقى العبيدَ شريبةً   أفنتهُ فيهِ وقلدتهُ أمورا

لِلّٰهِ دَرُّ أُولَئِكَ القَومِ الذِي ... عَظُمَ الزَّمَانُ بِهِمْ وَكَانَ حَقِيرَا
قد أَلْبَسُوهُ خَلَايِعًا فَغَدَا بِهَا ... مُتَبَخْتِرًا مُتَعَطِّرًا مَحْبُورَا
أَشْيَاخُنَا الغرُّ الذى هُمْ فى الورى ... حِصْنٌ يَقِي المَكْرُوبَ وَالمَذْعُورَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَمَسِّكًا بِجَنَابِهِمْ ... فِي عُمْرِهِ فَقَدْ اشْتَرَى التَّأْخِيرَا
وَكَذَاكَ مَنْ لَمْ يَنْتَظِمْ فِي سِلْكِهِمْ ... أَوْ لَيْسَ يَبْقَى عِنْدَهُمْ مَذْكُورَا
لَوْ يَعْلَمُونَ النَّاسُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ... حَالٍ لَمَا جَافَ الجَمِيعُ فَقِيرَا
أَمْ كَيْفَ لَا وَهُمُ السلاطِينُ الذِي ... أَحْكَامُهُمْ لَا تَقْبَلُ التَّدْبِيرَا
تَأْتِي مِنَ الْمَوْلَى بِوَاسِطَةٍ لَهُمْ ... يَدْرُونَهَا كَشْفًا فَخذْ تَحْرِيرَا
فَوَحَقِّهِمْ دُنْيَا وَأُخْرَى لَا يُضَا ... مُ مُحِبُّهُمْ أَبَدًا وَلَوْ مَوْزُورَا
لَهُمُ الشَّفَاعَةُ فِي غَدٍ فَحَدِيثُهَا ... قَدْ صَحَّ نَقْلًا أَوْجَبَ التَّشْهِيرَا

(٧١)

وقال رضى الله عنه مخمسا لقصيدة قطب دايرة الأكوان سيدى وأستاذى الشيخ محمد بن عبد الكريم المدنى القرشى الشهير بالسمان :

نُجُومِي فَمِنْ قَبْلِ الظُّهُورِ طَوَالِعُ ... وَنَشْرُ ثَنَائِي فِي الأَكْوَانِ ضَايِعُ
وَقَدْ قُلْتُ حِينَ الإِذْنُ جَاءَ يُسَارِعُ ... ظَهَرْتُ وَشَمْسِي فِي البَرِيَّةِ سَاطِعُ
وَكُلِّي لِأَسْرَارِ الْوُجُودِ مَطَالِعُ

فَنُورُ الْمُحَيَّا مُشْرِقٌ فِي سَرَايِرِي ... وَوَجْهُ سُلَيْمَى لَايِحٌ لِبَصَايِرِي
إِلَى كُنْهِ غَيْبِ الْغَيْبِ مُدَّتْ خَوَاطِرِي ... وَمُذْ لَاحَ بَدْرِي فِي سَمَائِي لِنَاظِرِي
أَفَلْنَ نُجُومُ الغَيْرِ وَهِيَ طَوَالِعُ

وَفِي أَزَلِ الآزَالِ كَانَتْ وِلَايَتِي ... عَلَى الدُّرَّةِ البَيْضَا خُصِصْتُ بِجَلْسَةٍ

هناك فجاءتني بشاير رفعتي ‏ ‏ ‏ ويوم ألست الكل جاء لدعوتي

وهام بحسني والدموع هوامع

وفي حضرات القرب فالقصد نلته ‏ ‏ ‏ ومن سر هاهوت مرادي بلغته

وشرب الهماء قبل هذا مصصته ‏ ‏ ‏ أنا كنت مكنونا لسر علمته

وعن فهمه إدراك غيري قاطع

ألا قل لحبر بالتفاصيل معتني ‏ ‏ ‏ مقالك لو كان لي بعض تفنني

تمكنت حتى قلت بعض تمكني ‏ ‏ ‏ تمشعشت ذاتي حين لاحت لأعيني

صفاتي فطرفي في جمالي راتع

أنخت ركابي في حضاير مبدئي ‏ ‏ ‏ ومن قرقف الكاسات كان تضلعي

تصرفت في إقبال نفسي ومرجعي ‏ ‏ ‏ أشاهد في مرآة ذاتي بمسمعي

صفاتي فأصبو نحوها وأسارع

وفي مورد التحقيق مالي مزاحم ‏ ‏ ‏ وفي حضرة الأسرار إني خاتم

شئوني لها شأن وحبك دايم ‏ ‏ ‏ وكل وجودي بي مشوق وهايم

وقلبي في وصلي وقربي طامع

وردت لبحر عم كلي بفيضه ‏ ‏ ‏ بساحله روض فيا حسن روضه

ثملت به حسنا بمرهوب محضه ‏ ‏ ‏ وأيسر ما حسني يهيم ببعضه

فؤادي ونفسي في الغرام تتابع

تلاشت بأنواع التجلي حقيقتي ‏ ‏ ‏ وقد عميت عن غير مولى بصيرتي

سَرَى السِّرُّ فِي كُلِّي بِخَيْرِ سِرَايَةٍ   فَسَمْعِي مُشْتَاقٌ لِيَشْهَدَ بَهْجَتِي

وَطَرْفِي مُصْغٍ وَالْفُؤَادُ يُرَاجِعُ

حُظُوظِي جَمِيعاً خَلْفَ ظَهْرِي نَبَذْتُهَا   وَمَا فِي سُلُوكِي مِنْ عَجَائِبَ شِمْتُهَا

فَنِيتُ بِلَيْلَى وَالْمُرَادَاتُ نِلْتُهَا   وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ جَعَلْتُهَا

فَمَا هِيَ كُلِّي نَحْوَهَا الْيَوْمَ خَاشِعُ

وَلَكِنَّهَا فِي النَّفْسِ وَهِيَ تَصَرَّفَتْ   بِأَنْوَاعِ شَتَّى وَهِيَ لِلْغَيْرِ قَدْ مَحَتْ

وَمِنْ بَعْدِ قُرْبِي وَهِيَ عَنِّي تَسَتَّرَتْ   أَقُولُ لَهَا لَمَّا بِقَلْبِي تَحَجَّبَتْ

وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالْفُؤَادُ مَوَاضِعُ

فَفِيكِ غَرَامِي دَائِماً وَتَلَذُّذِي   وَأَخْذُكِ لِي قَدْ كَانَ مِنْ سِرِّ مَأْخَذِي

إِلَيْكِ أَقُولُ كَيْ لِحَالِي تُنْقِذِي   أَيَا رَبَّةَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَنَا الَّذِي

دِيَارِي بِفَرْطِ الْهَجْرِ مِنْكِ بَلَاقِعُ

هَوَاكِ فَفِي كُلِّ الْأُوَيْقَاتِ مُسْقِمِي   وَشَوْقُكِ إِنِّي قَدْ أَرَاهُ لَمُعْدِمِي

لِهَذَا فَفِي لَوْمِي تَفَنَّنَ لُوَّمِي   أَيَحْسُنُ هَذَا الْفِعْلُ مِنْكِ بِمُغْرَمِ

حَشَاهُ بِجَذْوِ الْبَيْنِ بُعْدُكِ لَاذِعُ

فَرِيدَةُ قَلْبِي فِي الزَّمَانِ تَوَجُّهِي   إِلَيْكِ وَإِجْرَا مَدْمَعِي وَتَأَوُّهِي

فَإِنْ كُنْتُ وَلْهَانًا بِهَا مَعْ تَفَوُّهِي   فَلَا تُنْكِرُوا يَا عَاذِلِينَ تَوَلُّهِي

وَقَوْلِي لِنَفْسِي وَالْغَرَامُ يُنَازِعُ

فَوَجْدِي عَنْ حَالِي فَصَارَ مُنَبِّهًا   بِحُسْنِ كَمَالٍ لَا يَكُونُ مُشَبَّهَا

فَيَا وَاصِفِي قِفْ وَاسْتَمِعْنِي مُوَلَّهًا   فَجَلَّ كَمَالِي عَنْ شَبِيهٍ تَنَزُّهَا

فَرَوْضُ جَمَالِي بِالْكَمَائِمِ يَانِعُ

حُجِبْتُ وَلَمْ تَعْرِفْ حَقَايِقَنَا الوَرَى   وَكُلُّ كَمَالٍ قِيلَ فِي وَصْفِنَا وَرَا

وَفِي بَاطِنِ التَّحْقِيقِ أَصْبَحْتُ مُضْمَرًا   وَجَلَّ جَمَالِي أَنْ يُشَاهَدَ أَوْ يُرَى

لِغَيْرِي فَمَا غَيْرِي لِحُسْنِي يُطَالِعُ

تَمَكَّنْتُ فِي بَسْطِي وَكُنْتُ مَحَلَّهُ   تَلَاعَبْتُ بِالْمَعْنَى وَكُنْتُ أَجِلُّهُ

سَمَائِي إِلَى أَرْضِي فَأَرْسَلَ وَبْلَهُ   فَغُصْنِي لِحُسْنِي سَاجِدٌ أَنْ سَرَتْ لَهُ

نَسِيمِي وَكُلِّي نَحْوَ ذَاتِي رَاكِعُ

مَعَالِي الْمَعَالِي وَهْيَ فِيَّ تَكَامَلَتْ   وَعَيْنِي لِرُؤْيَا الْعَامِرِيَّةِ حَاوَلَتْ

فَأَوَّاهِ مِنْ حَالٍ بِنَا فَتَوَاصَلَتْ   وَإِنْ نَاحَ وُرْقٌ فِي الرُّبَا أَوْ تَرَاسَلَتْ

مُطَوَّقَةٌ إِنِّي الْكَلِيمُ الْمُسَاجِعُ

وَفِي النَّفْسِ شَوْقٌ دُونَهُ جَمْرَةُ الْغَضَا   عَلَيَّ بِهَذَا حَاكِمُ الْحُبِّ قَدْ قَضَا

وَلَمْ أَدْرِ آتٍ غَيْرَ وَقْتِي وَمَا مَضَى   وَوُرْقُ الْحِمَى تَشْدُو عَلَى بَانَةِ الْفَضَا

وَإِنِّي الَّذِي بِالْبَانِ فِي الرَّوْضِ سَاجِعُ

تَمَكَّنَ فِي قَلْبِي الْغَرَامُ مَعَ الْجَوَى   وَجِسْمِي مَرِيضٌ صَارَ مِنْ أَلَمِ النَّوَى

وَرُوحِي لِأَثْقَالِ التَّبَارِيحِ قَدْ حَوَى   فَنَجْلُ الْحَيَا تَبْكِي بِوَادِي وَمَا سِوَى

جُفُونِي الَّتِي مِنْهَا تَسُحُّ الْمَدَامِعُ

رَعَى اللهُ مَنْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ رَعَى   وَمِنْ لَمَعَانِ السِّرِّ مِنِّي قَدْ وَعَى

لِداعِي الْهَوَى قَدْ قُلْتُ لَمَّا لَنَا دَعَا وَلَيْسَ سِوَائِي امُّ نَحْوِي ولاَ سَعَى

إِلَيَّ ولاَ لاَحَتْ لِعَيْنِي الْمَرَابِعُ

وَرَدْتُ بِحَارًا فِي الفَنَاَ مَعْ وَسِيمِهَاَ وَلِي زُخْرِفَتْ خُلْدُ النُّهَى بِنَعِيمِهَاَ

فَيَاعَجَبًا مِنْ حَالِقِي وبَدِيعِهَاَ تَطَوَّرْتُ فِي الْأَشْيَاءِ طُرًّا جَمِيعِهَاَ

وكُلِّي لِأَصْنَافِ الْوُجُودِ مَنَابِعُ

جَمَالِي جَلِيلٌ وهْوَ قَدْ بَهَرَ النُّهَى وَلَيْسَ لَهُ وصْفٌ فَيُحْكَى وَلاَ انتِهَاَ

تَفَرَّدْتُ فِي كُلِّ الْأَحَايِينِ بِالبَهَاَ وَكُلُّ مَلِيحٍ صُورَةُ الْحُسْنِ وَجْهُهَاَ

بِنُورِ صِفَاتِي لِلنُّهَى يَتَلاَمَعُ

تَدَلَّى فُؤَادِي بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ دَنَاَ وَجَاءَتْ لِيَ الْأَفْرَاحُ تَحْفِدُ وَالْهَنَاَ

بِقَصْدِي ظَفِرْتُ حَيْثُ قَدْ قُلْتُ مُعْلِنًا وَكُلٌّ يُرِيدُ الْوَصْلَ مِنِّي وَهَا أَنَاَ

قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ وَصْلِي مَوَانِعُ

فُيُوضِي سَحَابٌ فِي النُّهَى مُتَسَجِّمٌ وَطَيْرُ غَرَامِي فِي الْحَشَا مُتَرَنِّمُ

وَرَوْضُ عُلُومِي بِالرِّضَا مُتَبَسِّمٌ فَقَلْبِي بِحُسْنِي مُغْرَمٌ وَمُتَيَّمُ

وَطَرْفِي فِي رَوْضَاتِ حُسْنِي رَاتِعُ

وَحَالِي عَزِيزٌ فَالنُّفُوسُ أَذَلُّهَاَ وَمَنْزِلَتِي بَيْنَ الْعِبَادِ أَجَلُّهَاَ

وَقَدْ صِرْتُ لَمَّا الْأَرْضُ كُنْتُ أَبَالهَاَ تَحِنُّ إِلَيَّ الْعِيسُ شَوْقًا لَعَلَّهَاَ

تَحُطُّ بِحَيِّي وَهْيَ نَحْوِي تُسَارِعُ

لَبِسْتُ لِأَنْوَارِ الصِّفَاتِ الزَّوَاهِرِ وَمِنْهَاَ وَهَبْتُ لِلْعُيُونِ السَّوَاهِرِ

فَرَاقَتْ خُمُورِي بَيْنَ أَهْلِ الدَّوَايِرِ وَمَا ذُقْتُ حَتَّى صَارَ سَمْعِي وَنَاظِرِي

وَكَفِّي لِسَانِي سَاعِدٌ لِي أَصَابِعُ

وَفِي جَامِعِ التَّحْقِيقِ حَالِي مُدَرِّسٌ وَصُبْحِي بِأَنْوَارِ الْبَقَا مُتَنَفِّسُ

وَشُهْبِي بِهِ الْأَعْدَاءُ مِنِّي فَأَيْسُوا وَقَدْ جَاءَ عَنْ طٰهٰ حَدِيثٌ مُقَدَّسُ

عَنِ الْحَقِّ يَرْوِيهِ النَّبِيُّ الْمُتَوَاضِعُ

عَمَاتُ بِهِ حَتَّى بَلَغْتُ الْمَقَاصِدَا بِأَسْرَارِهِ قَدْ كُنْتُ فِي الْكَوْنِ رَاشِدَا

وَهَاهُوَ إِذْ مَا كُنْتُ لِلْمَعْنَى قَاصِدَا لَهُ كُنْتُ سَمْعًا نَاظِرًا أَرْجُلاً يَدَا

فَبِي نَاطِقٌ بِي نَاظِرٌ بِي سَامِعُ

أَنَا الْوُدُّ كُنْ لِي فِي الْمَقَالِ مُصَدِّقًا إِلَيَّ فَقُلْ مُسْتَغْرِقًا مُتَشَوِّقًا

وَجَانِبْ عَذُولاً كَاذِبًا مُتَفَسِّقًا فَبِاللّٰهِ لاَ بِي قُلْتُ قَوْلاً مُحَقِّقًا

تَضَمَّنَ مَعْنًى وَاحِدُ الْقَصْدِ جَامِعُ

جَلَيْتُ بِهِ كُلَّ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى لِطَلْسَمِهِ إِنِّي فَتَحْتُ مُعَلِّمَا

وَلٰكِنَّهُ مِنْ غَيْرِنَا صَارَ مُبْهَمَا فَيَا مُنْكِرًا إِنْ رُمْتَ تَفْهَمُ سِرَّمَا

تَضَمَّنَ قَوْلِي قُمْ وَأَنْتَ مُسَارِعُ

لِكُلِّ كَلاَمٍ قُلْتُهُ كُنْ مُصَادِقًا لِحَضْرَتِنَا أَقْرَبُ بِالسَّرِيرَةِ عَاشِقَا

وَلاَحِظْ لِعَهْدٍ مِنْكَ قَدْ كَانَ سَابِقَا وَكُنْ رَاعِيًا لَفْظِي تَجِدْهُ مُوَافِقَا

لِشَرْعِي طِبْقًا لَيْسَ فِيهِ بَدَايِعُ

هَوَاكَ لَهُ اخْلَعْ بَاكِيًا مُتَنَدِّمًا لِدَعْوَاكَ فَانْبُذْ خَلْفَ ظَهْرِكَ مُعْدِمَا

لِفَهْمِكَ لاَ تَنْظُرْ وَلَوْ كُنْتَ مُفْهِماً وَأَقْبِلْ بِصِدْقٍ ذَا اعْتِرَافٍ مُسَلِّماً

بِحُسْنِ اعْتِقَادٍ لاَ تَشُبْهُ خَدَايِعُ

بِقَلْبِكَ كُنْ مُسْتَيْقِظاً دُونَ غَفْلَةٍ وَلاَزِمْ لِمُرِّ الصَّـبْرِ دُونَ مَلاَلَةٍ

إِلَى اللّٰهِ فَأَقْبِلْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَسَلِّمْ إِلَيْهِ الأَمْرَ فِى كُلِّ حَالَةٍ

وَكُنْ سَامِعاً نَهْيِي لِأَمْرِيَ طَايِعُ

أَمَانِيكَ مَعْ كُلِّ الْمَفَاخِرِ خَلِّهَا وَلَوْ حُزْتَ فِى الأَعْمَالِ أَعْلَى مَحَلِّهَا

تَقَيَّدْ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَنَفْسَـكَ فَادْفِنْهَا بِطِينَةِ ذُلِّهَا

وَعِزُّكَ مِنْ أَجْلِى بِذَلِكَ بَائِعُ

وَلاَ تَلْتَفِتْ لِلْغَيْرِ مَا دُمْتَ سَالِكاً وَلَوْ نِلْتَ أَحْوَالاً تُرِيكَ الْمَلاَيِكَا

لِتَعْظِيمِكَ امْنَعْ لاَ تَمِلْ لَوْ بِبَالِكَا فَقِيرًا حَقِيرًا ذَا انْكِسَارٍ وَتَارِكَا

سِوَاىَ وَغَيْرِى حُبُّهُ عَنْكَ نَازِعُ

لِذَاتِكَ طَهِّرْ مِنْ جَنَابَةِ رَانِهَا بِتَوْبِ نَصُـوحٍ دَايِماً مَعْ جَنَانِهَا

وَخَالِفْ هَوَاهَا فِى جَمِيعِ زَمَانِهَا لِأَسْقِيكَ خَمْراً عُتِّقَتْ فِى دِنَانِهَا

مُقَدَّسَةً مِنْ نُورِهَا الْكَوْنُ سَاطِعُ

فَلَيْسَ لَهَا تَاللّٰهِ فِى الدَّهْرِ مِنْ مَثَلْ لِشُرْبَتِهَا حَنَّ الأَوَاخِرُ وَالأُوَلْ

فَكَمْ أَسْكَرَتْ شَيْخاً وَكَمْ أَرْقَصَتْ كَهَلْ

بِهَا هَامَ شِـبْلِيٌّ وَجُنَّ بِشُرْبِهَا الْ

جُنَيْدُ وَإِبْرَاهِيمُ فِى الْحَيِّ خَالِعُ

مُرِيدِي إِلَيَّ اقْبَلْ بِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ   وَقَبِّلْ لِأَعْتَابِي بِحُسْنِ عَقِيدَةٍ
وَمُدَّ إِلَيْنَا الْكَفَّ مِنْكَ لِشَرْبَةٍ   أَنَا سَاقِي الْأَقْدَاحِ فِي حَانِ حَضْرَتِي

وَكُلُّ وَلِيٍّ مِنْ شَرَابِي كَارِعُ

عَلَى زُحَلِ الْعَالِي فَقَدْرِي مَحَلُّهُ   وَمِنِّي رَبْطُ الْأَمْرِ مِنِّي وَحَلُّهُ
وَأَكْثَرُ مَا قَدْ شِئْتُهُ وَأَقَلُّهُ   أَنَا الْفَرْدُ قُطْبُ الْوَقْتِ وَالْوَقْتُ كُلُّهُ

لِأَمْرِي مُجِيبٌ يَا مُرِيدِي وَطَائِعُ

أَنَا مُطْلَقٌ وَالْكُلُّ وَهُوَ مُقَيَّدُ   أَنَا سَيِّدٌ وَالْكُلُّ وَهُوَ مُسَيَّدُ
لِسَاحَتِنَا أَقْطَابُكُمْ تَتَرَدَّدُ   أَنَا الْعَارِفُ الرَّبَّانُ وَاسْمِي مُحَمَّدُ

وَفَخْرِيَ فِي الْأَكْوَانِ لِلنَّاسِ شَائِعُ

تَفَرَّدْتُ بِالسِّرِّ الْمَصُونِ وَشُرْبِهِ   وَشَاهَدْتُ مَوْلَايَ بِحَضْرَةِ قُرْبِهِ
وَقَدَّمَنِي فَضْلًا عَلَى أَهْلِ حُبِّهِ   أَنَا النُّورُ مَحْضًا وَالْوَلِيُّ الَّذِي بِهِ

أَضَاءَتْ بُدُورُ الْهَدْيِ فَهْيَ سَوَاطِعُ

فَوَصْفِي وَرَاءَ الْعَقْلِ أَيْضًا وَأَخْذِي   وَقَدْ حَارَ فِينَا كُلُّ قُطْبٍ وَجَهْبَذِي
أَشَرْتُ لِبَعْضِ الْحَالِ مِنِّي بِذَا وَذِي   أَنَا الْقُرَشِيُّ الْحَبْرُ وَالْعَلَمُ الَّذِي

لِرِفْعَتِهِ جَيْشُ الْوِلَايَةِ خَاضِعُ

أَنَا مَجْمَعُ الْأَسْرَارِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَا   أَنَا قَاصِمٌ ظَهْرَ الْعَدُوِّ إِذَا عَتَا
وَحَالِي عَجِيبٌ لَا تُقَيِّدُهُ مَتَى   أَنَا فِي الدُّنَا أَحْمِي مُرِيدِي إِذَا أَتَى

بِصِدْقٍ وَفِي الْعُقْبَى لَهُ أَنَا شَافِعُ

فَكُلُّ مُرِيدٍ إِنَّنِي أَنَا عِزُّهُ   لَدَى فَقْرِهِ أَوْ ضُرِّهِ أَنَا كَنْزُهُ

وَمَنْ رَامَهُ سُوءًا سُيُوفِي تَجُزُّهُ   أَنَا غَوْثُ مَنْ قَدْ أَمَّ نَحْوِي وَحِرْزُهُ

إِذَا مَسَّهُ مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ فَاجِعُ

فَرَبَّى رَسُولُ اللهِ رُوحِي بِنَظْرَةٍ   وَأَلْبَسَنِي مِنْ نُورِهِ خَيْرَ خِلْعَةٍ

بِطَيْبَةَ أَظْهَرَنِي بِهَا يَا أَحِبَّتِي   سُقِيتُ كُؤُوسَ الْحُبِّ صِرْفًا وَفَضْلَتِي

بِهَا هَامَ مَنْ أَسْقَيْتُهُ وَهُوَ خَالِعُ

وَلَوْحُ جَمِيعِ السِّرِّ إِنِّي نَظَرْتُهُ   وَمَا كَانَ فِي الْأَفْلَاكِ إِنِّي عَرَفْتُهُ

جَمِيعُ مُرَادِي إِنَّنِي قَدْ مَلَكْتُهُ   وَكُلُّ مَقَامٍ فِي الْهَوَى قَدْ سَلَكْتُهُ

وَتَحْتَ لِوَائِي الْعَاشِقُونَ خَوَاضِعُ

أَيَا مَنْ جَهِلْتُمْ سِرَّنَا وَالْحَقَائِقَا   وَأَنْكَرْتُمُو أَحْوَالَ مَنْ كَانَ ذَائِقَا

فَمِنَّا اسْمَعُوا قَوْلًا جَلِيًّا وَصَادِقَا   وَإِنِّي وَإِنْ أَخْمَلْتُ ذِكْرِي سَابِقَا

وَأَخْفَيْتُهُ عَنْكُمْ فَلِلْغَيْرِ ذَائِعُ

طَرَائِقُ أَهْلِ اللهِ صِرْتُ إِمَامَهَا   مَرَاتِبُهُمْ طُرًّا جُعِلْتُ إِمَامَهَا

عَلَى الرُّشْدِ حَالِي فَالْإِلَهُ أَدَامَهَا   سَلُوا نَجْدَ عَنِّي وَالْعِرَاقَ وَشَامَهَا

فَلِي ثَمَّ أَسْرَارٌ هُنَاكَ وَدَائِعُ

كَرَامَاتُنَا بَيْنَ الْأَنَامِ جَلِيَّةٌ   وَأَنْفَاسُنَا مِسْكِيَّةٌ عَنْبَرِيَّةٌ

وَكَمْ بِي تَرَبَّتْ أَنْفُسٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ   وَفِي يَمَنٍ وَالْهِنْدِ لِي ثَمَّ فِتْيَةٌ

بِهَدْيِي يَهْدُوا مَنْ عَنِ الْحَقِّ شَائِعُ

فَأَنْفُسُنَا طَابَتْ وَنَالَتْ مَرَامَهَا   وَفِي الْمَنْزِلِ الْعَالِي الْإِلَهِي أَقَامَهَا

وسَلْمَى لِنَفسِي قَدْ أَبَاحَتْ سَلاَمَهَا وهَاهِي لَيْلَى قَدْ أَمَاطَتْ لِثَامَهَا
ومِن دُونِهَا ازَاحتْ لِعَيْنِي البَرَاقِعُ

ورُوحِيَ قبلَ الجِسْمِ قد كانَ عَابِدًا مُرَاقِبُ مَوْلَى العَالَمِينَ مُشَاهِدَا
ولاَ عَجَباً أَنْ قُلْتُ فِي الحَيِّ نَاشِدَا رَضِعْتُ بِثَدْيِ الحُبِّ مُذْ كُنْتُ رَاقِدَا
بِحِجْرِ الصِّبَا والغَيْرُ لِلهوِ رَاضِعُ

بِهذَا رِضَاعِي سُدْتُ قَوْمًا أَجِلَّةً إِلى حَضْرَةِ الرَّحْمنِ كَانُوا أَدِلَّةً
بِهِ نِلْتُ مِقْدَارًا عَلِيًّا وعِلَّةً ولَمْ أُبْقِ فِيهِ بَعْدَ شُرْبِي فَضْلَةً
لِذَا حُرِّمَتْ بَعْدِي لِغَيْرِي المَرَاضِعُ

أَيَا مَن أَمَامِي مِن جَمِيعِ البَرِيَّةِ ويَا مَنْ هُمُو خَلْفِي لآخِرِ بَلْدَةِ
ويَا مَنْ يَمِينِي مَعْ شِمَالِي وجِيرَتِي فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيَؤُمَّ لِحَانَتِي
إِلى كَمْ وأَنتُمْ عَن مُدَامِي هَوَاجِعُ

شَرَابِيَ سَهْلٌ نُورُهُ فَلَكُمْ أَضَا وفَيْضِي كَثِيرٌ وَهْوَ قَدْ مَلأَ الفَضَا
تَعَالَوا إِلَيْنَا بِالمَحَبَّةِ والرِّضَا دَنَا العُمْرُ مِنْكُمْ وَالزَّمَانُ قَدِ انْقَضَا
سَتَفْنَوْا ومَا الأَكْوَانُ إِلَّا وَدَائِعُ

فَمِنَّا اتْرُكُوا هَذَا التَّكَاسُلَ والوَنَا لِكَيْ تَبْلُغُوا خَيْرَ المَقَاصِدِ وَالمُنَا
فَمَا هَذِهِ دَارُ المَسَرَّةِ والهَنَا فَأَيْنَ الَّذِي مِن قَبْلِكُمْ عَمَرُوا الدُّنَا
خَلَتْ مِنْهُمُ فَالأَرْضُ مِنْهُمْ بَلاَقِعُ

فَمِنَّا اسْمَعُوا قَوْلاً يُفِيدُ إِفَادَةً بِهِ المَرْءُ يَلْقَى رُتْبَةً وسَعَادَةً

ويبقى به بين البرية قادة   فمن رام منكم من سعاد زيادة
وتدنو له من حى سلمى المرابع

ويشرق فى الأرضين كالشمس فى السما   ويسمى له ركب الغرام ميمما   ويرقى بلحظه المريد إذا انتما

مجاهد يشاهد إن يرم أن يفز بما   به نحن فزنا فالمحب يسارع

بأقوالنا ما دمت سالك فاعتنى   وبالغ إذا ما رمت للخير تجتنى   بذكرك المولى مع المطلب السنى

فدع يا عبيد النفس سوف لعلنى   فما فاز صب بالمنى وهو هاجع

ونافس رجال السير فى السير متعبا   لنفسك مع هذا لها كن مؤدبا   ولا تتبع أهواءها متعصبا

وأزكى صلاة ما تنفست الصبا   وما رقصت بالرقمتين يوانع

وما صب فوق الرياض تهطلت   وما غنها أزهارها فتبسمت   وما أبرق الحنان ليلا تألقت

على أحمد المختار والصحب ما انثلت   ظهرت وشمسى فى البرية ساطع

(١٧٩)

(وقال رضى الله عنه)

شرب المحبة سارى فى الأرواح   وبه فينعم هيكل الأشباح
ترقى به الأرواح فى غدواتها   أوج العلى فى سيرها ورواح
وهناك قد ترقى أزاهير الرضا   من روض غيب ملائح فواح
وتهيج ما ذكر الحمى ورجاله   مع شطح فتح لم يمب بجناح
يومى بذاك إلى لوائح عزة   وظهورها عند اللقا بوشاح
وكذاك سلمى مع تجليها الذى   يبدى الأمور على أتم صلاح
وكذا إلى أسما التى يسمو بها   نظر النهى لكتابة الألواح
وكذا لسعدى تلك مع سعد به   يهدى السرور ونشوة الأفراح

قل للذى جهل الحقيقة لا تخض ... فى أبحر تختص بالأرواح
قد نزهت عن سير سفن خواطر ... فى النفس تلمح فى مسا وصباح
لو كنت تدرى بعضها لعذرت من ... شربوا وهاجوا مع كثير صياح
ونبذت خلف الظهر كل ملامة ... ولحيت من للحال ذلك لاح
خفض عليك وخل لوم أحبة ... فيمن به قد أسكروا للصاح
نظراتهم للصب ترقى للعلى ... وكلامهم خمر وفيه صلاحى
ينمو به حالى وينعم خاطرى ... وتطيب أوقاتى بنيل فلاح
انفق إذا ما رمت كل جليلة ... وشراب راح السكر فى الأقداح
لمهجة فى حب كل مليحة ، ... بعد السلوك تريك كل ملاح
مع ترك قلبك ربما ولعلنى ، ... وعسى وسوف فتلك قص جناح
كل امرىء يذو السلوك بقلبه ... لحضاير المتكبر الفتاح
أذق النفوس مرارة فلعلها ... تحلو عقيب مذاقها بالراح
واعقد على هذا بصدق عزيمة ... فى ضمنها صفو وكل نجاح
إن لم تكن كالقوم كن متشبها ... بشئونهم ترقى ذرا الإفلاح
إن التشبه بالرجال أولى الوفا ، ... نهج الألى ساداتنا الصلاح
أدر المدام أيا نديمى لا تخف ، ... فالوقت طاب ولذ للأرواح
إن المدار هو المراد لنا اسقه ، ... رغما على أنف الدعى المساخ
أقواله فينا بها ينمو الهوى ، ... وتذوقها أحلى من التفاح

لاَ فَخْرَ إِلَّا لِلَّذِى شَرِبُوا الطِّلاَ ، سَحَرًا وَقَدْ ظَهَرُوا بِكُلِّ سَمَاحِ
فَهُمُ الملوكُ وَمَا سِوَاهُمْ مِلْكُهُمْ مُذْ مُلِّكُوا لِلْكَنْزِ وَالمِفْتَاحِ

(٢٨)

وقال رضى الله عنه مخمساً لقصيدة الشيخ السمانى

مَالِى أَرَاكَ كَسُولاً غَيْرَ مُجْتَهِدِ وَضَاعَ عُمْرُكَ فِى هَمٍّ وَفِى نَكَدِ
هل لاعلمتَ بِأَنِّى كَامِلُ الرُّشْدِ ، قُمْ نَحْوَ حَانِى سُحَيْرًا إِنْ تَرُمْ مَدَدِى
وَاشْرَبْ مُرِيدِى بِكَأْسِى خَمْرَةَ الصَّمَدِ

فَرْدٌ وَلَكِنَّنِى بِالْفَخْرِ مُنْفَرِدُ وَكُلُّ حَالٍ عظِيمٍ وَهْوَ يَعْتَقِدُ
قَلْبِى بِحَضْرَةِ سِرِّ السِّرِّ مُتَّحِدُ اسْكَرْ وَهِمْ فِى الوَرَى تِيهًا فَا أَحَدُ
إِلَّا وَلِى شَاهِدٌ بِالفضلِ وَالرُّشْدِ

كَأْسَاتُنَا وَهِىَ فِى الْحَانَاتِ دَائِرَةٌ ، فَيُوضُنَا لِأُولِى الأَشْوَاقِ غَامِرَةٌ
وَعَن حَقِيقَتِنَا الأَفْكَارُ قَاصِرَةٌ آيَاتُ فَضْلِى فِى الأَكْوَانِ ظَاهِرَةٌ
وَكُلُّ قُطْبٍ مِنَ الأَقْطَابِ طَوْعُ يَدِى

حَرِيرُ أَقْلاَمِ جِنْدِ اللهِ أَسْمَعُهُ فِى اللَّوْحِ وَالقَلْبُ مِنِّى فِى اللاَّهُوتِ مَرْتَعُهُ
وَمَا لَهُ شِئْتُ مِن خَفْضٍ فَأَرْفَعُهُ الوَقْتُ وَقْتِى وَمَنْ فِى الكَوْنِ أَجْمَعُهُ
فِى قَبْضَتِى وهو من جُنْدِى وَمن حَشَدِى

ظَهَرْتُ كَالشَّمْسِ مِن بَيْنِ الوَرَى بِسَنَا نُورِ التَّجَلِّى لَدَى فَوْزِى بِكُلِّ مُنَا
لِىَ التَّصَرُّفُ فِى أَهْلِ الدُّنَا عَلَنَا أَنَا الإِمَامُ أَنَا القُطْبُ الشَّهِيرُ أَنَا
غَوثُ الزمانِ أَنَا السَّمَّانُ ذُو المَدَدِ

حَالِي فأوَّلُهُ حَالِكٍ وَآخِــــرُهُ … والغيبُ إنّى بِعَيْنِ القلبِ نَاظِره

بَحْرِى عَرِيضٌ فأعيا الوصفَ زَاخِرُهُ … أنا الولىُّ الذى دَقَّتْ بَشَايِرُهُ

وَمَنْ أَتَاهُ يَعِيشُ الدهرَ فى رَغَـدِ

جَلَيْتُ عَنْ قَاصِدِى بالحُبِّ كُلَّ قَذَا … وَصِرْتُ فِى أنْفُسِ العُشَّاقِ خَيْرَ غِذَا

ومِن رِيَاضِى لِأَهْلِ الأَرْضِ فَاحَ شَذَا … أنا مُحَمَّدٌ المَنُّورُ فَاسْـــعَ إذَا

مَا شِئْتَ بِى وَصْلَةً مِن حَضْرَةِ الأَحَدِ

كُن بِى مُرِيدِى مَدَى الأَيَّامِ مُبْتَهِجَا … لَا تَخْشَ هَمًّا وَلَا غَمًّا وَلَا حَرَجَا

وَبَعْدَ أَنْ تَكُ بِى فِى العُمْرِ مُمْتَزِجَا … فَانْهَضْ إلَىَّ وَنَادِى إنْ تَرُمْ فَرَجَا

مِن نَـكْبَةٍ أَوْ رَمَاكَ الدَّهْرُ بِالشُّدَدِ

فإنْ بُلِيتَ بِهَوْلٍ أَوْ بِدَاهِيَةٍ … أَوْ أَنْفُسٍ فَوْقَ هَذِى الأَرْضِ طَاغِيَةٍ

فَنَادِنِى جَهْرَةً فِى أَىِّ آوِنَةٍ … يَا كَهْفَ كُلِّ الوَرَى فِى كُلِّ نَائِبَةٍ

يَا مَنْ هُوَ الغَوْثُ يَا سَمَّانُ يَا سَنَدِى

احْضُرْ لَدَيْكَ سَرِيعًا حَيْثُ كُنْتَ عَانْ … وَاكْشِفْ لِمَا قَدْ عَرَاكَ مِنْ أَذًى وَحَزَنْ

أَنَا الغِيَاثُ لِـكُلِّ النَّاسِ أَىَّ زَمَنْ … غِثْنِى تَجِدْنِى مُغِيثًا لِلأَنَامِ وَمَنْ

بِى فِى الوَرَى لَاذَ مِن هَمٍّ وَمِنْ نَـكَدِ

لَنَا الـكَمَالُ فَمِنْ رَبِّ العِبَادِ أَتَى … حَالًا وَمَا هَمَّ قَلْبِى أَنْ أَقُولَ مَتَى

وَكَمْ لَنَا انْقَادَ قَهْرًا مَنْ عَلَا وَعَتَى … قَد نِلْتُ قَدْرًا جَلِيلًا لَمْ يَنَـلْهُ فَتَى

غَيْرِى وَقَدْرِى سَمَا عَنْ مَرْكَزِ الأَسَدِ

بِأَبِى لَهُ كُلُّ صَب صَادِقٍ قَصَدَا … وَكُلُّ قُطْبٍ وَلَوْ عَمَّ الوَرَى مَدَدَا

أنا خليفةُ خيرِ الأنبيا السُّعَدا فادنُ إليَّ مُريدي لا تخفْ أبدًا
في هذه الدَّارِ من ضَيْمٍ وَيومِ غدِ

للصَّحْبِ حالي فَفِي العُليا أحلُّهمُ وفي الجهاتِ جميعًا قد أجلُّهمُ
اقدمْ عن رُمتَ رُشدًا أن أدلُّهمُ واتركْ أراجيفَ أقوامٍ أضلَّهمُ
مولاهُمُ أهلُ إنكارٍ لعمري رَدِي

فهمتُ أسرارَ تفصيلٍ وَمُجمَلِهِ مِنْ أيِّ علمٍ مِنَ المولى وَمَنْزِلِهِ
لِيَ التَّصرُّفُ في الأعلى وأسفَلِهِ واعلمْ بأنَّ إلهي مِنْ تفضُّلِهِ
أنالني نعمًا جلَّتْ عَنِ العَدَدِ

نفسي فأيُّ مقامٍ عزَّ تملُكُهُ وَمَا لَهُ سَلَكَ الأمجادُ تسلُكُهُ
حَمَى الإلهُ الحِجَى مِمَّا سَيُهْلِكُهُ وَخَصَّني بمقامٍ لَيسَ يُدرِكُهُ
غَيري وَلَمْ يحوِهِ في النَّاسِ مِنْ أحَدِ

أدنَى لنا مَنْ تعالَى مَعْ توحُّدِهِ عَلَى جَميعِ أولي التَّمكينِ أعبُدُهُ
بدارِ وَحْيٍ أنا أهنَى بموردِهِ وَقَدْ حَبَاني جِوارًا مِنْ مُحَمَّدِهِ
معنًى وَتسميةً وَالقُرْبَ بالجسدِ

خيرَ الورَى ملجأِ الأيتامِ والفقرا إنسانُ عَيْنِ جميعِ الأنبيا الكُبَرا
مَنْ سِرُّهُ في الأراضي وَالسَّماءِ سَرَى صَلَّى عليهِ إلهي مَا حَدَى سَحَرَا
حادي المَطايا بسفحِ البانِ مِنْ أحُدِ

وَمَا بُرُوقٌ بأقصَى الشَّأمِ قَدْ لَمَعَتْ وَمَا غُيُوثٌ عَلَى رَوضٍ ضُحَى هَمَعَتْ
وَمَا طيورٌ عَلَى بانِ النَّقا سَجَعَتْ وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأتباعِ مَا انْشَدَتْ:
قُمْ نحوَ حانِي سُحَيْرًا إنْ تَرُمْ مَدَدِي

(وقال رضى الله عنه)

يا مُرِيدًا هَوَاكَ أَنْ تَتَحَلَّى   وتَكونَ لِلْقُرْبِ والشُّرْبِ أَهْلاَ
أَصْف لِي لَدَى جُلُوسِكَ عَقْلاَ   كلُّ مَنْ رَامَ وصْلَنَا يَتَخَلَّى
عَنْ سِوَانَا إِذَا يَشَا يَتَمَلَّى
واسْلُكْ النَّهْجَ بِالصَّفَا وَتَزَوَّدْ   بِالتُّقَى ذَاكَ خَيْرُ زَادٍ تَأَكَّدْ
لِسِوَانَا فَلاَ تَكُنْ تَتَرَدَّدْ   لَيْسَ للمرء غير قلب فَلِمَ قَدْ
جَاء فِيهِ بِآخَرٍ يَتَسَلَّى

(٦)

وقال رضى الله عنه وأرضاه فى شرحه الكبير للسمى بروض المعانى ومجالس الأنس والتهانى :

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا لَهَا تَعْظِيم   عِنْدَ امْرِىءٍ هُوَ وَاصِلٌ وَعَلِيمٌ
إِنَّ الفَنَا عَنْهَا هُوَ القَصْدُ الَّذِى   فِيهِ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَمقِيم
رُؤْيَا الإِلهِ فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ   مَا جَنَّةٌ مَا حُورُهَا وَنَعِيمُ
فَازَتْ بِهَا قَوْمٌ فَمَا فى سِرِّهِم   إِلَّا إِلَهٌ وَشَأْنُهُمْ مَعْلُومُ

(٤)

وقال رضى الله عنه فى الشرح المذكور أيضاً

امْنَعْ فؤَادَكَ عَن شُهُودِ سِوَاهُ فِي   أَوْقَاتِ عُمْرِكَ إِنْ أَرَدْتَ وصُولاَ
فَمَتَى لِغَيْرِهِ قَدْ نَظَرْتَ بِشِرْكَةٍ   عَنْهُ بَعُدْتَ مُذَمَّمًا مخذولا
تَوْحِيدُ فِيكَ أَقِمْهُ فِيكَ لِتَرْتَقِي   أَوْجَ الوِلاَيَةِ غُدْوَةً وَأَصِيلاَ

وَتَسِيرُ سَيْرًا فِي الشُّهُودِ وَتَمْلِكَنْ ... مَا كُنْتَ عَنْهُ مَعَ الإِيَاسِ جَهُولَا

سِرَّ الشُّهُودِ وَعِلْمَهُ وَجَمَالَهُ ... وَجَلَالَهُ وَكَمَالَهُ الْمَقْبُولَا

(٥)

وقال أيضاً فيه رضي الله عنه وحماه وهو يخاطب الحق جل وعلا

فَإِذَا نَظَرْتُ لِغَيْرِ ذَاتِكَ نَظْرَةً ... حَكَمَتْ عَلَيَّ حَقِيقَتِي بِرُجُوعِي

وأرى القِيَامَةَ وَهِيَ قَدْ قَامَتْ عَلَيَّ ... بِحَيْثُ لَمْ تَنْفَعْ إِذَاكَ دُمُوعِي

(٢)

وقال رضي الله عنه فيه أيضاً

انبِذْ وَرَاءَ الظَّهْرِ كُلَّ كَلَامٍ ... نَبَذَتْهُ سَادَاتُ الْهُدَى أَعْلَامِي

فَطَرِيقُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وِقَايَةٌ ... مِنْ كُلِّ غَيٍّ مُفْسِدِ الأَحْلَامِ

فَكَلَامُهُمْ نُورٌ مُضِيءٌ لِلنُّهَى ... وَكَلَامُ غَيْرِهِمْ يُرَى كَظَلَامِ

لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ وَسِوَاهَا مِنْ ... قَوْلِ اعْتِزَالٍ شِيبَ بِالأَوْهَامِ

(٤)

وقال فيه أيضاً رضي الله عنه

الْخَيْرُ فِي كُلِّ الزَّمَانِ كَثِيرُ ... وَالْكَأْسُ فِي الْحَانَاتِ وَهِيَ تَدُورُ

وَالأَوْلِيَاءُ فَهُمْ بُدُورٌ طُلَّعٌ ... وَضِيَاؤُهُمْ بَيْنَ الأَنَامِ شَهِيرُ

لَا يَحْجُبَنْ عَنْهُمْ سِوَى ذِي شِقْوَةٍ ... فِي قَلْبِهِ بِمَنْذِ الْعَمَى تَكْدِيرُ

فَإِذَا اضْطَرَرْتَ لَهُمْ تَجِدْ مَا رُمْتَهُ ... وَعُلُومَ فَتْحٍ لِلْمَآلِ تُشِيرُ

(٤)

وقال رضى الله عنه مخمساً لهذين البيتين وهما للشيخ موسى ولد يعقوب رضى الله عنه :

حيى قلبي بكئوس الحي   وسما قدري بعمان الطي
وسريت إلى الحرمين لكي   أأس أسيسا في سينى
وأنم نعيما في مي مي

وبفضل الله لبست الزي   وبروح الروح مزجت ححي
ونظرت لغيب غيوب الحي   وأأل أكيكا في كي كي
وأخفى السر لشيئان

(٦)

(وقال رضى الله عنه)

لا يدرك الذوق إلا من له حال   ولا المقام سوى من فيه إقبال
الذوق نور من العرفان يقذفه الـ   ـرحمن في قلب صب فيه إجلال
إلى الحضاير في الأوقات منجذب   بحالة وبها منه صفا البال
لا زال في سيره بالحق منفرداً   عن السوى وربي في قلبه الحال
لم يستمع قول عذال له عذلوا   في وجده وهيام معه ترحال
وربما لذ عذل العاذلين له   وما له عنهمو تحكيه تقال
له تبدت سليمى إذ له سلمت   سريرة طهرتها منه أعمال
بنورها فانمحت عنه الكيان وقد   طالت له الباع كالقوم الذي طالوا
وغاب في بحره نجم الرسوم وما   يدري سوى الله والأكوان أطلال

شمسُ الوصولِ فلا معْها يُرى أبدًا ... ظلامُ كونٍ بهِ للنفسِ آمالُ
وَكلُّ حالٍ بدونِ الوصْلِ وَهْوَ لها ... تمحو العوائقَ وهيَ الجاهُ والمالُ
طريقُ زُهْدٍ وأعمالٍ ومعرفةٍ ... بهِ لقدْ فازَ زُهّادٌ وعُمّالُ
بهِ فاقوا مناها جوا على طربٍ ... وحالةٍ وبها في الغيبِ قدْ جالوا
وشاهدُوا كلَّ معنًى كانَ يُنكرُهُ ... مَنْ يدّعِي العلمَ والإنكارُ إضلالُ
فيمَنْ لهمْ عندَ ربِّ العرشِ منزلةٌ ... عليا وفيضٌ عليهمْ وهْوَ هطّالُ
إلى متى منكمْ هذا التخلّفُ عن ... طريقِ خيرٍ لهُ في الذكرِ آصالُ
قيدتمو النفسَ منكمْ بالوساوسِ معْ ... أوهامِ نفسٍ لكمْ في الأمرِ أنكالُ
أيرشدُ المرءَ منهُ النفسَ معتمدًا ... على معانٍ لهُ في شرحها اشكالُ
وكمْ بتحسينِ نفسٍ في الورى هلكتْ ... قومٌ فلمْ تدرِ كشفًا أنهُ الآلُ
علمَ الفتوحِ فلا إشكالَ فيهِ ولا اختـ ... ـلافَ بينَ رجالٍ هُمْ لهُ نالوا
لكنْ يكونُ على ما هُمْ عليهِ منَ الـ ... أذواقِ في رُتبٍ منْ سرِّها اكتالوا
معَ العلومِ وأسرارِ الحقيقةِ معْ ... شرعٍ بهِ وصلوا والشرعُ وصّالُ
مَنْ لمْ يكنْ وهْوَ ذو ذوقٍ ومعرفةٍ ... فحالُهُ بينَ أهلِ الحالِ بطّالُ
تسقيهِ نفسُهُ من كأسِ الظلامِ بما ... بهِ على الناسِ للأموالِ يحتالُ
تهدي لهُ منْ دعاويها مفاخرَها ... داءٌ عضالٌ وسمًّا وهْوَ قتّالُ
يصيرُ يثبتُ ما قدْ شا موافقةً ... لها وينفي لأمرٍ وهْوَ إجلالُ
يُضِلُّ بالوهمِ أقوامًا ويشغلُهمْ ... بغيرِ ما فيهِ أذواقٌ وسلسالُ
وهنّا لإيمانهمْ والنفسُ منهُ فلا ... تدرِ لهذا وقلبُ الوهمِ حمّالُ

كلّ امْرِىءٍ لمْ ينَلْ نوراً يقولُ بهِ ... لمْ نحْظَ أقوالُهُ قوماً لها قالوا

ورُبَّما انْقلبتْ منْهُمْ مَاتٌ وانقلبتْ ... أحْوالُهمْ بعْدَ ما كانتْ لهمْ حالُ

(٣٠)

وقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه

شَرِبْنا كُئُوساً في الدَّياجي عَلى رَغْمِ ... حَسُودٍ وفينا قَدْ محا حالةَ الظُّلْمِ

وَلَمْ يَدْرِ أنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يَشا ... قَديماً حَديثاً في العِبادِ بِلا قَصْمِ

وَمِنْ جَهْـلِهِ باللهِ قَدْ ظَنَّ أنَّهُ ... بأحْوالِنا وَالْغَـيْرِ كُلٌّ عَلى فَهْمِ

إذا كانَ لَمْ يَفْهَمْ حَقيقةَ نَفْسِهِ ... وَحالتَها فالظَّنُّ مِنْهُ مِنَ الوَصْمِ

وَأكْمَلُ خَلْقِ اللهِ في النَّاسِ مَنْ لَهُ ... جَميلُ ظُنُونٍ في العِبادِ عَلى جَزْمِ

وَلا سِيَّما أهْلُ المُناجاةِ وَانْبَـكا ... ظَلاماً مَعَ الإخْلاصِ وَاتْباعِ في العِلْمِ

هُمُ القَوْمُ مَنْ في اللهِ باللهِ هُيِّمُوا

وَتاهُوا وَما تاهُوا عَنِ الشَّرْعِ ذِي الحُـكْمِ

لَقَدْ شَرِبُوا كأسَ التَّجَلِّي وَكُلُّهُمْ ... حَيارَى سَـكارَى في ابْتِداءٍ وَفي خَتْمِ

فَلا تُنْـكِرُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ فَإنَّهُمْ ... تَرَقَّوْا بِسَيْرِ الرُّوحِ عَنْ عالَمِ الجِسْمِ

إلى عالَمِ الأنْوارِ وَالسِّرُّ بَعْدَهُ ... إلى عالَمِ اللّاهُوتِ ذلِكَ في اليَوْمِ

عَلَيْهِمْ خُذُوا هذا الطَّريقَ لِأنَّهُمْ ... سَمَوْا بِاتِّباعِ المُصْطَفى المُرْسَلِ الأُمِّي

وَمِنْ بَعْدِ هذا الأخْذِ كُونُوا كَمَيِّتٍ ... لَدَيْهِمْ بِلا ظَنٍّ يَـكُونُ وَلا سَأْمِ

وَإلّا فَقَدْ لَطَّخْتُمُو لِنُفُوسِـكُمْ ... بِأنْجاسِ كِبْرٍ وَهْوَ مِنْ أكْبَرِ الإثْمِ

أَبابِسَـةَ الأيّامِ عَنّا فَأبْعِدُوا ... وَإلّا جَميعاً قَدْ تُصابُونَ بِالسَّهْمِ

فَلَمْ تَعْلَمُوا وَالْعِلْمُ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ ... جَمِيعُكُمْ إِلَّا أَقَاوِيلَ عَنْ وَهْمِ
تَهَاوَنْتُمُو بِالدِّينِ حَتَّى رَأَيْتُمُو ... اغْتِيَابَكُمْ دِينًا كَذَا سَيِّئَ الشُّتْمِ
إِلَى اللهِ تُوبُوا قَبْلَ مَوْتِكُمُو وَلَا ... تَؤُمُّوا لِمَا يُفْضِي إِلَى الْفَصْمِ وَالْقَصْمِ
فَلَا دِينَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ... وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْهِدَايَةِ وَالْعَزْمِ
وَمِنْ بَعْدُ لَهُمْ مِنْ صَالِحِ النَّاسِ سَاوَى ... كَمَعْرُوفٍ الْمَعْرُوفِ بِالزُّهْدِ فِي الْقَوْمِ
كَذَاكَ سَرِيٌّ وَالْجُنَيْدُ إِمَامُنَا الـ ... ـذِي بِعُلُومِ السِّرِّ قَدْ فَاضَ كَالْيَمِّ
كَذَا الْجِيلِي وَالْبَكْرِيُّ ثُمَّ مُحَمَّدٌ ... إِمَامُ الْوَرَى السَّمَّانُ وَالطَّيِّبُ الشَّهْمِ
وَإِخْوَانُهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأَوْلِيَا الَّذِي ... لَقَدْ ظَهَرُوا بِالْفَيْضِ فِي الْعُرْبِ وَالْعُجْمِ

(٢١)

(وقال رضى الله عنه)

مَنْ كَانَ قَلْبُهُ لَا يَرَى مَوْلَاهُ ... فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ يَرَاهُ
وَهُوَ الْبَعِيدُ عَنِ الْمَقَامِ وَعَنْ سَنَى ... يَعْنُو لِحَالِكِ وَهْمِهِ وَدُجَاهُ
حَجْبُ الْقُلُوبِ عَنِ الْمُهَيْمِنِ إِنَّهُ ... ذَنْبٌ عَظِيمٌ مَانِعٌ رُؤْيَاهُ
مَنْ يَصْرِفِ الْأَنْفَاسَ فِي غَيْرِ الَّذِي ... أَوْجَدَهُ مِنْ عَدَمٍ كَمَا أَنْشَاهُ
فَهُوَ الَّذِي فِيهِ النُّفُوسُ تَصَرَّفَتْ ... حِجَابًا لَهُ عَنْ شُهُودِ عُلَاهُ
مَا دَامَ وَهُوَ كَذَاكَ لَمْ يَنْظُرْ لَهُ ... نَظَرًا بِهِ يَهْدِي لِذَاكَ حِمَاهُ
فَالْعَبْدُ إِنْ رَامَ الْإِلَٰهُ لَهُ هُدًى ... وَمَقَامَ صِدْقٍ فِي الدُّنَا يَرْقَاهُ
لَا زَالَ يَشْغَلُهُ بِهِ لِيُذِيقَهُ ... كَأْسًا يَضُوعُ مَدَى الزَّمَانِ شَذَاهُ
يُغْنِيهِ عَنْ أَفْعَالِهِ بِشُهُودِ فِعْلِـ ... ـهِ يَا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عُقْبَاهُ

جذب إلى سر الحضائر مدهش   ينمو به في السر مع نجواه

يصغو به عن كل شيء حاجب   وجميع أكدار حشت أحشاه

لكن صاحب ذا فلم ير مالكا   للحال عند شهوده مولاه

تتصرف الأحوال فيه ولم يزل   فان بها في ليله وضحاه

ما دام فيه فلا يبالي من كلا   م العاذلين وما له أنداه

من شطح حال قد تضمن سر ما   في نفسه من حاله أخفاه

فيرى الرجال جميعهم في حكمه   والكون هذا عبده مولاه

سكرا ودهشا غالبا لحقيقة   في نفسه دون الذي أماه

فالشطح ليس لنفسه عنه التوى   كلا ولا إضرار من آذاه

ولربما للشرع هذا قد يرا   ه الرائي وهو مخالف لهداه

فمقامه جمع لدى أهل الفنا   فيه من الأذواق ما أحلاه

لكن صاحبه إذا لم يجتمع   بإمام حق قد سما مرقاه

يخشى عليه من الضلال لتركه   لنصوص شرع فالإله أتاه

للمصطفى خير البرية أحمد   من سيفه بين الأنام نضاه

يبدي كلاما وهو رمز لا يطيقه سامع وملاحظ فحواه

كمثال قول العارف الحلاج من   علماؤنا جهلوه إذ أبداه

وإليه شنوا غارة نصية   حتى أباحوا قتله وهجاه

صونا لأحكام الشريعة والحقيقة وهي تأبى قتله ورداه

معذور عند العارفين وإنه   لا إثم عندهمو إذا يغشاه

سلب التجلي لعقله وجنانه   قد صار لم يشعر بما أجلاه

مِن بَعْدِ ذَا هَذَا الْمُرِيدُ فَإِنَّهُ ... يَرْقَى إِلَى سِرِّ الصِّفَاتِ حِجَاهُ
بِفَنَائِهِ عَن حَادِثَاتِ صِفَاتِهِ ... بِصِفَاتِ مَوْلاَهُ الذِى أَوْلاَهُ
وَإِذَا تَحَقَّقَ بِالصِّفَاتِ فَإِنَّهُ ... يُكْسَى خَلاَئِعَ مِنْ عَظِيمِ بَهَاهُ
وَيَكُونُ بَيْنَ الأَوْلِيَا مُتَصَرِّفًا ... يُحْيِي وَلَوْ مَيْتًا فَطَالَ فَنَاهُ
وَلَدَي الرِّجَالِ مَقَامُهُ مُتَوَسِّطٌ ... وَأَمَامَهُ سِرٌّ فَمَا أَهْنَاهُ
وَهْوَ الْفَنَا عَنْ ذَاتِهِ بِشُهُودِ ذَا ... تِ الحَقِّ جَلَّ جَلاَلُهُ وَعُلاَهُ
وَيَكُونُ بَعْدَ مَقَامِهِ هَذَا لِخَيْـ ... ـرِ الرُّسْلِ وَارِثَ فَاتِحًا رَيَّاهُ
لاَ وِزْرَ فِي فِعْلٍ لَقَدْ أَبْدَاهُ بَلْ ... لاَ جَهْلَ فِي قَوْلٍ لَنَا أَلْقَاهُ
فَتَؤُمُّهُ أَرْوَاحُ كُلُّ الأَوْلِيَا ... لِلشُّرْبِ مِن عِرْفَانِهِ مَعْنَاهُ
وَيَنَالُ حُكْمًا فِيهِم وَتَصَرُّفًا ... وَرَفِيعَ قَدْرٍ فَالسَّمَاءُ وَرَاهُ
وَيُغِيثُ كُلَّ الْعَالَمِينَ كَلَمْحَةٍ ... عِنْدَ الْكُرُوبِ فَمَا أَلَذَّ ثَنَاهُ
وَفَنَا الْفَنَا بَيْنَ الرِّجَالِ مَقَامُهُ ... وَالمَجْدُ تَاجُهُ وَالفَخَارُ حُلاَهُ

(٤١)

(وقال رضى الله عنه)

مَن لاَ يَشُمُّ المسكَ فى أَقْوَالِنَا ... نَظْمًا وَنَثْرًا إِنَّهُ لَسَقِيمُ
سِرُّ الحَقِيقَةِ لاَ يَشُمُّ شَمِيمُهُ ... مَنْ فَهْمُهُ بَيْنَ النُّهَى مَزْكُومُ
يَا وَيْحَ مَن جَعَلَ الزُّكَامَ طَرِيقَهُ ... فى قَوْلِ ذَوْقٍ فَاحَ مِنْهُ شَمِيمُ
أَبْدَتْهُ سِرُّ عِنَايَةٍ قُدْسِيَّةٍ ... فَسَحَابُهُ مُتَهَطِّلٌ مَرْكُومُ
انْظُرْ لَهُ بِعُيُونِ قَلْبٍ خَالِصٍ ... تَلْقَ لَهُ وَجْهًا لَدَيْكَ وَسِيمُ
لاَ يَلْقَ شَخْصٌ فى الزَّمَانِ مِثَالَهُ ... مِن زَهْرِ رَوْضَتِهِ يَفُوحُ نَسِيمُ

اهْدِمْ بِنَاءَ فِي الحِجَابِ بَنَيْتَهُ . . . بِحَدِيثِ مَنْ هُوَ عَارِفٌ وَهُـ

وَادْخُلْ طَرِيقَ الْعَارِفِينَ فَإِنَّهُ سُفُنُ النَّجَاةِ وَخَيْرُهُ مَعْلُومُ

لِلَّهِ دَرُّ السَّالِكِينَ طَرِيقَنَا بِمَحَبَّةٍ وَبِهَا الْفُؤَادُ كَلِيمُ

فَطَرِيقُنَا حِصْنٌ حَصِينٌ مَانِعٌ لِلدَّاخِلِينَ وَكَأْسُهُ مَخْتُومُ

فِيهِ بِحَارٌ قَدْ تَمَوَّجَ سِرُّهَا لِلنَّاظِرِينَ وَدُرُّهَا مَنْظُومُ

فَطَرِيقُنَا سِرٌّ مِنَ السِّرِّ الَّذِى كَأَسَاتُهُ جَوْفَ الظَّلَامِ نُجُومُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ فِى سِلْكِهِ مَنْظُومٌ فَهُوَ مَدَى الحَيَاةِ لَدَى الرِّجَالِ زَنِيمُ

(١٣)

(وقال رضى الله عنه وحماه)

قِفْ فِي الدُّجُوجِ بِبَابِ اللهِ بَارِيكَا وَسُحَّ دَمْعَ اشْتِيَاقٍ مِنْ مَآقِيكَا

ومَرِّغِ الْخَدَّ فِى الأَعْتَابِ مُنْكَسِرًا كَئِيبَ قَلْبٍ حَزِينًا مِنْ مَسَاوِيكَا

وَاخْلَعْ ثِيَابَ الرِّيَا وَالعُجْبِ عَنْكَ وَكُنْ عَبْدًا ذَلِيلاً بَرِيئًا مِنْ دَعَاوِيكَا

وَلَا تُطِعْ غَافِلاً تُرْدِيكَ حَالَتُهُ يَوْمَ التَّلَاقِ إِذِ الْمَوْلَى يُلَاقِيكَا

وَعِسْ سَيْرَكَ فَازْجُرْهَا عَلَى هِمَمٍ فِى مَهْمَهِ الفر عَمَّنْ كَانَ يُلْهِيكَا

وَانْسَخْ مِنَ الْقَلْبِ مَا تُلْقِيهِ نَفْسُكَ مِنْ وَسَاوِسٍ فِى جَحِيمِ الْبُعْدِ تُلْقِيكَا

وَارْمِ الْفَيَافِي وُلُوعًا بِالْمَسِيرِ إِلَى ذَاكَ الحِمَى عَلَّ مَا تَهْوَى يُوَافِيكَا

وَاقْهَرْ بِعَزْمِكَ فِى كُلِّ الصِّعَابِ لِمَا تَمِيلُ حُبًّا إِلَيْهِ مِنْ تَأَبِّيكَا

قَاسِ الشَّدَايِدَ فِى هَذَا الطَّرِيقِ إِنْ قَاسَيْتَهَا فَبُرُوقُ الْوَصْلِ تُومِيكَا

وَجُنْ بِفِكْرِكَ فِى مِيدَانِ سَيْرِكَ لَا تُفْشِى لِسِرٍّ خَفِيٍّ قَدْ طَوَى فِيكَ

عَذِّبْ حَشَاكَ بِنِيرَانِ الْغَرَامِ وَبِالْـ ـسُهَادِ كَحِّلْ عُيُونًا فِى مَرَاقِيكَا

وَدُمْ عَلَى الحُبِّ فِى الأَحْيَانِ مُغْتَنِماً ... مَعَارِفاً بِحَيَا الإِيمَانِ تُحْيِيكَا

وَنَاجِ رَبَّكَ فِى الأَسْحَارِ مُجْتَهِداً ... وَاجْرِ المَدَامِعِ شَوْقاً فِى تَنَاجِيكَا

وَلَا تَحُلَّ وَثِيقَ العَهْدِ مِنْ ضَجَرٍ ... فِى السَّيْرِ هَذَا وَإِنْ كَانَتْ مَسَاعِيكَا

وَمَتِّعِ النَّفْسَ فِى حُبِّ الإِلَهِ بِمَا ... فِيهِ ارْتِقَاءٌ إِلَى العَلْيَاءِ يُرْقِيكَا

وَاطْرَحْ مُرَادَكَ إِنْ رُمْتَ المُرَادَ وَلَا ... تَقِفْ مَعَ النَّفْسِ فَالشَّيْطَانُ يُغْوِيكَا

وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالجِدِّ تَمْلِكُهَا ... فَجُنْدُهَا عَنْ قَرِيبٍ وَهْوَ يَسْبِيكَا

أَمَّارَةٌ بِسِوَى مَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ ... مِنَ الأُمُورِ وَفِى الدَّارَيْنِ يُرْدِيكَا

أَعْدَى عَدُوِّكَ قَالَ المُصْطَفَى وَلِذَا ... قَالَ المَشَائِخُ عَنْهَا دَعْ تَعَامِيكَا

وَرَاعِ فِى سَيْرِكَ الشَّيْطَانَ وَهْوَ بِلَا ... رَيْبٍ إِلَى الغَايَةِ القُصْوَى يُرَاعِيكَا

وَاجْعَلْ ضَمِيرَكَ بِالخَيْرَاتِ مُتَّصِلاً ... مُرَاقِباً بِجَمِيلٍ مِنْ مَعَانِيكَا

شَمِّرْ عَلَى الوِرْدِ فِى الأَوْقَاتِ مَعْ طَرَبٍ ... وَلَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ لِلَّهِ يُدْنِيكَا

وَاكْسُ الفُؤَادَ مِنَ الأَذْكَارِ ثَوْبَ رِضًى ... عَسَى الإِلَهُ مِنَ الأَنْوَارِ يَكْسُوكَا

وَفَرِّغِ القَلْبَ مِنْ كُلِّ الشَّوَاغِلِ بِالْمَوْلَى نَهَاراً وَأَيْضاً فِى لَيَالِيكَا

وَاصْرِمْ جَمِيعَ الَّذِى قَدْ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... مِمَّنْ عَنِ الحَضْرَةِ الغَرَّا يُوَنِّيكَا

دَعْ لَذَّةً بِسِهَامِ المَقْتِ ضَارِبَةً ... بَيْنَ البَرِيَّةِ بِالنُّقْصَانِ تُخْزِيكَا

وَاغْمِضْ عُيُونَكَ عَنْ دُنْيَا تَلَذُّ بِهَا ... وَازْهَدْ فَمَوْلَى الوَرَى بِالزُّهْدِ يَكْفِيكَا

وَمُدَّ أَيْدِى اضْطِرَارٍ فِى الدَّيَاجِى إِذَا ... ضَاقَ الخِنَاقُ فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيكَا

وَاغْلِقْ سِوَى بَابِ مَوْلَاكَ الكَرِيمِ وَلَا ... تَرَى مُرَادَكَ إِلَّا مِنْهُ يَأْتِيكَا

لا تأكلن ما كلا قالوا بحرمته ... عن الصواب ونهج الحق يعميكا

لا تكتسب في الدنا شيئا يعيب غدا ... ولا الذى عن شهود الحق يقصيكا

وراع كل امرىء بالفضل متصف ... من الورى سيما هذا مربيكا

وللمــداوات لا تفشى فإن لها ... شرا إذا فشيت بالهم يضنيكا

ولا تحل ذرا المجد الرفيع سوى ... بالصفح عمن بسهم البغض يرميكا

لا تسأمن من دعاء الخير آونة ... واحذر من اليأس إن اليأس يشقيكا

ولذة الغمض دعها إن ترد شرفا ... دنيا وأخرى به تلقى أمانيكا

وجد بروحك فى هذا الطريق عسى ... يضوع نشر علوم الغيب من فيكا

وواظب العزم واعمل بالشريعة لا ... تنفك عنها سهام الحق تثويكا

ولا تؤاخ امرءا في الناس قاطبة ... إلا تقيا على البيضا يؤاخيكا

وود نفسك بالصبر الجميل عسى ... بشير سعدك للعليا يناديكا

وكن ولوعا بهذا السير مجتنبا ... سآمة من قبيل النفس تأتيكا

وصل حنينا إذا الأظلام قد ضربت ... خيامها بزفير منه يشجيكا

كيف التأنى وسحب الخير هاطلة ... وبرق ذاك الحمى بالبشر يبديكا

كيف المنام وكأس الشرب دائرة ... ونشرها بلسان الحال داعيكا

لا تبلغن لقصــد أنت آمله ... إلا بكد وجد في مساعيكا

مع جوع نفس وصمت دائم وكذا ... سهر كذاك اعتزال عن مفانيكا

لم يقض ما رامه في ذا الطريق سوى ... من كاد إن نظرته العين يبكيكا

سقيم عشق بنار الشوق محترق ... صفي قلب بعين الود رائيكا

أيا أخا الود شمر في الطريق وكن   لله بالله كي تسمو مراميكا
وانزع بتوب نصوح كل معصية   ولا تصر على ذنب فيطغيكا
لا تقبضن يدا من سائل أبدا   ولا يتيم ولا من رد أيديكا
والبخل خلق ذميم ليس يقبله   حر وساحة من يقبله تكفيكا
بأذية الخلق لا تشغل لسانك إن   الله يعلم ما تبدي وتخفيكا
والعمر أطيبه قد فات منك ولم   تظفر بشيء وهذا الموت آتيكا
وحق عيش تقضى لم تكن بطلا   في منهج القوم إلا أن ترى فيكا
عفافة رقة صدق ومعرفة   إخلاص قلب عن الأهواء ينجيكا
زهادة أدب ذكر ومكرمة   فتوة فطنة خلق تحليكا
ولا يؤذك إحسان تفيض به   فلم تجد في غد إلا أياديكا
ولا يصدنك عن ذكر المهيمن من   أضحى بأسبابه جهلا يعاديكا
واشرب به هائما كأسا معتقة   من كف أيدي حضور وقد ثوى فيكا
واجني بأنمله من روض حضرته   ثمار علم بها يلتذ ناديكا
والشرب إن دب في الأحشاء كن رجلا   بالصبر وإذا الشطح الحال من فيكا
واحذر إذا ما بدا كشف لقلبك من   عجب يقودك من أعلى نواصيكا
فالعجب يسلب ما في النفس من نعم   والكبر من بعد حسن الوصف يشنيكا
وإن رأيت على الأقوام معترضا   فابعد لئلا بهذا الداء يعديكا
هذا طريق غريب ليس يدركه   إلا فتى قد فني في الله باريكا
صدق بأحوال أرباب الطريق فهم   غوث الورى وحمى إن قل حاميكا
لله درهمو من فتية بلغت   منازلا دونها الجوزاء هاتيكا

إذ كرهمو زرهمو اصحبهمو ولهم ... فاهوى بقلب عسى تمحى دياجيكا

ومنهم اصحب خبيرا فى الطريق على ... علم من الغير فى الإدلاج يغنيكا

صفا له الوقت والتذت به مهج ... يكاد كشفا بسر الغيب ينبيكا

كأنه كخلوق خلقه وله ... بصيرة نورها باد وناهيكا

واخدمه إن رمت وصلا واعتلا قدم ... على كمال وصدق فى معانيكا

ولا تردّ له قولا تردّ به ... عمن له كنت تهوى من أمانيكا

واظهر له كل عيب فيك منكتم ... فإنه بدوا الإرشاد يشفيكا

ولا تكن فاشيا أسراره أبدا ... كلا ولا فاعلا ما عنه ناهيكا

واكثر من الأدب المشهور منه تنل ... عزا ومجدا وفخرا مع تحليكا

وصل ربى على من فى الأنام له ... قالت مفاخره من ذا يضاهيكا

محمد العربى المصطفى قدما ... مير النبيين من ذكراه ترضيكا

وآله الغر والأصحاب ما تليت ... قف فى الدجوج بباب الله باريكا

(٨٠)

وقال رضى الله عنه مخمسا لقصيدة العارف الربانى سيدى الشيخ أبى مدين شعيب المغربى التلمسانى نفعنا الله به آمين :

إلى متى أنت مختار الفؤاد ترى ... والركب عرس فى حان الطلا سحرا

إن رمت تقفوه خذ ما قاله الخبرا ... ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادات والأمرا

تنحو الركاب إلى مغنى أكابرهم ... والكون نشوان من ريا نفائسهم

هُمْ أَبْحُرُ الرَّىّ هُمْ نِعْمَ مَجَالِسِهِمْ   فَاصْحَبْهُمْ وَتَأَدَّبْ فى مَجَالِسِهِمْ

وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْمَا قَدَّمُوكَ وَرَا

أَبْطَالُ عِلْمٍ تَقَهْقَرْ أَنْ تُنَازِعَهُمْ   أَوْ أَنْ تُقَيِّدَ بِالأَرَا طَبَايِعَهُمْ

فَلاَ سَــلاَمَةَ إِلَّا أَنْ تُطَاوِعَهُمْ   وَاسْتَغْنِمِ الوَقْتَ وَاحْضُرْ دَايِمًا مَعَهُمْ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضَى يَخُصُّ مَنْ حَضَرَا

فِى رَوْضِ أَسْرَارِهِمْ ذَوْقًا بِعَقْلِكَ جُلْ   وَمِن ثِمَارِ مَعَانِيــهِ الْهَنِيئَةِ كُلْ

والنَّفْسُ مِنكَ عَلَيْهَا اخْلَعْ خَلَايِعَ ذُل   ولازِمْ الصَّمْتَ إلاَّ إِنْ سُئِلْتَ فَقُلْ

لا عِلْمَ عندى وَكُنْ بِالجَهْلِ مُسْتَتِرَا

قُمْ فِى الدَّيَاجِرِ بِالأَذْكَارِ مُجْتَهِدًا   وَعَنِّفِ النَّفْسَ فى تَقْصِيرِهَا أَبَدَا

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ عَيْبٍ يَعِيبُ غَدَا   وَلاَ تَرَى العَيْبَ إِلَّا فِيكَ مُعْتَقِدَا

عَيْبًا بَدَا بَيِّنًا لَــكِنَّهُ اسْــتُتِرَا

طَهِّرْ فُؤَادَكَ مِنْ لَهْوٍ وَمِنْ لَعِبِ   وَافْتَحْ لِبَابِ الرَّجَا وَالذُّلِّ وَالأَدَبِ

وَلاَ تُعَاتِبْ وَإِنْ عُوتِبْتَ فَاقْتَرِبِ   وَحُطَّ رَأْسَكَ وَاسْتَغْفِرْ بِلاَ سَبَبِ

وَقِفْ عَلَى قَدَمِ الإِنْصَافِ مُعْتَذِرَا

اصْرِفْ هَوَاكَ عَلَى أَهْلِ الطَّرِيقِ وَهُمْ   بِحُبِّهِمْ وَبِهِمْ لُذْ فِى الزَّمَانِ وَهِمْ

واعْصِمْ فُؤَادَكَ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِمْ   وَإِنْ بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ فَاعْتَرِفْ وَأَقِمْ

وَجْهَ اعْتِذَارِكَ عَمَّا فِيكَ مِنْكَ جَرَا

يَا سَادَاتِى فَأَنَا مُلْقٍ بِسُوحِكُمُو   وَالذَّنْبُ قَدْ عَاقَنِى عَنْ نَيْلِ نُجْحِكُمُو

قَدْ قِيلَ لِى قُلْ لَهُمْ رُشْدًا لِصُلْحِكُمُو   وَقُلْ عُبَيْدُكُمُو أَوْلَى بِصَفْحِكُمُو

فَسَامِحُوا وَخُذُوا بِالرِّفْقِ يَا فُقَرَا

هُمْ سَادَةٌ هَمُّهُمْ فِي اللهِ نِيَّتُهُمْ   رُشْدُ الْعِبَادِ إِلَى مَا فِيهِ قُرْبَتُهُمْ

بِالدَّمْعِ جِئْهُمْ إِذَا جَافَيْتَ حَضْرَتَهُمْ   هُمْ بِالتَّفَضُّلِ أَوْلَى[1] وَهْوَ شِيمَتُهُمْ

فَلَا تَخَفْ دَرَكًا مِنْهُمْ وَلَا ضَرَرَا

تِهْ فِيهِمُ مُعْرِضًا عَمَّنْ لَهُمْ حَسَدَا   وَاجْعَلْ عَلَيْكَ هَوَاهُمْ فِي الزَّمَانِ رِدَا

وَابْذُلْ عَلَيْهِمْ عَسَى تَلْقَى بِذَا مَدَدَا   وَبِالتَّفَنِّي عَلَى الْإِخْوَانِ جُدْ أَبَدَا

حِسًّا وَمَعْنًى وَغُضَّ الطَّرْفَ إِنْ عَثَرَا

فِي حُكْمِ نَفْسِكَ لَا تَدْخُلْ وَلَوْ نَفَسَا   مُذْ بِعْتَ نَفْسًا عَلَيْهِمْ مُغْرَمًا أَنِسَا

وَاعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ لَيْلًا ضُحًى غَلَسَا   وَرَاقِبِ الشَّيْخَ فِي أَحْوَالِهِ فَعَسَى

يُرَى عَلَيْكَ مِنِ اسْتِحْسَانِهِ أَثَرَا

عَظِّمْ بِسِرِّكَ مَعْ جَهْرٍ لِحَضْرَتِهِ   وَقَيِّدِ الطَّرْفَ فِي مَعْنَى حَقِيقَتِهِ

وَاسْعَ بِجُهْدِكَ فِي تَحْصِيلِ رَغْبَتِهِ   وَقَدِّمِ الْجِدَّ وَانْهَضْ عِنْدَ خِدْمَتِهِ

عَسَاهُ يَرْضَى وَحَاذِرْ أَنْ تَكُنْ ضَجِرَا

وَرَاعِهِ فِي حُضُورٍ ثُمَّ غَيْبَتِهِ   وَإِنْ دَعَاكَ اسْتَجِبْ فَوْرًا لِدَعْوَتِهِ

وَسُرَّهُ بِالَّذِي يُبْدِي لِفَرْحَتِهِ   فَفِي رِضَاهُ رِضَى الْمَوْلَى وَطَاعَتِهِ

يَرْضَى عَلَيْكَ فَكُنْ مِنْ تَرْكِهَا حَذِرَا

اصْحَبْ رِجَالًا لَهُمْ ذَوْقٌ مُنَافَسَةٌ   أَرْوَاحُهُمْ بِرِيَاضِ الْأُنْسِ آنِسَةٌ

لَكِنْ أَيْنَ هُمُ وَالنَّفْسُ حَابِسَةٌ   وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ

وَحَالُ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى

بَعُدْتُ عَنْهُمْ فَوَاشَوْقِي لِحَضْرَتِهِمْ   وَلَثْمُ كَفِّهِمْ سَمْعِي لِقَوْلَتِهِمْ

يا إخوتي يا أخلاّ في محبتهم   متى أراهم وأنى لي برؤيتهم

أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

قلبي يريد اشتياقا أن يلائمهم   وما هي الذنب عنهم أن أكالمهم

جعلتهم في فؤادي كي أنادمهم   من لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم

على موارد لم ءألف بها كدرا

كواكب كلهم فالحق نورهم   وبالمعارف والأسرار عطرهم

قد أصلحوا سرهم فيه وجهرتهم   أحبهم وأداريهم وأوثرهم

مهجتي وخصوصا منهم نفرا

رهبان ليل ءولى الكل قد أنسوا   وللمدامة في حان الشهود جسوا

يا بئس من عنهم في الناس قد خنسوا   قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا

يبقى المكان على آثارهم عطرا

عن بابهم لا تكن في العمر منصرفا   واستنشق النشر من روضاتهم شغفا

أجلة يا لهم من سادة حنفا   يهدي التصوف من أخلاقهم طرفا

حسن التألف منهم راقني نظرا

يهتز قلبي غراما ما ذكرتهمو   والدمع يهمي ولو نوما رأيتهم

وإن نأيت لعمري ما سلوتهم   هم أهل ودي وأحبابي الذين هم

ممن يجر ثياب العز مفتخرا

بذكرهم كل صب مذنف ولعا   لعزهم كل ذي عز لقد خضعا

بذلت روحي لهم أيضا حجابي معا   لا زال شملي بهم في الله مجتمعا

وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

أقْرُبْ بِهِمْ نَحْوَ مَنْ لِلّهِ ذَاكَ دَنَا ... سِرُّ الْحُضَّارِ مَن قَدْ جَا بِكُلِّ هَنَا

واشْرَحْ بِهِ الصَّدْرَ وَانْشُدْ هَا بِمَا عَلِمْنَا ... ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ نَذَرَا

(٦٦)

(وقال رضى الله عنه)

مَا بَيْنَ ذَيَّالِكَ الْأَوَى وَالْمُنْحَنَى ... ظَبْيٌ كَحِيلٌ فَاسْتَرَقَّ جَمِيعِي

فَهَوَاهُ كَالْمَاءِ الْمُذِيبِ لَدَى الظَّمَا ... أَوْ كَالطَّعَامِ الْحَالِ حَالَةَ جُوعِي

سَلَبَ الْكَرَى مِنْ أَعْيُنِي وَأَذَابَنِي ... شَغَفِي بِهِ فَخَشِيتُ مِن تَضْيِيعِي

لَمَّا رَأَى الْعُذَّالُ حَالِي فِيهِ قَدْ ... أَبْدَوا لِعَذْلِي كَيْ يَكُونَ رُجُوعِي

فَوَحَقِّهِ أُذْنِي لَقَدْ صُمَّتْ فَلَمْ ... تَسْمَعْ لِوَصْمَتِهِمْ وَلَا تَشْنِيعِ

مَا دُمْتُ لَسْتُ أُبَالِي فِي أَهْوَائِهِ ... مَا بَيْنَ جَمْعِ عَوَاذِلٍ وَجُمُوعِ

(٦)

(وقال رضى الله عنه)

اصْبِرْ لِكُلِّ بَلِيَّةٍ ضُرِّيَّةٍ ... جَاءَتْكَ مِن رَبِّ الْعِبَادِ لِحِكْمَةِ

لَا تَشْهَدَنَّ مَجِيئَهَا مِنْ غَيْرِهِ ... فَتَكُونَ ذَا شِرْكٍ قَلِيلِ هِدَايَةِ

إِنَّ السِّوَى كُلًّا مَظَاهِرُهُ الَّتِي ... مِنْهَا فَأَحْكَامُ الْإِلَهِ تَبَدَّتِ

مَن كَانَ يَشْهَدُ إِنَّمَا يَأْتِيهِ مِن ... خَيْرٍ وَشَرٍّ فِى ضُحًى وَعَشِيَّةِ

مِن غَيْرِهِ عِنْدَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُ ... مَحْجُوبُ قَلْبٍ عَنْ شُهُودِ الْحَضْرَةِ

وَهُوَ الْبَهِيمِيُّ الَّذِى لَمْ يَدْرِ مَا ... تَنْمُو بِهِ أَحْوَالُهُ فِى الشِّدَّةِ

لَا تَحْتَجِبْ عِنْدَ الْبَلَا بِمَظَاهِرٍ   مِثْلِ السَّرَابِ لَدَى أُهَيْلِ بَصِيرَةِ

جُعِلَتْ لِأَقْوَامٍ حِجَـــابًا مَانِعًا   عَنْ شُرْبِ كَاسَاتِ الطِّلَا النُّورِيَّةِ

لَا حَوْلَ مَعَ لَا قُوَّةَ اقْرَأْ كَيْ تَرَى   نَفْيَ الشَّرِيكَ وَضُوحَهُ كَغَزَالَةِ

مَا شَاءَ أَجْـــرَاهُ الْقَدِيرُ فَإِنَّهُ   يَجْرِي كَمِثْلِ لُحَيْظَةٍ أَوْ لَمْحَةِ

فِيمَنْ يَشَـــاءُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَوْ سَمَا   قَدْرًا بِهَدْيٍ أَوْ بِشُؤْمِ ضَلَالَةِ

كَمِثَالِ نُمْرُودٍ وَفِرْعَوْنَ الَّذِي   أَضْـــحَى بِعَصْرِهِ مُؤْمِيًا لِرُبُوبَةِ

لَا تَعْجَبَنْ مِنْ جُنْدِ شَخْصٍ فِي الْوَرَى   أَوْ مَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ قَارِيَةِ

انْظُرْ بِقَلْبِكَ عَنْ قَرِيبٍ قَدْ تَرَى   تَنْفِيذَ حُكْمِ اللهِ فِيهِ بِسُرْعَةِ

وَتُزَلْزِلُ الْأَقْدَامَ مِنْهُ وَتَنْمَحِي   آثَارُهُ بِمَـــذَلَّةٍ أَوْ قَتْلَةِ

فَإِذَا عَلِمْتَ لِذَا فَلَا تَشْهَدْ سِوَى   مَوْلَاكَ عِنْدَ بَلِيَّةٍ أَوْ كُرْبَةِ

وَاصْبِرْ لَدَى كُلِّ الْبَلَاءِ مُلَاحِظًا   أَحْكَامَهُ لِتَنَالَ أَشْرَفَ رُتْبَةِ

بِالصَّبْرِ قَدْ نَالَ الرِّجَالُ مَرَاتِبًا   أَعْلَى مَكَانًا مِنْ ذِرَاعِ نَثْرَةِ

بِالصَّبْرِ قَدْ وَصَلَ الرِّجَالُ لِرَبِّهِمْ   وَلَهُ رَأَوْا بِبَصِيرَةٍ قُدْسِـــيَّةِ

بِالصَّبْرِ قَدْ جُعِلَ الرِّجَالُ أَئِمَّةً   يَهْدُونَ بِالْأَمْرِ الْإِلٰهِيِّ الْمُثْبَتِ

بِالصَّبْرِ قَدْ سَهُلَ الطَّرِيقُ لِسَالِكِيـــهِ مِنَ الْمُرِيدِينَ الْكِرَامِ أَحِبَّتِي

بِالصَّبْرِ قَدْ رَقَتِ الْقُلُوبُ إِلَى الْعُلَى   وَرَعَتْ ثِمَارَ الْحَضْرَةِ الْغَيْبِيَّةِ

بِالصَّبْرِ قَدْ نُصِرَ الصَّبُورُ عَلَى الَّذِي   قَدْ أَمَّهُ بِعَـــدَاوَةٍ نَفْسِيَّةِ

بِالصَّبْرِ قَدْ كَشَفَ الْإِلٰهُ كُرُوبَ مَنْ   يُعْزَى لَهُ فِي سَائِرِ الْأَرْضِيَّةِ

فَالْزَمْهُ فِي كُلِّ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ   مِفْتَاحُ كُلِّ غَرِيبَـــةٍ وَعَجِيبَةِ

مَا اخْتَارَ رَبِّى فِى الْعِبَادِ سِوَى امْرِىءٍ　　مَحْرُوقِ بَيْنَهُمُ بِنَارِ بَلِيَّةِ
انظُرْ إِلَى مَاجَاءَ فِى الْقُرْآنِ مِنْ　　قَصَصِ النَّبِيِّينَ الْأَكَابِرِ سَادَتِى
وَكَذَاكَ مَاقَدْ جَاءَ مِن عُلَمَائِنَا　　فِى صَحْبِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَسِيلَتِى
وَكَذَاكَ آلِهِ مَن لَهُمْ خَضَعَ الْحِجَا　　فِى مَغْرِبٍ فِى مَشْرِقٍ بِمَحَبَّةِ
وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ أُولِى النُّهَى　　وَالْعَارِفِينَ بِمُنْزَلٍ وَبِسُنَّةِ
كَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرِهِمْ وَكَذَاكَ مَنْ　　فِى عَصْرِهِ مِنْ سَادَةٍ وَأَئِمَّةِ
وَأَبِى حَنِيفَةَ مَالِكٍ بَلْ أَحْمَدٍ　　وَالشَّافِعِىِّ وَلَيْثِهِمْ ذِى الْفُتُوَّةِ
وَسَرِيِّهِمْ وَجُنَيْدِهِمْ مَعْرُوفِهِمْ　　شِبْلِيِّهِمْ حَلَّاجِهِمْ ذِى الْغَيْبَةِ
جَيْلِيِّهِمْ بَدَوِيِّهِمْ وَابْنِ الرِّفَا　　عِى دَسُوقِيِّهِمْ وَمَلِيجِهِمْ ذِى الْهِمَّةِ
وَشُعَيْبِهِمْ مُرْسِيِّهِمْ يَاقُوتِهِمْ　　وَالشَّاذِلِىِّ إِمَامِ أَهْلِ الرِّفْعَةِ
وَأَبِى يَزِيدِهِمْ كَذَا ذِى نُونِهِمْ　　سَحْنُونِهِمْ مَن كَانَ رَبَّ إِشَارَةِ
وَكَذَاكَ مُحْيِى الدِّينِ يَالَهُ مِن فَتًى　　وَالتِّلِمْسَانِى وَصَاحِبِ التَّائِيَّةِ
وَالْجَعْبَرِى إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ الْفَارِضِ الْـ　　ـمُتَوَلِّعِ الْأَوَّاهِ حَالِى الْحَالَةِ
غَزَّالِهِمْ مَن كَانَ بِالْإِحْيَاءِ قَدْ　　أَحْيَا قُلُوبَ الْأَصْفِيَاءِ كَدِيمَةِ
وَكَذَالِكَ الشَّعْرَانِى بَلْ وَمُحَمَّدِ الْـ　　بَكْرِىُّ قُطْبِ السَّادَةِ الْبَكْرِيَّةِ
وَخَوَاصِّهِمْ مَتْبُولِهِمْ جَاكِيرِهِمْ　　وَالْجَاكِ ذَاكَ حُسَيْنِهِمْ ذِى النُّصْرَةِ
عَبْدِ الْغَنِىِّ وَمُصْطَفَى الْبَكْرِىِّ شَيْـ　　ـخِ طَرِيقَتِنَا ذِى الْهِمَّةِ الْقُرَشِيَّةِ
وَكَذَا الْإِمَامِ الْأَوْحَدِ السَّمَانِ مَن　　قَدْ كَانَ بَدْرًا ظَاهِرًا فِى طَيْبَةِ
وَالطَّيِّبِ الْقُطْبِ الشَّهِيرِ كَذَالِكَ الْـ　　ـحَدَّادِ وَالتِّجَانِى كَنْزِ حَقِيقَتِى

وَكذالكَ ابنِ ادريسَ فردِ زمانِهِ   وَالميرغنى عثمانِهِمْ ذِى اللَّحظَةِ

إدريسِهِمْ وَكذاكَ نجلِ حسونِهِمْ   يعقوبِهِمْ وَهيبِهِمْ ذِى السَّكرَةِ

وَسِوَاهُمْ مِن سَيِّدٍ من كاملٍ   مِن عالمٍ حقًّا بِعِلمِ شريعَةِ

مِنْ زاهدٍ مِن عابدٍ متهجِّدٍ   جَوْفَ الظَّلامِ بخشيَةٍ وبدمعَةِ

فالكلُّ منهُمْ نالَ مِن نوعِ البلاَ   ما لَوْ عَلَى هذِى الجبالِ لَدُكَّتِ

مَا بينَ مقتولٍ كذَا ومعذَّبٍ   فى سِجنِ جبَّارٍ قليلِ مرُوءةِ

وَمُكَفَّرٍ بنصُوصِ مَنْ نسبُوا إلَى   عِلمِ الشَّريعَةِ فِى البلادِ وَبلدتِى

والبعضُ يُشتَمُ فى المجالسِ جهرَةً   مِن بينِ فسَّاقٍ وَأهلِ غوايَة

وَالبعضُ يضحكُ عند ذِكراهُ الذِى   فيهِ رأى نقصًا نقيضَ الصحَّةِ

وَالبعضُ قدْ ضُرِبُوا بِأسوَاطِ لهَا   حَرٌّ فيُضعِفُ لِلنُّهَى والفطنَةِ

مَعْ مَا لهمْ مِن كاملِ العِرفانِ والتَّقييدِ بالقرآنِ ثُمَّ بِسُنَّةِ

وكذاكَ حُسنِ خلايقٍ وزهادَةٍ   وَتبتُّلٍ مَعْ خيرِ وَرَعٍ عِفَّةِ

وَكذاكَ نفعِ للخلايقِ بالهُدَى   وَتهذُّبٍ للروحِ والجسميَّةِ

وكرامةٍ كالشمسِ هاذِى قيَّدتهَا الأتقيَا فى كُتبِهِمْ بِدِرَايَةِ

مَعْ ذا فهُمْ صَبَرُوا لأمرِ اللهِ فِى   أوقاتِهِمْ بخلايقٍ وسَنِيَّةِ

وَبِصبرِهِمْ صارُوا أئمَّةَ عصرِهِمْ   مَعْ رفعَةٍ وَمهابَةٍ وجلالَةِ

وَعقيدَةٍ فى الأرضِ طرًا إنَّهَا   أحلَى مَذَاقًا مِن ارىِّ النَّحلَةِ

وَعِدَاهُمُو صَارُوا كأنَّهُمُو هبَا   أوْ لَمْ يكونُوا فوقَ ظهرِ بسيطَةِ

لِمُرِيدِهِمْ بَيْنَ البريَّةِ إسوَةٌ   بِهِمْ بِمَا قدْ نالَهُ مِن أزمَةِ

مع تركه لأولى الدنا دنياهمو   مع ضعفه مع بعده عن خلطة

لهلاكه اختال الأعادي من الورى   يا ويلهم يوم القضا من حيلة

فرشوا القضاة كأزرق وصحابه   ليعجلوا بالحكم فيه بقتلة

فسجنت ثم ضربت ألفين بلا   مين بأنواط بحضرة أمة

والمسلمون جميعهم لما رأوا   هذا بكوا بالأذين الرأسية

وتعجبوا من ذلك الفعل الذي   عنه تبرأ شرع أحمد ذخرى

مع ذا فهم قد خربوا لبيوتنا   ظنا بأني آخذ لغنيمة

وسوى الغنيمة نحو إنكار لقد   نسبوه لي في سرهم مع جهرة

وخليفة الأهوا يحرضهم على   ضربي كأنه تابع لشريعة

عقالة غضبية جهلية   يا ويله منها غدا في الآخرة

فصبرت للحكم الإلهي فلم يؤثر ضربهم فنجوت منه بنيتي

لكن أهل الله قد حضروا   فيالله درهمو أهيل الهمة

من بعد ذلك فعليهم قد مزق الله الجميع ومن أهان بكلمة

انظر ديارهمو ترى عجبا بها   مع ما حوت من جنة مردية

والضاربين لنا كذا حكامهم   وقضاتهم قد دمروا عدلة

من غير تلك فكم وقايع قد بدت   من تلك أعدائي لقصد الأذية

كمثال قولهم لذاك خليفة الأ   هوا بأن قد برزت لبيعة

فتضمنت تلك الوقايع شدة   فتكاد تذهل ذا ذكا وشجاعة

من بعدها قد سلط الله على كذاك أهل قرابتي ومحبتي

من كنت أهواهم وأقصدهم بنيـــل كامل في كل وقت زيارة

مع حسن إكرامي لهم وتأدبي   وكذاك إنقاذي لهم من شدة

مع بعد أرضي عنهم وإقامتي   مع صمتنا عن ذمهم بمقالة

فوشوا إلى حكامهم بوشاية   قصدوا بها حتى كذلك عترتي

نصبوا فخاخا لا أطيق لذكرها   حيلا فلا تحكى لغير الجنة

وكذاك قد كتبوا لأقوال لها   نتن ففاحت ريحها في البلدة

في حقنا لهلاكنا ودمارنا   وشتاتنا وخراب هاذي محلتي

مضمون قولهم بأني قد عصيت الحاكمين وعظموا للفتنــة

ولنا دعت حكامهم بعقالهم   بعســاكر وبنادق نارية

فرجعت منهم سالما ومؤيدا   من بعد ما فهموا براءة حالتي

بي فاقتدي في الصبر إن رمت العلى   دنيا وفي الأخرى عظيم النصرة

واقرأ لقول الله في تنزيله   هذا وبشر كي تفوز بفرحة

فيه دواء مذهب داء الأذى   لجميع من لسعته حية إذية

(٩٥)

(وقال رضى الله عنه)

دع المنكرين القاصدين لردنا   بأقوالهم عن حضرة الشرب والكاس

ستاير لم تحجب من الناس غير ذي   غواية نفس أو خواطر وسواس

فمن يحتجب بالكون عن ربه فلم   يذق قلبه هذا حقائق إيناس

فمزق حجاب الكون إن كنت صادقا   عسى أن تشم المسك في فحو أنفاسي

وتمتر بعد النعم هـــذا تفضلا   بكنز توارى في حجاب عن الناس

تيقظ ودع نسيان نفسك ذاهبا ... إلى الله هــذا تاركا سائر الناس
ولا تحجبن عنه فؤادك طرفة ... بقول امرئ خال عن الشرب في الطاس
تشــبه بالقوم الذين بقولهم ... لقد طهروا قوماً على خلف أجناس
وكل الذى بين الأنام أحبهم ... إليه سمى الإسعاد فخراً على الرأس
فحسادنا والمنكرون لحالنا ... بأوهامهم جهلاً بنور الحجا أكاسى
فضــلوا عن الحق المبين ومالهم
سوى النبذ خلف الظهر من بين جلاسى
ولو أنهم ذاقوا مدامتنا لما ... رضوا باعتراض وهو يفضى لإفلاس
أم يعلمون الغيب أو حالنا التى ... لقد عجزت عنها كياسة أكياس
مواهب ربى ليس عنهما امرؤ ... تلوث منه القلب هذا بأدناس
ولا بإشاعات بذم خــلايق ... ولا بمعان قد عزوها لقرطاس
فمن كان فى شرع النبى محمد ... على حالة فى العلم كالجبل الراسى
فإنكار تلك المنكرين عليه من ... جهالتهم بالحق مع سوء إبلاس
وحساد هذا الوقت كل فتابعوا ... لإبليس فينا بالفؤاد الردى القاسى
وفينا لقد قالوا أقاويل جمة ... لمحو طريق الحق أو هدم أساسى
وما قدروا والريح ليس هبوبها ... يهد الجبال الراسيات لدى الناس
فيا ليتهم أموا لســاحتنا على
غرام لنيل الشرب فى الكوب والكاس
وفى ليلهم هذا نهارهم بدا ... لأحشائهم نور يلوح كنبراس

(وقال رضى الله عنه)

فوقتموا يا حسدى جهلا سهام ملامكم لم تظفروا أبدا سوى بشتاتكم وهلاككم
أو ليس منكم عاقل يشفى لداء سقامكم أو بالدليل يردكم عنا لأجل سلامكم
إن تبتمو تنجـــوا وإلا فابشروا بدماركم

(٦)

(وقال رضى الله عنه)

احْذَرْ سُلُوكًا فى الطَّرِيقِ الصُّوفِ مِنْ غَيْرِ شَيْخٍ بِالصَّفَا مَوْصُوفِ
فَرَضَ الأَكَابِرُ كُلُّهُمْ مِنْ عَارِفٍ مِنْ واصِلٍ مِنْ عَابِدٍ وَعَزِيفِ
أَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَى فَتًى مُتَبَحِّرٍ مُتَنَـــوِّرٍ مُتَوَاضِعٍ وَعَفِيفِ
مُتَجَانِبِ الْمَنْهِيِّ فِي أَحْيَانِهِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِي السَّرِيرَةِ عُوفِي
بِمُكَوِّنِ الأَكْوَانِ هَذَا قَدْ فَنِي وَبَقِي بِهِ مَعْ كَامِلِ التَّوْصِيفِ
سِتْرٍ تَجَاوَزَ كُلَّ سِتْرٍ حَاجِبٍ ظَرْفٌ وَلَـكِنْ طَابَ بِالْمَظْرُوفِ
الْـكُلُّ قَدْ شَرَطُوا عَلَى هذَا الْمُرِ يدِ الطَّالِبِ الْمُتَوَلِّعِ الْمَلْهُوفِ
أَلْقِ الْقِيَادَ إِلَيْهِ سِرًّا جَهْرَةً مُتَبَادِرًا مِنْ غَيْرِ مَا تَوْقِيفِ
مَعْ حُسْنِ آدَابٍ وَحُسْنِ خَلَائِقٍ وَزَهَادَةٍ فى تَالِدٍ وَطَرِيفِ
وكَذَا اتِّصَافِهِ دَائِمًا بِصِفَاتِهِ عِنْدَ الْقُعُودِ كَذَاكَ عِنْدَ وُقُوفِ
مَعْ صِدْقِهِ مَعْ حُبِّهِ وَسَخَايِهِ مَعْ بَذْلِهِ لِلرُّوحِ دُونَ وُقُوفِ
وَالتَّرْكِ لِلأَهْوَا الَّتِي حَجَبَتْ عَنْ أَـــمْوَلَى لِـكُلِّ مُحَجَّبٍ مَـكْفُوفِ
مَنْ لَمْ يَـكُنْ خَلْفَ الدَّلِيلِ مَسِيرُهُ كَثُرَتْ عَلَيْهِ طَوَارِقُ التَّخْوِيفِ
وَالنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ قَدْ لَعِبَا بِهِ وَلَهُ أَضَلَّا عَنْ هُدَى التَّشْرِيفِ

خَلِّ الهوى والسالكين طريقه ... من جاهل من معجب بحروف

من منكر بحجاب غفلة قلبه ... من مترف بهوى الحجا محفوف

واسلك سبيل الصالحين فإنهم ... أهل الطلا المستعذب المألوف

وهم الحصون وهم مصابيح الدجا ... فالفرد منهم راجح بألوف

عمهمو واتبع مرادهمو تكن ... ناجٍ وترقى رتبة التعريف

اصبر على آدابهم ما دمت في ... حال السلوك وللرضى مستوفي

وكذا على سير الطريق وصعبه ... مترددا بين الرجا والخوف

واقطع علائقك التي قطعتك عن ... رتب العلى فورا بحد سيوف

لا تسكرن بهواك إن رمت الهوى ... وشرابه هـــذا وكل منيف

واحذر عسى وكذاك عل وربما ... مع سوف وهي إشارة التسويف

من قبل موتك إن ترد تحيا بربـــك ذي الجلال الظاهر المعروف

فافرغ نهارك ثم ليلك بابه ... بالصدق والسهر الطويل الموفي

واخضع لعز جلاله متولما ... مع كل صب والـه مخطوف

واجر المدامع خاشما متذللا ... ولدى الدياجر رافعا لكفوف

وعليك تقوى الله مع حسن التفا ... تك في الزمان لمن أتى كضيوف

كلف لنفسك في الزمان وليله ... في السير هذا غاية التكليف

لا تشتكي ألما ولا جوعا ولا ... ظما ولا ما فات من تعريف

والهج بذكر الله مع إكثيره ... تبقى فريدا كامل التصريف

وأهما التلاوة مع مراقبة بها ، ... تجني ثمار معارف وقطوف

واطْلُبْ بِرَبِّكَ كُلَّ شَيْءٍ رُمْتَهُ … فِي الْعُمْرِ لاَ بِالنَّفْسِ خُذْ تَعْرِيفِي

فَإِذَا طَلَبْتَ بِهِ تَنَلْ مَا رُمْتَهُ … عَجِلاً كَلَمْعِ الْبَارِقِ الْمَعْرُوفِ

أَسْكِنْ بِحُسْنِ تَعَلُّقٍ وَتَذَلُّلٍ … وَخُشُوعِ قَلْبٍ مُخْلِصٍ وَنَظِيفِ

وَانْظُرْ لآلاَءِ الإِلَهِ مُشَاهِدًا … واعْكُفْ بِمِحْرَابِ الرِّضَى كَمُكُوفِ

أَهْلُ الْغَرَامِ وَمَنْ هُمُو مَعْ رَبِّهِمْ … فِي الْحَرِّ فِي أَزْمَانِهِمْ وَشَفِيفِ

إِنْ لَمْ تَجِدْ بَلَدًا بِهَا تَجِدِ الرِّضَى … مِنْهَا ارْتَحِلْ مُسْتَوْطِنًا لِكُهُوفِ

وَاحْفَظْ طَرِيقَ الْعَارِفِينَ وَوِرْدَهُمْ … مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ وَلاَ تَحْرِيفِ ،

لاَ تَكْتَفِي فِيهِ بِمَا يَبْدُو لِقَلْبِـــكَ مِنْ خَوَارِقِ شِمْتَهَا وَكُشُوفِ

وَكَذَاكَ مَيْلَ الْعَالَمِينَ إِلَيْكَ مَعْ … تَعْظِيمِهِمْ فِي ظَاهِرٍ وَالْجُوفِ

هَذَا سِوَى الْقَصْدِ الَّذِي يَعْلُو بِهِ … مَنْ فِي الْوَرَى يَدْعُونَهُ بِالصُّوفِي

اخْرُجْ عَنِ الْكَوْنَيْنِ بِاللهِ الَّذِي … قَدْ جَلَّ عَنْ مِثْلٍ وَعَنْ تَكْيِيفِ

وَمَتَى خَرَجْتَ فَأَنْتَ عَبْدٌ صَادِقٌ … بَيْنَ الأَكَابِرِ كَامِلٌ وَحَنِيفِي

لاَ تَخْشَ مِنْ لَوْمِ امْرِىءٍ مِنْ بَعْدِ ذَا … عِنْدَ اسْتِمَاعِ مَعَازِفٍ وَدُفُوفِ

وَكَذَلِكَ الطُّنْبُورِ وَالْجَنْكِ الَّذِي … يُبْدِي لِمَعْنًى فِي الضَّمِيرِ لَطِيفِ

قَدْ طَابَ عَيْشُكَ وَارْتَقَى مِنْكَ الْحِجَا … بِشُهُودِ رَبٍّ قَادِرٍ وَلَطِيفِ

وَلَكَ الزَّمَانُ يَطِيبُ كَالْقَوْمِ الأُلَى … نَحْوَ الْجُنَيْدِ سَرِيِّهِمْ وَالْكُوفِي

وَمُحَمَّدِ السَّمَّانِ شَيْخِ طَرِيقِنَا … وَالطَّيِّبِ الْمَشْهُورِ بِالتَّصْرِيفِ

فَهُمُ السَّلاَطِينُ الَّذِينَ بِشُرْبِهِمْ … أَحْيُوا الزَّمَانَ كَمِثْلِ وَبْلِ خَرِيفِ

وَهُمُ الَّذِي هَامَ الْوُجُودُ بِذِكْرِهِمْ … فِي قَرْيَةٍ فِي سَبْسَبٍ فِي رِيفِ

وبِهِمْ لَقَدْ سَحَقَ المُرِيدُ لِفِعْلِهِ ... مَعْ طَمْسِهِ لِلْوَصْفِ بِالمَوْصُوفِ

مَعْ مَحْقِهِ أَيْضاً كَذَاكَ لِذَاتِهِ ... مِنْ بَيْنِ أَحْبَابٍ لَدَيْهِ صُنُوفِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بَازِلٌ كُنْ دَاعِياً ... فِي حَالِ سَيْرِكَ فِي الطَّرِيقِ رَدِيفِي

مَنْ لَمْ يَذُقْ كَاسَ المُدَامَةِ وَمَحَهُ ... بِقُعُودِهِ عَنْ فِتْيَةِ التَّشْرِيفِ

أَهْلاً بِكَأْسِ طَرِيقِنَا أَهْلاً بِهَا ... فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمِ وُقُوفِ

أَهْلاً بِكَاسِ الحَانِ كَمْ لَعِبَتْ بِقَلْبِ ... بِ مُسَوَّدٍ وَمُهَذَّبٍ غِطْرِيفِ

لا زَالَ سُكَّانُ السَّمَا يَهْوُونَهَا ... والأَرْضِ مِنْ مَشْرُوفِهِمْ وَشَرِيفِ

لَوْ شَامَهَا يَوْماً مُعَنِّفُ أَهْلِهَا ... أَضْحَى عَلَى نَدَمٍ مِنَ التَّعْنِيفِ

(١٢)

(وقال رضى الله عنه)

لاَ تَمْنَعَنْ عَنْ شُرْبِ كَأْسِ رَحِيقِ ... بِالعَذْلِ أَهْلَ مَحَبَّتِي وَطَرِيقِي

عَارٌ عَلَيْكَ مَدَى حَيَاتِكَ عَذْلَ مَنْ ... قَدْ قُلِّدُوا بِقَلاَئِدِ التَّحْقِيقِ

قَوْمٌ لَقَدْ شَغَلُوا القُلُوبَ بِرَبِّهَا ... حتى فَنَوْا عَنْ سَائِرِ المَخْلُوقِ

أَضْحَوا سَكَارَى بَلْ حَيَارَى فيه فى ... أَوْقَاتِهِمْ جَمْعاً بِلاَ تَفْرِيقِ

لاَ يَعْرِفُونَ سِوَاهُ فى وُسْعٍ وَلاَ ... فى قَبْضِهِمْ أَوْ بَسْطِهِمْ أَوْ ضِيقِ

مَا هَامَ قَلْبُهُمْ بِرَامَةَ بَلْ وَلاَ ... وَادِي النَّقَا وَمُحَصَّبٍ وَعَقِيقِ

كَلاَّ وَلاَ لَيْلَى وَلاَ لُبْنَا وَلاَ ... سَلْمَى وَعُلْوَى لاَ حِمَى وَفَرِيقِ

بَلْ بِالجَمَالِ الصِّرْفِ مَنْ تَمْحَى بِهِ ... عِنْدَ الظُّهُورِ الشَّمْسُ عِنْدَ شُرُوقِ

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ حَالَهُمْ لَعَذَرْتَهُمْ ... وَغَدَوْتَ خَيْرَ مُصَدِّقٍ وَرَفِيقِ

لا يَرْتَضِي عَذْلَ الأَحِبَّةِ عَاقِلٌ ... لاَحَتْ عليه دلايل التوفيق

هَلْ لاَ عَلِمْتَ بِأَنَّ عَاذِلَهُمْ لَهُ … عَزْلٌ سَرِيعٌ مِثْلَ لَمْحِ بُرُوقِ

اخْشَاهُمْ وَلِحُبِّهِمْ بَادِرْ عَسَى … تَنْجُو بِذَا مِنْ سَطْوَةٍ وَحَرِيقِ

مَعْ حُسْنِ تَسْلِيمٍ لَهُمْ فِي كُلِّ مَا … أَمُّوهُ مِنْ مَفْهُومٍ أَوْ مَنْطُوقِ

وَإِذَا لَهُمْ قَيَّدْتَ بِالْفَهْمِ الَّذِي … فِي النَّفْسِ مِنْكَ سَعَيْتَ فِي التَّمْزِيقِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاقَ الْكِيَاسَ وَشُرْبَهَا … وَعَلاَ بِحُبِّهِمْ ذُرَا التَّصْدِيقِ

فَكَلاَمُهُ فِي قَوْلِهِمْ فِي فِعْلِهِمْ … فِي حَالِهِمْ نَاءٍ عَنِ التَّحْقِيقِ

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى مَالَهُمْ مِنْ لَحْظَةٍ … تَنْجُو بِهَا مَا عِشْتَ مِنْ تَزْوِيقِ

اصْحَبْهُمُو مُسْتَغْرِقًا فِي حُبِّهِمْ … مُتَنَازِلاً كَتَنَازُلِ الْمَسْبُوقِ

مُتَأَدِّبًا مُتَخَضِّعًا مُتَخَشِّعًا … بَاكٍ عَلَى ذَنْبٍ رِذْلٍ فُسُوقِ

مَعْ نِيَّةٍ صُوفِيَّةٍ تَصْفُو بِهَا … مِنْكَ الْحَشَا دَوْمًا بِصَفْوِ طَرِيقِ

وَإِذَا لَهُمْ حَقًّا صَحِبْتَ عَلَى الَّذِي … قَدْ قُلْتُهُ تَنْجُو مِنَ التَّعْوِيقِ

وَتَكُونُ فِي الدُّنْيَا إِمَامًا سَيِّدًا … رَاقٍ مَرَاقِي الْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ

وَتُدِيرُ لِلأَصْحَابِ كَأْسَ سُلاَفَةٍ … قَدْ عُتِّقَتْ فِي دِنِّهَا الْمَشْوُوقِ

آهٍ عَلَى تِلْكَ السُّلاَفَةِ يَا لَهَا … مِنْ خَمْرَةٍ أَرْيَاحُهَا كَخَلُوقِ

إِخْوَانَ لَيْلَى لاَ يَكُنْ لَكُمْ سِوَى … ذِكْرٍ يَعُمُّ لِمَفْصَلٍ وَعُرُوقِ

وَوِفَاقِ أَهْلِ اللهِ مَعَ حُسْنِ الْوَفَا … مَعْ مَدْمَعٍ جَوْفَ الدَّيَاجِي دَفِيقِ

من كان منكم سامعا لمقالتي … ومقبــــلا بفؤاده تندبق

لاَ رَيْبَ يَرْقَى فِي الطَّرِيقِ مَرَاتِبًا … وَمَعَارِفًا مِنْ أَعْذَبِ التَّذْقِيقِ

وَكَذَاكَ يُمْسِي ثُمَّ يُصْبِحُ رَافِلاً … كَذَوِي الْوَلاَ مِنْ مُغْرِقٍ وَغَرِيقِ

(وقال رضي الله عنه)

تجرد عن الأوهام في حالة السير ولا تلتفت يوما بقلبك للغير

وجاهد بشرط الصدق نفسك واعتمد
على الله في أحوال سرك والجهر

فمن يعتمد سرا على عمل به يؤمل سرا آب بالرد والحجر

ومن حيث أنت العبد فالزم لوصفك ا
لجلي كمثل الضعف والذل والفقر

وإن ملت للأغيار تهت عن الذي دعاك إلى التوحيد في عالم الأمر

فطهر من الإشراك قلبك ناظرا إليه بعين الروح في سرك الطهري

ولا تك ذا ميل لإظهار آية تشاع بها بين البرية بالفخر

فتطرد بعد القرب عن حضرة الرضا وعن فتية الحانات والكأس والدور

وتب من جميع الميل للغير مخلصا لتخلص مما كنت فيه من الأسر

وعمر بتقوى الله قلبك مكتفي بلذتها عن لذة الجاه والوفر

وأغلق لغفلات الفؤاد بيقظة بها بعد ما الإشفاع تكرم بالوتر

وعنك اخلع النعلين خلعا محققا لتشهد معنى قد تناءى عن الفكر

وإياك إياك الركون إلى الهوى وترك الهوى الداعي إلى كامل البر

وفوض أمور الخلق منك لخالق عليم بما أجرى عليك وما يجري

توكل عليه فالتوكل جنة من الضر في الدنيا وأمن من الذعر

ورتل كلام الله في الليل باكيا بقلب شجي فاضح العين بالقطر

وواظب لمغناطيس ذكرك دائما ... عساه كلمح يجذب القلب للبر
ولا تنطوى عنك الفيافى بسرعة ... سوى باجتهاد فى الأصائل والبكر
ووافق مدى الساعات حبا ورغبة ... جميع الذى قد جاء فى محكم الذكر
ولا تقف إن السمع والبصر اعتقد ... هما يسألان والفؤاد من الذر
بظنك لا تعمل ولا تقل الذى ... دعاك له تمسى وتصبح فى هجر
ولا تك للأنام ذا سرعة تلج ... بها فى جحيم النار قاصية القعر
ولا تتبع أهواء قوم ضلالهم ... مبين لدى الحذاق أشهر من شهر
وعظم جميع الصالحين فإنهم ... غياث الورى عند الملمات والوعر
ولا تعترضهم فى الأمور لأنهم ... ملوك لهم سر التصاريف فى الأمر
ومن نفسك اخلع كلما كنت لابسا ... من الغى والتمويه والعجب والكبر
ولا حظ لها فى كل حال تؤمه ... عساها بذا تحمى من التيه فى القفر
ولا تنتصر يوما لها عند ضربها ... بسيف جهاد السير أو زعجة الزجر
تأدب بآداب الجلال لكى بها ... تفوز بأسرار الجمال على الفور
تقرب بطاعات القريب لوجهه ... وراقبه فيها عند جهرك والسر
ولا تك عن نفل النهار وليله ... غفولا ولا عن ما أتى فيه من أجر
فمملوة لم تسفر براقع وجهها ... سوى لفريق أوصل السر بالسر
ولا تفتح الأبواب إلا لقارع ... لباب الندا ليلا بحالة مضطر
وإياك إياك الوقوف لنعمة ... تمدت لقلب الصب فى طرق السير
فشاهد جمال الحق فى كل ما ترى ... لتنقل من طور جميل إلى طور

تَخَلَّصْ مِنَ الْوَهْمِ الكِيانِي بِهِمَّةٍ   تَكَادُ مِثَالاً أَن تُؤَثِّرَ فِي الصَّخْرِ

تَفَقَّدْ عُيُوبَ النَّفْسِ فَالعَيْبُ مَانِعٌ   مِنَ الْقَصْدِ وَانْبِذْ مَا تَحْتَهُ وَرَا الظَّهْرِ

وَلاَ تُثْبِتَنْ سِرًّا وَلاَ جَهْرَةً لَهَا ،   مَقَامًا وَلاَ حَالاً وَلَوْ فُقْتَ فِي العَصْرِ

وَلاَ تَغْفُلَنْ عَنْ حَالِهَا وَاحْتِيَالِهَا   وَتَأْوِيلِهَا بِالزُّورِ لِلشَّرِّ بِالْخَيْرِ

وَشَطْحِ هَوًى تُبْدِيهِ جَهْلاً حَمَاقَةً   لِتَصْرِفَ غَيًّا وَجْهَ كُلِّ امْرِئٍ غُمْرِ

وَكَثْرَةُ أَعْمَالِ الفَتَى مَعْ وِفَاقِهِ   لَهَا عِنْدَ مَا تَهْوَاهُ كَالرِّيحِ إِذْ تَسْرِي

وَكُنْ دَافِنًا فِي طِينَةِ الذُّلِّ عِزَّهَا   مُجَانِبَ لِلْمَنْهِيِّ تَابِعَ لِلأَمْرِ

وَقَبْلَ وُصُولِ القَلْبِ لِلّٰهِ لاَ تَكُنْ   عَلَى رُتَبِ القَوْمِ العِظَامِ بِمُسْتَجْرِ

فَمَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ فِيهِ حَقِيقَةً   فَإِنَّ رِيَاحَ الإِفْتِضَاحِ لَهُ تَذْرِي

وَلاَ تَكُ ذَا أَمْنٍ وَلَوْ كُنْتَ كَامِلاً   وَذَا شَرَفٍ عَالٍ وَعِلْمٍ مِنَ الْمَكْرِ

فَلاَ يَأْمَنُ المَكْرَ الإِلٰهِيَّ غَيْرُ مَنْ   شَقَاوَتُهُ أَلْقَتْهُ فِي أَبْلَغِ الْخُسْرِ

وَسِرْ فِي طَرِيقِ العَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ   رِجَالِ الفَنَا فِي اللهِ وَالصَّحْوِ وَالسُّكْرِ

وَلَكِنْ عَلَى شَرْعِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   إِمَامِ الْهُدَى الْمَبْعُوثِ بِالعِزِّ وَالنَّصْرِ

فَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ لِلشَّرِيعَةِ سَيْرُهُ   فَلَمْ يَنْتَفِعْ يَوْمًا بِجُوعٍ وَلاَ سَهْرِ

وَلاَ عُزْلَةٍ كَلاَّ وَلاَ كَرَمٍ وَلاَ   تَقَشُّفٍ أَوْ صَمْتٍ وَلاَ مَدْمَعٍ يَجْرِي

وَإِنْ قَالَ قَوْلاً أَوْ بَدَا غَيْرَ لاَئِقٍ   مِنَ الحَالِ مَا يُفْضِي الجَهُولَ إِلَى الضَّيْرِ

عَلَى النَّاسِ فَرْضًا أَن يَرُدُّوا بِصَارِمِ النُّـ   ـصُوصِ عَلَيْهِ القَوْلَ أَوْ حَالَةَ الفَجْرِ

وَلَوْ ظَهَرَتْ مِنْهُ الخَوَارِقُ جَهْرَةً   وَأَخْبَرَ بِالأَمْرِ الْمُغَيَّبِ فِي الصَّدْرِ

وَطَارَ كَمِثْلِ الطَّيْرِ فِي الجَوِّ أَوْ مَشَى   عَلَى الأَرْضِ طَيًّا أَوْ عَلَى لُجَّةِ البَحْرِ

فإنَّ طريقَ القومِ للوصلِ شرعُهُ ... فمن حادَ عنهُ ضلَّ عن منهجِ الخيرِ
وصارَ أخا الشيطانِ في كلِّ حالِهِ ... يضرُّ الورى من حيثُ يدري ولا يدري
ولولا اتباعُ الشرعِ ما فضلَ امرؤٌ ... وما فاحَ شذوُ الرشدِ في البدوِ والحضرِ
ولا تكُ ممن يدّعي العلمَ تاركاً ... سبيلَ الأُلى في الزهدِ والورعِ والصبرِ
يخالفُ بالأحوالِ للشرعِ ظاهراً ... وبالقالِ يبدي حيلةً حالةَ العذرِ
ويوهمُ أنَّ النصَّ قد جا مؤيِّداً ... لأحوالِهِ أو قالِهِ السيّءِ النكرِ
ولو طلبَ الإفتا على أحدٍ لهُ ... كأحوالِهِ حالٌ لبادرَ بالكفرِ
يوافقُ أبناءَ الدُّنا في هواهمو ... ويثني عليهم بالنظامِ وبالنثرِ
ويحكي بِبَسْطٍ في المجالسِ غِرَّةً ... عمّا ليسَ يجدي في الحياةِ وفي القبرِ
ولم يخشَ هذا من عتيدٍ وزبرِهِ ... لِما منهُ إثمٌ يكونُ ومن وزرِ
ومن كانَ للمنهيِّ عنهمْ شريعةً ... لنيلِ الذي يهوى من الجاهِ والتمرِ
همُ الظالمونَ الجاهلونَ بربِّهمْ ... همُ الغافلونَ الفاسقونَ أولو المكرِ
ويعبسُ وجهاً إن رأى أهلَ دينهِ ... ويظهرُ كبراً يبدلُ الكسرَ بالجبرِ
وإن أبصرَ الأضدادَ يبدي تواضعاً ... إليهمْ وميلاً مفهماً باسمِ الثغرِ
وأيُّ ضلالٍ بعدَ هذا عن الهدى ... وأيُّ فسادٍ في البسيطةِ والفطرِ
ومعْ ذا فيهوى عالماً ومعلِّماً ... وعلّامةً حبراً وناضٍ على خُبرِ
فلو كانَ ذا علمٍ لأرشدَ نفسَهُ ... وعن كلِّ ما يرديهِ بادرَ بالفرِّ
وأعجبُ من هذا إمالةُ قلبِهِ ... إلى الطعنِ في أهلِ الطريقةِ والذكرِ

عموا العلما بالله والحكما الذي رقوا باتباع المصطفى ذروة الفخر

تسادوا على كل الأنام بحالة إلاهية في الأرض عالية النشر

وايس بدار أن طاعتهم له من الله خزي في الحياة وفي الحشر

وايس بدار أن طعنتهم لمن تمدى عليهم بالمثقفة السمر

ومسمومة حقا لدى كل عارف لحومهم فليجتنبها ذو الحجر

وذلك من تأويله لكلامهم بفهم عن المقصود أقصى من النسر

وأحوالهم عند الظهور إلى الهوى كأن له علم الإحاطة بالأمر

وما ذاك إلا من غباوة نفسه ودعواه مع ما فيه من قصر الفكر

وحالة كبر قد تقوت بغفلة مع الحسد المفضي إلى النقص والضير

خس عمو أعني أولئك سادتي رجال التجلي والتخلي عن الغير

رجال يرون الغيب بالعين جهرة كرؤيتنا للشمس والفجر والبدر

يفيدون عن أحوالهم ومقامهم بقول صريح كامل الشرح والفسر

تمسك بهم والسادة العلما الذي على قدم السادات والأربع الغر

فهم مالك والشافعي وأحمد ونعمانهم صدر الصدور التقي ذخري

تفقه على شيخ أمين مؤدب صدوق خشوع فاضل فطن حبر

يفيدك أحوالا تزيدك خشية وأقوال حق فيك أسرارها تسري

لتسلك نهج الهاشمي بحالة وأقواله في حالة العسر واليسر

حنانيك واحذر من مصاحبة الذي مع العلم في حال اكتحاله بالسطر

ومن بعد هذا قد يرى متباعدا عن العمل المشروع في السر والجهر

فأقواله كالشهد عند سماعها ... وأحواله في نفس ذى العقل كالصبر

يؤول معنى النقص في غير نفسه ... وفي غير ما يهوى ولو كان ذا خير

ألم يدر أن القوم كان جميعهم ... على النصح والتأييد للشرع في العمر

ورؤيتهم للنفس بالنقص دائما ... ولو بلغت أعلى المقامات والقدر

تجدهم إذا جن الظلام قلوبهم ... كأن بها حرا من اللهب الجمرى

وما ذاك إلا باتباع أولئك الـ ... أئمة أهل الحق أنجمنا الزهر

فمن لم يكن بين الأنام مقيدا ... بأقوالهم قد ضل عن أحسن الإثر

ألم يعلم الإجماع في الدين حجة ... لدى أهل علم الشرع في البر والبحر

وأما أولو الفتح الكبير فأمرهم ... غريب عجيب لا يقيد بالحصر

فهم أبحر بين الأنام زواخر ... يفيضون بالياقوت للناس والدر

وهم أهل حق يأخذون علومهم ... من المصطفى المختار والسيد الخضر

يرون بعين القلب كل خفية ... ويومون بالمعنى لكل فتى حر

فشاهدهم مع هؤلاء فواضح ... لدى كل ذى نور تشعشع في الصدر

تعلم ولا ترضى بجهلك إن ترد ... من الله خيرا يستمر مدى الدهر

ومن كان أعمى في الدنا وهو في غد ... كذلك قال الله في منزل الذكر

فظاهر هذا العلم كالجسم للفتى ... وباطنه كالروح فاجمع لكي تدرى

ولم يك هذا الجمع إلا لصادق ... تربى على شيخ فيوضاته تجرى

وأخلص منه الحب في كل حالة ... مع الأدب الصافى المزين بالبشر

ولم يك هذا الشيخ معدوم وجهه ... ولكنه عن منكرى الحال في ستر

وذو الطعن لم يعرف من الناس مرشدا ... بعد ولو كالجيلي والسيد البكري

ولو كل عصر أهله سلموا لمن ... بدا فيه للإرشاد فازوا على خير

وفيهم سرى سر الإله كما سرت ... مياه السماء والأرض في الغصن النضر

ولكن تصاريف القدير عجيبة

فيعطي الوصول البعض والبعض في هجر

وكن شاغلا للنفس بالله وحده ... وكل خيال دعه إن لاح في الفكر

لأن خفي الشرك للنفس قاطع

عن القرب للرحمن ذي الحكم والقهر

وعن كل معنى لا يحل لأولي السرى ... وعن حانة الخمر والكأس والخمر

فجاهد دواما في مساء وضحوة ... ولو كنت بين المرهفات من البتر

وقد قال ربي سارعوا كيف بعد ذا ... يقيم الفتى الشرعي عن سرعة السير

ومن كان شوقا قاطعا ليل نفسه ... يبين له قبل الذكاء سنا الفجر

وتعقبه شمس التجلي لينجلي ... به الكون عن رين التوهم والغفل

ومن بعد هذا قد يرقى لحالة ... يخاطبه فيها المهيمن بالسر

وتهنيه كل الكائنات بقولها ... هنيئا لك السلطان والحكم في العصر

فما شئته افعله ففعلك جائز ... وما قلته فالأذن خال من الوقر

(١٢١)

(وقال رضي الله عنه)

أدر على النفس كأس الذكر في الظلم ... واشربه حبا على وجد على نهم

وراقب الله في الأنفاس معتقدا ... منك القصور مع الآثام واللمم

وحاسب النفس من قبل الحساب عسى ... تنل بذا يومه عال من القدم

وَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ وَتُبْ ... إِلَيْهِ خَوْفًا بِقَلْبٍ صَادِقٍ وَفَمِ
إِنْ كُنْتَ تَقْصُدُ أَنْ تَحْظَى بِحَضْرَتِهِ ... أَقْبِلْ عَلَى وَجْهِهِ فِي الصَّمْتِ وَالْكَلِمِ
وَزَيِّنِ الْقَلْبَ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ لِكَيْ ... تُشْفَى بِهِ مِنْ أَلِيمِ الضُّرِّ وَالسَّقَمِ
وَلَا تَكُنْ فِي الدُّنَا يَوْمًا بِمُجْتَهِدٍ ... وَلَا لِرِبْحٍ فِي رِزْقٍ بِمُهْتَمِّ
وَاحْفَظْ فُؤَادَكَ لَا تُرْسِلْ خَوَاطِرَهُ ... لِغَيْرِ مَوْلَاكَ مَوْلَى الْجُودِ وَالْكَرَمِ
كُلُّ امْرِئٍ وَهْوَ لِلْأَغْيَارِ مُلْتَفِتٌ ... يَفُوتُهُ الْقَصْدُ فِي بَدْءٍ وَمُخْتَتَمِ
امْلَأْ فُؤَادَكَ مِنْ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ كَيْ ... تَجْنِي ثِمَارَ الْوَلَا مِنْ أَوَّلِ الْقَدَمِ
وَقَيِّدِ النَّفْسَ بِالشَّرْعِ الْمُبِينِ وَلَا ... تَهْوَى سِوَى مَا أَتَى فِي الْمُنْزَلِ الْحَكَمِي
الْعِلْمُ نُورٌ لِأَرْبَابِ السُّلُوكِ إِذَا ... مَا قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ جَيْشٌ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ يَقْصِدِ اللهَ بِالْإِخْلَاصِ يُوصِلْهُ ... لِحَضْرَةِ الْقُرْبِ وَالْإِجْلَالِ وَالْعِظَمِ
مَنْ لَمْ يَنَلْ فِي الدُّنَا خَيْرًا يُسَرُّ بِهِ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الْعَبْدُ فِي الْأُمَمِ
فَتْحُ الْمُرِيدِ عَلَى مِقْدَارِ نَهْضَتِهِ ... فِي رَبِّهِ وَصَفَاءِ الْقَلْبِ وَالشِّيَمِ
مَعَارِفُ الْفَتْحِ لَمْ تَهْطِلْ سَحَائِبُهَا ... إِلَّا عَلَى وَالِهٍ فِي الْحُبِّ مُصْطَلِمِ
اجْرَحْ جَنَانَكَ بِالْحُبِّ الْإِلَهِ عَسَى ... يَكُونُ بِالْوَصْلِ هَذَا خَيْرَ مُلْتَئِمِ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُفْشِي لَدَى أَحَدٍ ... سِرًّا سُرِرْتَ بِهِ مِنْ حَضْرَةِ الْقِدَمِ
وَلَا تَرَى لَكَ أَحْوَالًا وَمَنْزِلَةً ... وَلَا مَقَامًا بِهِ تَجْنِي جَنَى الْحِكَمِ
وَإِنْ تُرِدْ أَحَدًا تَهْوَى زِيَارَتَهُ ... فَظُنَّ خَيْرًا بِهِ وَاحْذَرْ مِنَ التُّهَمِ
وَأَخْرِجْ مِنَ الْقَلْبِ بِالتَّطْهِيرِ كُلَّ رَدًى ... مِنَ الْقَوَاطِعِ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ غَمِّ
وَعَطِّرِ النَّفْسَ بِالْأَعْمَالِ كُلَّ ضُحًى ... وَفِي الدَّيَاجِي بِسَيْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

وَكُنْ لِعَيْبِكَ مَعَ مَا فِيكَ مُنْتَقِدًا لِغَيْرِ نَفْسِكَ فِي الآرَاءِ لَا تَلُمِ

وَإِنْ أَتَتْكَ جُنُودُ النَّفْسِ مُقْبِلَةً فَكُنْ لَهَا حَازِمًا حَزْمَ الأُلَى البُهُمِ

مَنْ لَازَمَ الصَّبْرَ فِي الأَظْلَامِ مُجْتَهِدًا وَفِي النَّهَارِ لِغَيْرِ الصَّوْمِ لَمْ يَرُمِ

وَذَلِّلْ نَفْسًا كَذُلِّ السَّالِكِينَ لَهَا عَلَى طَرِيقِ فَتًى فِي اللهِ مُعْتَصِمِ

مُحَمَّدِ المَدَنِيِّ القُطْبِ قَادَتِنَا الأَوْحَدِ العَارِفِ الشَّمَانِ قُطْبِهِمِ

لَا رَيْبَ يَبْلُغُ مَا فَوْقَ السُّهَا رُتَبًا مِنَ المَعَانِي الَّتِي طَابَتْ لِمُسْتَلِمِ

مَا خَابَ قَطُّ امْرُؤٌ أَمَّ السُّلُوكَ عَلَى عَزْمٍ وَدَمْعٍ عَلَى خَدَّيْهِ مُنْسَجِمِ

إِنَّ السُّلَافَةَ لَمْ يَظْفَرْ بِشَرْبَتِهَا كَسُولُ طَبْعٍ بِجَوْفِ اللَّيْلِ لَمْ يَقُمِ

مَنْ كَابَدَ الهَوْلَ فِي بَدْءِ السُّلُوكِ يَجِدْ مَا لَيْسَ تَحْصُرُهُ الكُتَّابُ بِالقَلَمِ

مِنَ المَعَانِي الَّتِي عَزَّتْ مَدَارِكُهَا وَفَيْضِ عِلْمٍ مِنَ الأَسْرَارِ كَالدِّيَمِ

كَمْ أَوْرَدَ الوِرْدُ أَقْوَامًا لِبَحْرِ رِضًى بِالخَيْرِ مُتَّسِعٍ بِالفَيْضِ مُلْتَطِمِ

وَمَنْ يَكُنْ سَيْرُهُ مِنْ غَيْرِ مُتَّصِلِ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الآفَاتِ وَالنِّقَمِ

الشَّيْخُ شَرْطٌ وَمَنْ يُهْمِلْهُ سَوْفَ يَرَى فَتْحَ افْتِتَانٍ مِنَ الشَّيْطَانِ كَالسُّحُمِ

كُلُّ امْرِئٍ سَالِكٍ مِنْ غَيْرِ تَرْبِيَةٍ لِبَارِقِ الوَصْلِ لَمْ يَقْرُبْ وَلَمْ يَشِمِ

إِنْ شَامَهُ كَانَ لَبْسًا قَدْ أَضَرَّ بِهِ وَرَدَّ حَالَتَهُ لِلْمَحْوِ وَالعَدَمِ

وَمَنْ يَقُلْ لَيْسَ يَدْرِي عَارِفًا عَنَدَا صَدَّقَهُ لَكِنَّهُ بِالرَّانِ عَنْهُ عَمِي

غَيْبٌ عَلَى النَّاسِ لَا يَدْرِيهِ غَيْرُ فَتًى عَنْ نَقْصِ كُلِّ وَلِيٍّ فِي الزَّمَانِ حُمِي

مَتَى ظَفِرْتَ بِهِ فَاعْرِفْ مَقَاصِدَهُ وَكُنْ لَهُ مِثْلَ طِفْلٍ حَالَةَ اليُتُمِ

إِنْ غِبْتَ أَوْ كُنْتَ مِنْهُ حَاضِرًا جَسَدًا إِلَيْهِ مِلْ مَيْلَ ظَمْآنٍ إِلَى شَبِمِ

وَانْزِلْهُ فِي النَّفْسِ أَعْلَى مَنْزِلٍ وَلَهُ … بَادِرْ إِذَا مَا دَعَا يَوْمًا عَلَى قَدَمِ

إِنَّ الْإِسَاءَةَ مَعَهُ لَنْ تَنَالَ بِهَا … غَيْرَ الْبِطَالَةِ وَالْخُسْرَانِ وَالنَّدَمِ

احْذَرْ سُلُوكًا بِلَا شَيْخٍ فَتَفْتَتِنَ فِي … هَذَا الطَّرِيقِ بِنَيْلِ الْخَلْقِ وَالنِّعَمِ

عَارٌ عَلَى كُلِّ مَنْ لِلَّهِ هِمَّتُهُ … أَنْ يَكْتَفِي بِالْوَرَى مَعْ حُسْنِ مَيْلِهِمِ

لِلشَّيْخِ نَفْعٌ عَجِيبٌ لَيْسَ يُعْرَفُ إِلَّا … بِالسُّلُوكِ وَصِدْقِ الْعَزْمِ وَالْهِمَمِ

لَا تُعْرِضَنَّ عَنِ الْأَشْيَاخِ إِنَّهُمُ … أَهْلُ الْوِلَايَةِ أَهْلُ الْفَيْضِ وَالْكَرَمِ

قَوْمٌ حَيَارَى سُكَارَى فِي مَلِيكِهِمِ … لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَهُ فِي سِرِّ سِرِّهِمِ

بِهِ فَنَوْا وَتَسَامَوْا بِالْفَنَاءِ عُلًا … دُونَهُ زُحَلُ الْعَالِي وَحَقِّهِمِ

اصْحَبْهُمُو وَانْتَظِمْ فِي سِلْكِهِمْ شَغَفًا … عَسَاكَ تَشْرَبُ كَأْسًا مِنْ رَحِيقِهِمِ

كَمْ أَسْعَدَ اللَّهُ أَقْوَامًا بِحُبِّهِمِ … وَقُرْبِهِمْ لِإِلَهِ الْخَلْقِ رَبِّهِمِ

دَعِ التَّلَاعُبَ إِنَّ الْعُمْرَ مُرْتَحِلٌ … وَانْظُرْ مَنْ كَانَ مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ أَمَمِ

وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ مِنْ قَوْلِ الْبِطَالَةِ فِي … شُغْلٍ وَسَمْعَكَ فِي وَقْرٍ وَفِي صَمَمِ

كُنْ لِلْإِلَهِ عُبَيْدًا خَاضِعًا وَجِلًا … عَسَى تُخَصُّ بِوَصْلٍ غَيْرَ مُكْتَتِمِ

وَتُمْنَحُ الْقُرْبَ وَالْكَأْسَ الَّذِي وَلِهَتْ … بِهَا الْأَكَابِرُ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

وَتُطْرِبَنَّ بِكَ الْعُشَّاقُ إِنْ نَظَرَتْ … إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ أَوْتَارٍ وَلَا نَغَمِ

مَنْ فَاتَهُ السَّيْرُ فِي عَصْرِ الشَّبِيبَةِ لَمْ … يَظْفَرْ بِمَقْصُودِهِ فِي الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَيْحَ امْرِئٍ آبَ مِنْ بَعْدِ السُّلُوكِ إِلَى … مَا فَرَّ عَنْهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَشَمِ

طَرِيقَةُ الْقَوْمِ مَنْ يَهْوَى الْوُصُولَ بِهَا … لِوِرْدِهِ فَلْيَكُنْ مِنْ خَيْرِ مُلْتَزِمِ

وَلْيَنْبِذَنْ خَلْفَهُ كُلَّ الْمَرَامِ وَلَا … يَرُمْ لِغَيْرِ الَّذِي سَوَّاهُ مِنْ عَدَمِ

فيا لها من طريق لو لعاشقها فاحت نداعمها ما بال من ألم

هيموا بها فعسى يوما تهب لكم من حانها نفحة تبقى مدى الدوم

ثم الصلاة على المختار من مضر خير النبيين أوفى الخلق بالذمم

والآل والصحب ما غنى امرؤ طربا بين المحافل تهياما بذكرهم

(وقال رضى الله عنه)

رد فى بحار العلم والأسرار بنجائب الأوراد والأذكار

ودع التكاسل عند أوقات الإجا بة فالمعارف فى دجا الأسحار

واسأل مليكك بالقليب وقالبا وصلا إليه وفيض علم جار

فالخير يأتى من حضيرة قدسه لذوى العنا والجد فى الأسفار

واشرب بذكرك خندريس قديمه بصبابة مع فتية أبرار

لولا المحبة ما تروى صادق فى أبحر التوحيد والأنوار

اندب على نفس ولا تندب على ما كان من جاه ومن أزهار

واركن إلى خدام ليلى فى الورى وخذ الطريق لهم بزهد الدار

واجهد ولا تخش الملامة سيدى فى منهج القوم الألى الأحرار

واخلع ثياب العجب عنك ولا تذر تمزيق ما يردى من الأستار

طيب فؤادك بالصفا وبخشية كى منك يبدو طيب الأعطار

واركب على سفن الرجا متضرعا من غائل يغتال قلب السار

لا تدعى أوصاف مولاك الغنى ترمى بسهم بلية ضرار

واكتم ولا تفشى لأمر خارق كالعارفين أئمة الأسرار

والخلوتى ومن له النسب السنى بدر الدجا السمان ذى المقدار

لاحِظْ بِقَلْبِكَ لِلحَقِيقَةِ دَائِمًا   بِتَخَضُّعٍ وَتَخَشُّعٍ وَوَقَارِ

وَادْخُلْ بِوَجْدِكَ ذَلِكَ الحَرَمَ الذِى   وَاشْرَبْ مِنَ الخَمَّارِ كَأْسَ خُمَارِ

حَرَمٌ نَفِيسٌ لَيْسَ يَدْخُلُهُ سِوَى   مَنْ قَدْ تَطَهَّرَ مِن صَدَا الأَوْزَارِ

وَجَمِيعِ مَا تَرْعَاهُ قَبْلَ دُخُولِكَ الـ   ـحَرَمَ المَنِيعَ اتْرُكْهُ بِاسْتِبْصَارِ

سَيْفٌ صَقِيلٌ لِلقَوَاطِعِ قَاطِعٌ   عَن حَضْرَةِ المَدَدِ الشَّهِى المِدْرَارِ

وَاصْعَدْ إِلَى أَوْجِ الكَمَالِ بِسُرْعَةٍ   بِبُرَاقِ عَــزْمٍ عِنَايَةٍ طَيَّارِ

مَنْ يَرْتَقِي يَبْقَى إِمَامًا صَالِحًا   تَسْمَى إِلَيْهِ أَكَابِرُ الأَقْطَارِ

احْرِمْ بِنِيَّةِ حَجَّــةٍ مَبْرُورَةٍ   واشْمَمْ شَذَا الرَّنْدِ الشَّذِىِّ الزَّارِى

وَطُفِ القُدُومَ بِنِيَّــةٍ قُدْسِيَّةٍ   لِتَفُوزَ بِالعُلْيَا وَقُرْبِ البَارِى

قِفْ بِالصَّفَا بِصَفَاكَ وَاسْعَ مُهَرْوِلاً   مُتَوَاجِــدًا بِالزَّهْرِ وَالأَزْهَارِ

أَيْضًا عَلَى عَرَفَاتِ عِرْفَانِ التُّقَى   قِفْ بِالشُّهُودِ وُقُوفَ صَبٍّ دَارِ

واجْمَعْ بِجَمْعٍ ثُمَّ جِئْ أُمَّ القُرَى   مُتَهَيِّئًا نَاوٍ قَضَــا الأَوْطَارِ

وَطُفِ الإِفَاضَةَ كَيْ تَفِيضَ عَلَى الوَرَى   بِمَعَارِفٍ مُزِجَتْ بِكَأْسِ عُقَارِ

ثُمَّ الصَّــلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   شَمْسِ الشُّمُوسِ وَقُرَّةِ الأَبْصَارِ

(٩٣)

وقد خمس هذه القصيدة المذكورة والمعارف المزبورة العالم العلامه الشيخ الحسين بن إبراهيم زهرة رحمه الله وأدام له الشرف العالى وارضاه وذلك عام ثلاثمائة وألف نهار عشرين يوماً خلت من ربيع الأول كما فى خطه وقد كتب من بعد تخميسه لها مايشير إلى كامل صدقه وتسليم قلبه لصاحب هذا الديوان لهذين البيتين.

حُسَيْنٌ طُفَيْلٌ فى رُسُومِ رُبُوعِكُمْ   فَقِيرٌ وَلَكِنْ لاَ يَمِيلُ لِغَيْرِكُمْ
حَزِينٌ كَئِيبُ القَلْبِ فى أىِّ مَوْضِعٍ   مَسَرَّاتُهُ كَانَتْ مَحَلاَّتِ جَمْعِكُمْ

(٢)

والتخميس المذكور هو هذا :

يَا صَادِيًا لِمُدَامَةِ الخَمَّارِ   غَرْثَانَ سَارِ طَالِبَ الآثَارِ
مُسْتَخْبِرًا عِلْمًا بِرَبِّ الدَّارِ   رِدْ فى بِحَارِ العِلْمِ والأَسْرَارِ
بِنَجَائِبِ الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ

وَلْتَرْعَ خَوْفَكَ فَوْقَ أَنْ تَرْعَى الرَّجَا   وَقُمِ اللَّيَالِى وَلاَ تَنَمْ وَقْتَ الدُّجَا
لاَ تَخْشَ مِنْ ضَرَرٍ وَلاَ تَشْكُ الوَجَا   وَدَعِ التَّكَاسُلَ عِنْدَ أَوْقَاتِ الإِجَا
بَةِ فَالمَعَارِفُ فِي دُجَا الأَسْحَارِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لاَ تَزَالُ مُطَالَبًا   وَبِكُلِّ عَادٍ لاَ تَزَالُ مُغَالِبًا
فَعَلَى حُظُوظِ النَّفْسِ لاَ تَتَكَالَبَا   وَاسْأَلْ مَلِيكَكَ بِالقُلَيْبِ وَقَالِبَا
وَصْلاً إِلَيْهِ وَفَيْضَ عِلْمٍ جَارِ

وفُؤَادَكَ احْفَظْ مِنْ خَوَاطِرِ حَدْسِهِ   أَيْضًا وَفُلْكَكَ فِى الشَّارِعِ ارْسِهِ
وَلْتُحْيِ لَيْلَكَ سِيَّمَا فِى سُدْسِهِ   فَالخَيْرُ يَأْتِى مِنْ حُضَيْرَةِ قُدْسِهِ
لِذَوِى العَنَا وَالجِدِّ فِى الأَسْفَارِ

والحُبُّ يَأْخُذُ صَفْوَ قَلْبِ نَدِيعِهِ   كَالخَمْرِ يَلْعَبُ دَائِمًا بِنَدِيعِهِ
فَالْزَمْ فِدَاكَ النَّفْسُ بَيْتَ عَلِيمِهِ   واشْرَبْ بِذِكْرِكَ خَنْدَرِيسَ قَدِيعِهِ
بِصَبَابَةٍ مَعْ فِتْيَةٍ أَبْرَارِ

وَاكْتُمْ هَوَاكَ إِذَا بَدَا لَكَ شَارِقٌ   حَسَنٌ لِقَلْبِكَ بِالمَحَاسِنِ سَارِقٌ

وَاطْلَقْ بِذَاكَ وَلَا يَعُوقُكَ عَائِقٌ لَوْلَا الْمَحَبَّةُ مَا تَرَوَّى صَادِقٌ

فِي أَبْحُرِ التَّوْحِيدِ وَالأَنْوَارِ

وَارْقُبْ رَقِيبَكَ فِي لُوَيْلَاتِ الْوَلَا وَدَعِ الدَّنِيَّةَ لَا تَرُمْ فِيهَا الْعُلَا

وَافْرَحْ بِفَقْدِكَ جِيفَةً تَـكْفِي الْبِلَا وَانْدُبْ عَلَى نَفْسٍ وَلَا تَنْدُبْ عَلَى

مَا كَانَ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ أَزْهَارِ

وَاتْبَعْ بِصَفْوِ الْقَلْبِ وَيْحَكَ مَنْ سَرَا فِي كُلِّ مَفْعُولٍ وَلَوْ بَيْعًا شِرَا

وَاحْذَرْ بِجُهْدٍ أَنْ تَمِيلَ إِلَى مِرَا وَارْكَنْ إِلَى خُدَّامِ لَيْلَى فِي الْوَرَى

وَخُذِ الطَّرِيقَ لَهُمْ بِزُهْدِ الدَّارِ

بِحَلَالِ قُوتِكَ لِلْجَوَارِحِ أَيِّدِ وَعَلَى حَزْمِكَ بِاهْتِمَامِكَ شَيِّدِ

وَعَلَيْكَ نَفْسَكَ بِالشَّرِيعَةِ قَيِّدِ وَاجْهَدْ وَلَا تَخْشَ الْمَلَامَةَ سَيِّدِي

فِي مَنْهَجِ الْقَوْمِ الأُلَى الأَحْرَارِ

وَاغْنَمْ زَمَانَكَ قَبْلَ أَيَّامِ الْـكِبَرْ وَعِظِ الْفُؤَادَ بِقِي وَتِبَاكَ الْعِبَرْ

وَدَعِ الرِّدَا وَكَذَا الإِزَارَ لِمَنْ جَبَرْ وَاخْلَعْ ثِيَابَ الْعُجْبِ عَنْكَ وَلَا تَذَرْ

تَمْزِيقَ مَا يُرْدِي مِنَ الأَسْتَارِ

إِيَّاكَ خِلِّي أَنْ تَفُوهَ بِوَشْيَةٍ وَكَذَاكَ فَاحْذَرْ أَنْ تَخُونَ عَشِيَّةٍ

مِنْ أَيْنَ تَأْمَنُ أَنْ تُصَابَ بِغَشْيَةٍ طَيِّبْ فُؤَادَكَ بِالصَّفَا وَبِخَشْيَةٍ

كَيْ مَعَكَ يَبْدُو طِيبُ الأَعْطَارِ

وَاصْحَبْ فَرِيًّا بِالتُّقَى مُتَدَرِّعًا لَا مُقْشِرًا لِرَدَى الشَّقَا مُتَجَرِّعًا

بَلْ بَارِعًا بِجَوَائِزٍ مُتَـــبَرِّعًا وَارْكَبْ عَلَى سُفُنِ الرَّجَا مُتَضَرِّعًا

مِنْ قَائِلٍ يَغْتَالُ قَلْبَ السَّارِ

وَانْعِمْ بِذَلِكَ ذَلِكَ الْعَيْشُ الْهَنِي وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ دُونَ مَمْلُوكٍ دَنِي
لَا تَجْتَرِي لَا تَفْتَرِي لَا تَـكْتَنِي لَا تَدَّعِي أَوْصَافَ مَوْلَاكَ الْغَنِي
تُرْمَى بِسَهْمِ بَلِيَّةٍ ضَرَّارِ

كُنْ فِي الطَّرِيقِ عَلَى اجْتِهَادٍ لَائِقِ مُتَبَاعِدًا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ عَائِقِ
مُتَوَلِّهًا فَرِحًا بِذِكْرِ الْخَالِقِ وَاكْتُمْ وَلَا تُفْشِي لِأَمْرٍ خَارِقِ
كَالْعَارِفِينَ أَئِمَّةِ الْأَسْرَارِ

وَالشَّاذِلِيُّ مَنْ فِي الْمُهَيْمِنِ قَدْ فَنِي وَسَرِيُّهُمْ وَجُنَيْدُهُمْ عَبْدُ الْغَنِي
وَابْنُ الرِّفَاعِي وَمَنْ بِعِزَّةٍ قَدْ عُنِي وَالْخَلْوَتِي وَمَنْ لَهُ النَّسَبُ السَّنِي
بَدْرُ الدُّجَا السَّمَّانُ ذِي الْمِقْدَارِ

كُنْ إِنْ تَـكُنْ بِجَمَالِ سَلْمَى هَائِمًا لَا لَاهِيًا عَنْهَا بِنَفْسِـــكَ نَاعِمًا
فِيهَا الْوُجُودُ وَمَنْ تَرَاهُ قَائِمًا لَاحِظْ بِقَلْبِكَ لِلْحَقِيقَةِ دَائِمًا
بِتَخَشُّعٍ وَتَخَضُّـــعٍ وَوَقَارِ

خَلِّ الَّتِي لَزِمَتْ حِمَاهَا وَالْبَذِي وَكَذَاكَ خَلِّ الْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَذِي
وَاعْمَلْ إِلَى ذَيَّالِكَ الْمِسْكِ الشَّذِي وَادْخُلْ بِوَجْدِكَ ذَلِكَ الْحَرَمَ الَّذِي
وَاشْرَبْ مِنَ الْخَمَّارِ كَأْسَ خُمَارِ

وَتَجَرَّدَنْ مِنْ قَبْلِ تَحْرِيمِ الْهَوَى وَاغْسِلْ ثِيَابَكَ مِنْ مُصَاحَبَةِ الدَّوَا
وَأَذِقْ جَنَانَكَ كُلَّهُ أَلَمَ النَّوَى حَرَمٌ نَفِيسٌ لَيْسَ يَدْخُلُهُ سِوَى
مَنْ قَدْ تَطَهَّرَ مِنْ صَدَا الْأَوْزَارِ

كُنْ ذَاكِرًا مُتَهَجِّدًا فَعَسَى لَعَلْ وَصْلٌ يَـكُونُ وَلَا يَخِيبُ مَنِ اتَّصَلْ

وَالْجَأْ إِلَى مَنْ عَزَّ فى ذاتِ وَجَلْ   وَجَمِيعَ مَا تَرْقَاهُ قَبْلَ دُخُولِكَ الْ

حَرَمَ الْمَنِيعَ اتْرُكْهُ بِاسْتِبْصَارِ

ذَاكَ الْحِجَابُ وَذَاكَ سُورٌ مَانِعُ   وَكَذَلِكَ الْبُرْدِىُّ الْقَشِيبُ الْيَانِعُ

أَيْضًا وَمَنْ هُوَ فى صِحَابِكَ قَانِعُ   سَيْفٌ صَقِيلٌ لِلْقَوَاطِعِ قَاطِعُ

عَنْ حَضْرَةِ الْمَدَدِ الشَّهِىِّ لِلْمِدْرَارِ

واقْصُدْ تُجَاهَكَ دَاخِلاً فِى شِرْعَةِ   مُتَطَهِّرًا مُتَنَزِّهًا عَن بِدْعَةِ

مُتَقَاعِدًا مُتَبَاعِدًا عن رِفْعَةِ   وَاصْعَدْ إِلَى أُوجِ الْكَمَالِ بِسُرْعَةِ

بِبُرَاقِ عـــزمِ عِنَايَةٍ طَيَّارِ

إِنْ شِمْتَ بَرْقًا فى الدَّيَاجِرِ لَائِحَا   أَوْ عَاشِـــقًا لِدِيَارِ عُلْوَى رَائِحَا

كُن لِلْحَبِيبِ بِدَمْعِ عَيْنِكَ بَائِحَا   مَن يَرْتَقِى يَبْقَى إِمَامًا صَـــالِحَا

تَسْعَى إِلَيْهِ أَكَابِرُ الأَقْطَارِ

وَاعْمَلْ بِحَقٍّ مَعَالِمِ مَشْهُورَةِ   مَسْطُورَةِ فِى كُتْبِهِمْ مَزْبُورَةِ

أَو عِنْدَ مِيقَاتِ هُنَاكَ بِصُورَةِ   احْرِمْ بِنِيَّةِ حَجَّـــةِ مَبْرُورَةِ

وَاشْمُمْ شَذَا الرَّنْدِ الشَّذِى الزَّارِى

وارْمُقْ عَلَاكَ بِأَعْيُنٍ مَرْمِيَّةِ   مخفيـــةِ فِى غَيْبِهَا مَحْمِيَّـــةِ

وأَجِبْ إِلهَكَ لِلحمِا مَعْ نِيَّةِ   وَطُفِ الْقُدُومَ بِنِيَّةِ قُدْسِيَّـــةِ

لِتَفُوزَ بِالْعَلْيَاءِ وَقُرْبَ الْبَارِى

وَأْتِ الْمَنَاسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ مُهَلِّلاَ   مُتَمَلِّلاَ مُتَأَوِّلاَ مُتَحَـــوِّلاَ

مُتَحَقِّقًا بِالْحَقِّ لا مُتَقَوِّلاَ   قِفْ بِالصَّفَا بِصَفَاكَ وَاسْعَ مُهَرْوِلاَ

مُتَوَاجِدًا بِالزَّهْرِ وَالأَزْهَارِ

واذْهَبْ لِمِيقَاتِ الرِّضَى وَارْمِ الشَّقَا   مُتَقَوِّيًا بالزَّادِ رَاكِبَ مُتَّقَا
وَالْبَسْ حُلا الإِحْسَانِ مِن بَعْدِ النَّقَا   أَيْضًا عَلَى عَرَفَاتِ عِرْفَانِ التُّقَى

قِفْ بالشهودِ وقوفَ صَبٍّ دَارِى

وَاجْمَعْ بِجَمْعٍ بَعْدَ جَمْعٍ وَاقْصُرَا   ذِكْرًا وَذِكْرًا طَوِلَنْ لَا تَقْصُرَا
تَجِدِ الْمُنَى فيها وَإِحْسَانَ القِرَى   وَاجْمَعْ بِجَمْعٍ ثُمَّ جِئْ أُمَّ الْقُرَى

مُتَهَيِّئًا نَاوِ قَضَا الأَوْطَارِ

دَعْ عَنْكَ نَوْمًا ثم بيعًا والشِّرَا   وَاحْلِقْ بِهَا وَانْحَرْ وَرَمْيًا كَرِّرَا
فيها عَدَا مَعْلُومَ أَيَّامِ القِرَا   وَطُفِ الإِفَاضَةَ كَيْ تَفِيضَ عَلَى الوَرَا

بِمَعَارِفٍ مُزِجَتْ بِكَأْسِ عُقَارِ

وَاعْمِدْ إِلَى حَضَرِ الوَرَى بِتَعَمُّدٍ   لِوِصَالِهِ الأَشْهَى وَحَسْمِ الكُمَّدِ
وَقِرُورِ عَيْنٍ بِالأَمَانِي مُغْمَدِ   ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

شَمْسِ الشُّمُوسِ وَقُرَّةِ الأَبْصَارِ

(٨٤)

(وقال رضى الله عنه)

أَدِرِ الكُئُوسَ عَلَى الْمُحِبِّ ظَلامَ   يَا سَاقِيًا وَاسْكِرْ بِهَا الأَقْوَامَا
غنى بِحَانِ شَرَابِهَا طَرَبًا وَلَا   تَخْشَى مَلَامَةَ مَن بِذَلِكَ لَامَا
هِيَ نُورُ حَقٍّ سَاطِعٌ بِحَقِيقَةٍ   تُغْنِي النُّفُوسَ وَتُذْهِبُ الأَوْهَامَا
هِيَ سِرُّ سِرٍّ لِلسَّرَائِرِ عَامِرٌ   هِيَ خَيْرُ مَغْنًى يُدْهِشُ الأَحْلَامَا
هِيَ نُورُ أَنْوَارٍ تَقَدَّسَ وَصْفُهَا   بِشَرَابِهَا رَقَصَ الْمُحِبُّ وَهَامَا
هِيَ غَيْبُ غَيْبٍ لَيْسَ قَطُّ يَنَالُهَا   إِلَّا فَتًى فِي لَيْلِهِ مَا نَامَا

هِيَ قَهْوَةُ الأَرْوَاحِ وَالسِّرُّ الَّذِي   جَمَلَ الَّذِي فَازُوا بِهِ أَعْلَامَا
هِيَ خَمْرَةٌ لَا عَيْبَ فِي قَوْمٍ هُمُو   قَدْ أَكْثَرُوا نَثْرًا بِهَا وَنِظَامَا
فِي الْعُمْرِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا غَيْرُ امْرِئٍ   مِنْ نَفْسِهِ قَدْ كَسَّرَ الْأَصْنَامَا
نَبَذَ الدُّنَا وَالْغَيْرَ كُلًّا خَلْفَ ظَهْرِهِ   سَالِكًا سُبُلَ الْأُلَى تَهْيَامَا
لَا يَسْتَلِذُّ بِغَيْرِ مَنْ لِوِصَالِهِ   أَجْرَى الدُّمُوعَ عَلَى الْخُدُودِ سِجَامَا
يُبْدِي وَيُخْفِي تَارَةً لِغَرَامِهِ   وَالْحَالُ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ شَامَا
بِبَصِيرَةٍ لِفَتًى فَقَدْ جَمَلَتْهُ   نِيرَانُ الْمَحَبَّةِ وَالْغَرَامِ عِظَامَا
يَمْشِي عَلَى الْأَقْدَامِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى   وَالْقَلْبُ مِنْهُ قَدِ ارْتَقَى أَقْدَامَا
مَنْ يَطْلُبِ الْمَوْلَى بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ   يَجِدِ الَّذِي مِنْ قُرْبِهِ قَدْ رَامَا
وَيَرَى بِعَيْنِ الْقَلْبِ مِنْهُ تَفَضُّلًا   عَرْشًا وَلَوْحًا عَالِيًا أَقْلَامَا
لَكِنْ بِشَرْطِ الصِّدْقِ فِي نَهَضَاتِهِ   مَعْ ذُلِّ نَفْسٍ وَانْكِسَارٍ دَامَا
لَا يَرْتَضِي أَبَدًا بِشَيْءٍ قَدْ بَدَا   مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا السُّلُوكَ دَوَامَا
مُتَزَوِّدًا بِالْحُبِّ فِي حَرَكَاتِهِ   سَكَنَاتِهِ مُتَعَبِّدًا صَوَّامَا
لَمْ يَخْشَ مِنْ صَعْبِ الطَّرِيقِ وَلَمْ يَكُنْ
تَشْغَلُهُ وَسْوَسَةٌ إِذَا مَا قَامَا
ذِكْرُ الْإِلَهِ فَلَا ارْتِقَاءَ بِغَيْرِهِ   لِسِمَا فُيُوضَاتٍ تَفُوقُ غَمَامَا
ذِكْرُ الْإِلَهِ هُوَ الطَّرِيقُ لِكُلِّ مَنْ   قَدْ كَانَ فِيهِ مُشَمِّرًا خَدَّامَا ،
ذِكْرُ الْإِلَهِ لِأَهْلِهِ هُوَ مُسْكِرٌ   وَلَهُمْ يُعَجِّلُ بَعْدَ ذَاكَ مَقَامَا
لِلَّهِ دَرُّ السَّالِكِينَ بِهِ وَمَنْ   بِشَمِيمِهِ قَدْ عَطَّرُوا الْأَيَّامَا ،

مَا خَابَ إِلَّا مَنْ نأى عَنْ فِعْلِهِ جَعَلَ الشَّرَابَ لَذَاذَةً وطَعَامَا

(٢٥)

وقال رضى الله عنه مخمساً لبيتين للامام الربانى والأوحد السلطان سيدى الشيخ عبدالقادر الجيلانى قدس سره

عَلَى الفلكِ الدَّوَّارِ مَرْتَبَتِى عَلَتْ وَأَسْرَارُ قَلْبِى فى الخلائقِ قَدْ سَرَتْ

أَقُولُ وَلِىَ كُلُّ العَوَالِمِ قَدْ صَغَتْ كَلَامِى عُقَارٌ عُتِّقَتْ ثُمَّ رُوِّقَتْ

وَكُلُّ كلَامِ العَارِفِينَ عَصِيرُ

أَنَا الأَوْحَدُ السُّلْطَانُ قُطْبُ الدَّوَائِرِ أَنَا الخَمْرُ وَالخَمَّارُ نُورُ السَّرَائِرِ

فَمَنْ لِى يُضَاهِى مِن جَمِيعِ الأَكَابِرِ إِذَا ظَهَرَتْ يَوْماً بُزَاةُ خَوَاطِرِى

فَمَا لِعَصَافِيرِ الطَّرِيقِ صَفِيرُ

(٦)

وقال رضى الله تعالى عنه

وَمَنْ يَدَّعِى وصْلاً بِغَيْرِ شَرِيعَةٍ فَذَاكَ هُوَ الزِّنْدِيقُ بَيْنَ الخَلَائِقِ

فَلَا تَقْبَلُوا حَالَ امْرِىءٍ مُتَبَاعِدٍ عَنِ الشَّرْعِ فِى قَوْلٍ وفِعْلِ خَلَائِقِ

وَلَوْ بَعْضَ نَاسٍ لَقَّبُوهُ بِزُورِهِمْ بِقُطْبٍ وَأُسْتَاذٍ وَشَيْخِ طَرَائِقِ

وَأَمَّا شُيُوخِى قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُمْ فَسَادُوا بِهِ حَتَّى ارْتَقُوا لِحَقَائِقِ

وَكُلُّ الذِى قَالُوهُ وَهُوَ مُوَافِقٌ لَدَى كُلِّ حِبْرٍ نَالَ حُسْنَ الرَّقَائِقِ

(٥)

وقال رضى الله تعالى عنه

لَا وَصْلَ قَطُّ لِسَالِكٍ إِلَّا بِشَرْعِ مُحَمَّدٍ إِنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظَى بِهِ دُنْيَا وَيَوْمَ المَوْعِدِ

اتبع طريقة مالك فلك العلا أو أحمد أو ذلك النعمان أو رب المقام الأمجد
الشافعي الكوكب الـ وقاد نور المهتدي

(٥)

وقال رضى الله تعالى عنه

علوم رجال الغيب غير علومكم أيا من تقيدتم بفهمكم النفسي
ولو نلتمو من علمهم نحو قطرة لغبتم به في الله عن عالم الحس
دعوا القوم فيما هم عليه وسلموا وإلا تمرضتم جميعا إلى الرمس

(٦)

وقال رضى الله عنه

على حدود الذي أنشاك من عدم إلى انقضا العمر هذا قف على قدم
وقدم التوب وانهض كل آونة إلى المعالي بعزم غير منصرم
وعمر الوقت بالأعمال مجتهدا مع الحضور مدى الإصباح والظلم
وانقل فؤادك بالأوراد مرتقيا لقرب مولاك مولى الجود والكرم
وطهر القلب عن رؤيا السوى أبدا برؤية الله هذا بارىء النسم
إشراق قلبك هذا لا يكون بلا محو التفاتك للأغيار كلهم
ولا يقودك وهم بعد علمك أن الفاعل الله في كل السوى افتهم
وسائر الخلق جمعا كالسراب وهل يخشى السراب امرؤ في الناس ذو قدم
محض التقرب لم يدركه غير فتى فاز بمولاه عن باد ومكتتم
من الكثيف إلى ذاك اللطيف رقى بالجد والصدق والتحسين للشيم
والزهد في هذه الدنيا ولذتها ، مع مدمع فوق هذا الخد منسجم

ومع سلامة صدرٍ ثم معرفةٍ   تحمى من الجهل في بدءٍ ومختتمِ

واخشع ولا يكُ هذا القلبُ منك لدى   تلاوةٍ لكلامِ الله كالرجمِ

احسن صلاتك كي تلقى الصلاة ولا   تغفل لديها فتكسى خلعة الندمِ

شؤمٌ عليك صلاةٌ غيرُ واصلةٍ   مقبولةٍ تجتني فيها جنى الحِكَمِ

إصلاحُ قلبك هذا بالحضور مع الخشوعِ فيها هما من أعظم النِّعَمِ

عارٌ عليك ضميرٌ طالما خمدت   نيرانُ أشواقه عن حضرة القِدَمِ

خالف لنفسك لا تسمع مقالتها   ترمى بسهم الردى والبؤسِ والنِّقَمِ

أعدى العدوِّ كما جاء الحديثُ لنا   فلا تكن عند لقياها بمنهزمِ

اصبر وجاهد بسيف العزم علَّ عسى   يأتيك نصرٌ عزيزٌ مدةَ الدَّوَمِ

رذيلةٌ لجميع العيبِ جامعةٌ   تُردي موافقها مع كلِّ مقتحمِ

أمّارةٌ من لها يومًا يميلُ فقد   نأى وصار مدى الأوقات في غممِ

انظر لها في معانيها مقاصدها   وحالها عند فعلٍ ثم نطق فمِ

تجد رياءً وجهلًا بالمهيمن بل   دويلةً تجعلُ الأحشاء كالحِمَمِ

دع كل شيءٍ سوى مولاك مغتنمًا   وصلًا إليه وفيضًا منه كالدِّيَمِ

وثق بما عنده إن الوثوق به   يحمي حجاك من الأضرار والألمِ

وابذل ولا تكُ ذا بخلٍ تذادُ به   يوم القيامة عن مولاك ذي الكرمِ

واكتم ولا تكُ فاشٍ إن ظفرت بما   تهوى وكن للهوى من خير ملتزمِ

ولا تنازع بعلمٍ خلتهُ رشدًا   عليه بارقةُ الإخلاص لم تُشَمِ

كم من منازعةٍ أودت لقائلها   من حيث لم يدرِ أن السمَّ في الدسمِ

وَلَا تَرَى الْجَهْلَ إِلَّا فِيكَ مُجْتَمِعًا ... مَا دَامَ قَلْبُكَ عَنْ سِرِّ التَّجَلِّي عَمِي

لَا تَغْتَرِرْ بِمَدِيحِ الْجَاهِلِينَ وَلَوْ ... رَأَوْكَ مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْخَلْقِ كَالْعَلَمِ

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ عِلْمًا نَافِعًا حَسَنًا ... مَا مِلْتَ يَوْمًا لِغَيْرِ الْعَالِمِ الْحَكَمِ

وَلَا تَلَاعَبَتِ الْأَهْوَا بِقَلْبِكَ فِي ... حَالِ الْقُعُودِ وَلَا فِي مَشْيَةِ الْقَدَمِ

وَلَا تَأَوَّلْتَ أَقْوَالًا تَجُرُّ بِهَا ... نَفْعًا لِنَفْسِكَ مِنْ ذِي الظُّلْمِ وَالظُّلَمِ

مَنْ يَعْرِفِ اللهَ لَمْ يَعْرِفْ سِوَاهُ وَفِي ... بَحْرِ الْفَنَاءِ مَدَى الْأَيَّامِ يَصْطَلِمِ

وَمِنْ طَوَارِقِ أَوْهَامٍ تُزَيِّنُهَا ... نَفْسٌ وَشَيْطَانُهَا ذَاكَ الرَّجِيمُ حُمِي

خَلِّ الْهَوَا وَاصْحَبَنْ لِلْعَارِفِينَ عَسَى ... تَنْجُو بِصُحْبَتِهِمْ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ

وَحَسِّنِ الظَّنَّ فِيهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ ... مَا دُمْتَ حَيًّا وَأَيْضًا بَعْدَ مَوْتِهِمِ

وَسِرْ بِسَيْرِهِمْ وَاتْبَعْ مُرَادَهُمْ ... سِرًّا وَجَهْرًا مَعَ التَّطْهِيرِ وَالْعِصَمِ

وَلَا تَرَى غَيْرَهُمْ شَيْئًا تُسَرُّ بِهِ ... وَانْبِذْ سِوَاهُمْ كَنَبْذِ الْحَيِّ لِلرِّمَمِ

هُمْ أَهْلُ وُدِّي أَيْضًا وَالَّذِينَ هُمُو ... كَالْبَازِ وَصْفًا وَكُلُّ النَّاسِ كَالرَّخَمِ

هُمُ الْحُصُونُ هُمُ الْحِرْزُ الْمَنِيعُ هُمُ الْـقَوْمُ الَّذِينَ فَنَوْا فِي اللهِ رَبِّهِمِ

أَوْفَوُا الْعُهُودَ وَمَا مَالَتْ عُقُولُهُمْ ... إِلَى الْكَبَائِرِ كَلَّا لَا وَلَا اللَّمَمِ

لَمْ يَقْبَلُوا حَالَ صَحْوٍ ثُمَّ سُكْرِهِمِ ... غَيْرَ اتِّبَاعِ نَبِيِّ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

لَا تَقْتَدِي بِأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ أَبَدًا ... نُفُوسُهُمْ لِسَبِيلِ الْقُرْبِ لَمْ تَرُمِ

أَفْعَالُهُمْ غَيْرُ مَا قَالُوا وَحَالُهُمْ ... خِلَافُ هَذَا فَمَنْ يَنْصَحْ وَمَنْ يَلُمِ

قَدْ عَطَّلُوا وَأَضَلُّوا فِي الْوَرَى أُمَمًا ... وَأَسْكَرُوا بِالْهَوَى مَنْ كَانَ كَالْبَهَمِ

قَدْ حَرَّفُوا لِطَرِيقِ الْقَوْمِ كُلِّهِمِ ... تَحْرِيفَ قَوْمِ نَجِيِّ اللهِ لِلْكَلِمِ

لِسَانُهُمْ موضِحٌ حَقًّا لِجَهْلِهِمْ ... وَحَالُهُمْ فَاضِحٌ أَسْرَارَ عَقْلِهِم

لَهُمْ خَلاَئِقُ بَيْنَ النَّاسِ مَائِمَةٌ ... لِلْمُقْتَدِي بِهِمْ عَنْ نَهْجِ سَعْدِهِمِ

لاَ يَقْصُدُونَ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ سِوَى الأَمْوَالِ وَالْجَاهِ فِى أَيَّامِ عُمْرِهِمِ

إِنْ عَلَّمُوا الْعِلْمَ أَومُوا لِلتَّكبرِ أَوْ ... تَلَوْا لِأَوْرَادِهِمْ تَاهُوا عَلَى الأُمَمِ

مَا كَانَ هَذَا طَرِيقُ الصَّالِحِينَ وَلاَ ... ائِمَةِ الْعِلْمِ مَنْ فَازُوا بِعِلْمِهِمِ

قَدْ أَفْسَدُوا الدِّينَ وَالدُّنْيَا بِحَيْثُ أَتَوْا ... مَا عَنْهُ نَفَرَ خَيْرُ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

قَدِ اكْتَفَتْ فِى طَرِيقِ الْحَقِّ أَنْفُسُهُمْ ... بِاللَّقَبِ زُورًا وَبِالآبَاءِ بِعِزِّهِمِ

لاَ يُقْبِلُونَ عَلَى شَيْخٍ يُصَحِّحُهُمْ ... عِلْمُكَ عِرْفَانُهُ مِنْ بَعْدِ تَنْعِيمِ

يَا وَيْلَهُمْ مِنْ أُنَاسٍ طَالَمَا اكْتَسَبُوا ... إِثْمًا كَبِيرًا لَقَدْ أَدَّى لِرَدِّهِم

يَا وَيْحَ مَنْ يَدَّعِى حَالاً وَلَيْسَ لَهُ ... نُورٌ بِهِ يَنْجَلِى عَنْ حَالَةِ الظُّلَمِ

يَا وَيْحَ مَنْ ظَنَّ وَصْلاً فِى الطَّرِيقِ وَلَمْ ... يَضَعْ عَلَى هَامَةِ التَّحْقِيقِ لِلْقَدَمِ

يَا وَيْحَ مَنْ يَدَّعِى رُشْدًا وَظَاهِرُهُ ... جَهْلٌ وَبَاطِنُهُ مَيْلٌ إِلَى النِّعَمِ

يَا وَيْحَ مَنْ يَدَّعِى سِرًّا وَتَرْقِيَةً ... وَحَالُهُ كَصَبِيٍّ حَالَةَ الْيُتْمِ

يَا وَيْحَ مَنْ لَمْ تُؤَدِّبْهُ الرِّجَالُ وَلَمْ ... يَكُنْ عَلَى يَدِهِمْ حَقًّا بِمُنْفَطِمِ

يَا وَيْحَ مَنْ يَكْتَفِى جَهْلاً بِوَالِدِهِ ... عَنْ صُحْبَةِ الْعَارِفِ الْمُخْتَصِّ بِالْحِكَمِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ تَابِعًا شَيْخًا يُؤَدِّبُهُ ... فَشَيْخُهُ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ فَافْتَهِمِ

فَقُلْنَ لِمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ عَلَنًا ... فِى سِلْكِ سَادَاتِنَا أَهْلِ الطَّلاَ انْتَظِمِ

عَسَى يَكُونَ لِمَا قَدْ قُلْتَ مُسْتَتِمًا ... لِلاِنْتِظَامِ وَيَحْوِى أَكْبَرَ الْقِسَمِ

وَذُو التَّكَبُّرِ لَمْ يَسْمَعْ وَلَيْسَ لَهُ ... مَيْلٌ إِلَيْهِمْ مَدَى الأَنَامِ إِلَى الْعَدَمِ

رُبَّمَا قَالَ تَأْبِيدًا لِحَالَتِهِ مَاتَ الرِّجَالُ وَلَمْ نَرْغَبْ لِغَيْرِهِمِ

وَمَنْ نَرَاهُمْ فَلَمْ نَخْتَرْ طَرِيقَهُمُ وَلَمْ نَضَعْ كَفَّنَا هَذَا بِكَفِّهِمِ

هَذَا كَقَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَتَى خَيْرُ النَّبِيِّينَ مَبْعُوثًا لِرُشْدِهِمِ

دَعْ عَنْكَ كِبْرَكَ وَالآبَاءَ وَكُنْ رَجُلًا مُشَمِّرًا خَيْرَ قَوَّامٍ وَمُغْتَنِمِ

مُتَابِعًا لِوَلِيٍّ كَامِلٍ فَطِنٍ بَحْرٍ بِعِلْمِ أُولَاكَ الْقَوْمِ مُلْتَطِمِ

أَسْرَارُهُ كَغُيُوثِ السُّحْبِ هَاطِلَةٌ عَلَى مُحِبِّيهِ فِي حَالَاتِ سَيْرِهِمِ

يُدِيرُ كَأْسَ الْهَوَى لِلْعَاشِقِينَ وَيَهْـــوَى اللَّحْنَ فِي الدَّوْرِ أَيْضًا رِقَّةُ النَّغَمِ

يُضْحِي الْمُرِيدِينَ فِي سُكْرٍ وَفِي قَلَقٍ يَمْشُونَ تِيهًا بِهَا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ طَالَمَا زَهِدَتْ لَهَا الْمُرِيدُونَ لِلْأَمْوَالِ وَالْحَشَمِ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ لَوْ رَآهَا فَتًى فِي أُذْنِهِ صَمَمٌ لَا انْفَكَّ عَنْ صَمَمِ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ عِنْدَ شَرْبَتِهَا قَدْ تَنْطِقُ الْبُكْمُ حَالًا بَعْدَ مَا الْبَكَمُ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ لَوْ سُقِيهَا فَتًى لَأَبْصَرَ الْخَلْفَ كَشْفًا مِثْلَ مَا الْأَمَمِ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ كَمْ بِهَا نَظَرَتْ أُولُو الشَّرَابِ لِهَذَا اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ مِنْ جَلَالَتِهَا تَسْعَى الرِّجَالُ لَهَا مَعَ حُسْنِ زُهْدِهِمِ

لِلَّهِ دَرُّ كُؤُوسٍ كَمْ لَهَا خَضَعَتْ مُلُوكُ دَهْرٍ مِنَ الْعُرْبَانِ وَالْعَجَمِ

يَا وَيْحَ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَارٍ لَهَا شَغَفًا مُعَرِّسًا بِمَطَايَا الْعَزْمِ فِي الْخِيَمِ

يَا وَيْحَ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا فِي الزَّمَانِ وَلَمْ يَرَى أَصْحَابَهَا كَالْبَدْرِ فِي الظُّلَمِ

وكان الأستاذ المؤلف رضى الله عنه بمنزله بأم درمان عام تسعة عشر من بعد الثلثمائة والألف وكان بمجلسه أحد الكاملين الفاضلين من أهل محبته أطال الله عمره فى طاعته فقال الأستاد :

نَهَــارُ التَّجَلِّى لِلْقُلُوبِ فَقَدْ ظَهَرْ فَغِبْنَا بِهِ عَنْ كُلِّ شَىْءٍ بِنَا قَرْ

فقال صديقه

وَطِبْنَا بِهِ وَالطِّيبُ قَدْ فَاحَ نَشْرُهُ وَقَدْ أَيْنَعَتْ مِنْهُ الْحَدَايِقُ بِالثَّمَرْ

فقال الأستاذ

وَنَحْنُ بِهِ جَمْعًا نَشَاوَى وَأُذْنُنَــا كَأَنَّ بِهَا عَنْ عَذْلِ عَاذِلِنَا وَقَرْ

فقال صديقه

وَقَدْ غَفَلَتْ عَنَّا الْوُشَاةُ وَأَبْعَدُوا فَطُوبَى لِعَبْدٍ وَاهِبَ الْفَيْضِ قَدْ شَكَرْ

فقال الأستاذ

هَلُمُّوا إِلَيْنَــا أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنَّنَا كِرَامٌ لَنَا زَادٌ لِمَنْ يَقْصِدُ السَّفَرْ

(٥)

وقال رضى الله تعالى عنه

إِنْ رُمْتَ قَلْبَكَ فِى الْغُيُوبِ يَجُولُ وَالْبَاعُ مِنْكَ عَلَى السِّمَاكِ تَطُولُ
وَلِسَانُ نَفْسِكَ لِلْمَعَانِى يَقُولُ اتْبَعْ لِشَرْعٍ جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ
لِمُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ الْمُرْسَلِ

مَنْ يَعْتَقِدْ أَنَّ الْوُصُولَ بِغَيْرِهِ قَدْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِ الْهُدَى فِى سَيْرِهِ
لَا تَقْرَبُوا مِنْــهُ دَعُوهُ لِشَرِّهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ تَبَعًا لَهُ فِى أَمْرِهِ
عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالصَّوَابِ بِمَعْزِلِ

(٦)

وقال رضي الله تعالى عنه

لا يَسْلَمُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى وَلَوْ فِي غَارِ طَوْدٍ قَدْ ثَوَى

اصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ يَعْقُبُ رَاحَةً ... عِنْدَ الْبَلاءِ وَلِلأَذَى شِبْهُ الدَّوَا

(٢)

وقال رضي الله عنه

مَرَّ الْعُجْبُ بِحَوْلِ رَوْضَاتِ الْحِمَا ... فَرَأَى حَمَائِمَهَا تَهِيمُ وَتُطْرَبُ

فَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ مِنْ ذَلِكَ الـ ... ـتَّطْرِيبِ مَعْ دَمْعٍ كَسُحْبٍ يَسْكُبُ

تَرَكَ الْمَنَامَ وَأَكْلَهُ مَعْ شُرْبِهِ ... بِجَحِيمِ شَوْقٍ لِلْفُؤَادِ تُعَذِّبُ

(٣)

وقال رضي الله عنه

إِنَّ أَقْمَارَ الدَّيَاجِي زَادَتِ الْقَلْبَ وَلُوعًا ... أَضْرَمَتْ فِي الْقَلْبِ نَارًا

مِنْ هَوًى أَجْرَى الدُّمُوعَا ... أَخْرَسَتْ مِنِّي لِسَانًا طَالَمَا أَبْدَى بَدِيعًا

(٣)

وقال رضي الله عنه

إِنَّ الْمُلُوكَ هُمُ الَّذِينَ تَصَرَّفُوا ... فِي الْعَالَمِ الْكَوْنِيِّ بِالأَسْرَارِ

وَسِوَاهُمُو فَهُمُ الْعَبِيدُ لَهُمْ وَلَوْ ... مَلَكُوا لِكُلِّ الأَرْضِ وَالأَقْطَارِ

لا تَجْهَلَنَّ مَرَاتِبَ الأَقْطَابِ بِالْـ ... ـحُكْمِ الَّذِي تَنْظُرُهُ بِالأَبْصَارِ

لا يَخْرُجَنْ عَنْ حُكْمِهِمْ شَيْءٌ رَأَتْـ ... ـهُ الْعَيْنُ أَوْ قَدْ مَرَّ فِي الأَفْكَارِ

والطَّيِّبُ الْقُطْبُ الْمُحَقَّقُ مِنْهُمُو ... وَلَهُ التَّصَرُّفُ فِي أُهَيْلِ الدَّارِ

حَيًّا وَلَوْ بَعْدَ الْمَمَاتِ كَمَا بِذَا ... نَطَقَتْ فُحُولُ السَّادَةِ الأَبْرَارِ

(٦)

وقال رضي الله عنه

لَوْ شَاهَدَتْ عَيْنَاكَ طَلْعَةَ زَيْنَبَا ... لَغَدَوْتَ مَخْمُورَ الْجَنَانِ مُغَيَّبَا
وَأَصَمَّ أُذْنٍ عَنْ كَلَامِ عَوَاذِلٍ ... جَهِلُوا الْغَرَامَ وَمَنْ لَهُ قَدْ أَصْحَبَا

(٢)

(وقال رضي الله عنه)

الْحُرُّ لا يَخْلُو مِنَ الأَعْدَاءِ ... حَتَّى وَلَوْ قَدْ كَانَ ذَا أَنْبَاءِ
لاَ يَسْتَرِيحُ مِنَ الأَنَامِ شَقِيُّهُمْ ... فِي عُمْرِهِ فِي صُبْحِهِ وَمَسَاءِ
إِلَّا بِإِذِيَةِ عَالِمٍ أَوْ صَالِحٍ ... لِلَّهِ بِالْقَلْبِ الْمُنَوَّرِ رَاءِ
أَوْ فَاضِلٍ أَوْ كَامِلٍ أَوْ ذَاكِرٍ ... أَوْ شَاكِرٍ لِلَّهِ فِي الآنَاءِ
أَوْ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ وَمُهَذَّبٍ ... أَوْ سَالِكٍ لِطَرِيقَةِ الْبُدَلَاءِ
وَتَرَاهُ مَشْغُولَ الْفُؤَادِ فَلاَ يَرَى ... أَحْلَى مِنَ الإِنْكَارِ فِي الْفُضَلَاءِ
وَيَكَادُ إِنْ ذُكِرُوا بِسُوءٍ فِي الْمَلاَ ... يَهْتَزُّ مَعْ فَرَحٍ وَحُسْنِ رِضَاءِ
وَيَوَدُّ مِنْ بَيْنِ الأَنَامِ هَلاَكَهُمْ ... أَوْ ذُلَّهُمْ فِي سَائِرِ الْغَبْرَاءِ
وَكَذَاكَ فِي أَحْيَانِهِ أَلَّا يَرَى ... أَحَدًا عَلَيْهِ دَلاَئِلُ النَّعْمَاءِ
وَلَدَيْهِ إِنْ ذُكِرَ امْرُؤٌ بِالْخَيْرِ لاَ ... يَلْتَذُّ فِي لَيْلٍ وَلاَ فِي ضُحَاءِ
وَتَرَاهُ مُسْوَدَّ الْمُحَيَّا ظَاهِرًا ... وَفُؤَادُهُ مِنْ حَرِّهِ كَلَظَاءِ
وَإِذَا لَهُ يَوْمًا نُهِيتَ عَنِ الَّذِي ... فِي نَفْسِهِ مِنْ حَالَةِ الأَسْوَاءِ
أَرَاكَ بِالنُّقْصَانِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى ... مَعْ شَتْمِهِ لَكَ مُدَّةَ الإِحْيَاءِ
وَلَرُبَّمَا قَدْ سَلَّطَ السُّفَهَا عَلَيْكَ ... لِيَشْتُمُوكَ بِأَلْسُنٍ فَحْشَاءِ
لاَ يَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَنْ رَأْيٍ لَهُ ... يَهْوَى وَلَوْ مِنْ أَقْبَحِ الآرَاءِ

بكلام رب العالمين وما روى   عن أشرف الشرفاء والشفعاء
لا يستدل إذا استدل بغير معـ   ـنى عند أرباب النهى كهباء
لفظا بلا معنى يلذ لسامع   إلا لذى جهل من الجهلاء
وتجده يوهم للجهول من الورى   بمقال جهل ظاهر الإغواء
ولما ادعاه من الكمال وغيره   وفخاره بسوابق الآباء
مع ما له ما شمت من أخلاقه   وكلامه فى السادة الفضلاء
هذا ومن فى العالمين مثاله   قد أفسدوا للدين بالأهواء
حتى ولو عرفوا المذاهب كلها   وبكوا بدمع العين كالنجباء
لا تقربوهم فى الزمان فإنهم   من أقبح الضلال والأعداء
ولهم علامات سأجليها لمن   فى قلبه نور وحسن ذكاء
وبها استدل من الورى من يستدل   عليهم فى شدة ورخاء
نبذ الشريعة خلف ظهرهم مع الـ   ـدعوى لها فى السر والنجواء
وكذاك رؤيتهم لكل الناس دو   نهم مع الحال الردى النائى
جعلوا الطريق على هواهم والذى   أبدى لها فهم أهيل شقاء
لا يرتضون سوى مشايخهم من الأشياخ   أهل الرتبة القمساء
أيضا ولا من فى الورى متمسكا   بحبال غيرهم بحسن وفاء
لا يقبلون النصح من أحد ولو   من أكبر الصلحاء والعلماء
لعبت بعقلهم الشياطين التى   كفرت برب الأنبيا مولائى
فنهارهم مع ليلهم فى ذم أقـ   ـوام على أقدام أهل ولاء

يا ويلهم من فرقة ضلت عن الد　　　ين القويم طريقة السعداء

ملأوا الزمان تلاعبا وملاهيا　　　ومقالة كالحوت بين الماء

لا يعرف الإنسان نحا مرادهم　　　إلا امرءا ذا فطنة وذكاء

وليحذر الإنسان منهم ما استطا　　　ع ومن لهم يعزى من السفهاء

(٣٨)

وقال رضي الله عنه

طريقتي أحمد المختار في القال　　　هذا وفي سائر الأفعال والحال

ومن يظن غير ما قد قلته سفها　　　بنا فذاك عدو سيئ البال

وكيف مثلي من بين الأنام يكن　　　على خلاف لهذا المنهج العال

أنا العدو لمن في الناس خالفه　　　في أي شيء مدى غدو وآصال

لولا ارتفاع مقامي ما نحا أحد　　　قولا يفيد احتقاري بعد إجلال

بشرع أحمد من لولاه ما طهرت　　　لنا السرائر من رجس وإضلال

بئس الحواسد من لا زال حالهم　　　مدى الزمان على سوء من القال

قبلي لقد حسدوا من كان منزله　　　أعلى ولله هذا خير وصال

وسادة كبرا للدين قد شهروا　　　في كل قطر بأقوال وأفعال

لي أسوة بهم فيما بنا وصفوا　　　حواسدي بلسان كاذب قال

يدعو بقولهم حالي وحالهم　　　لا زال دون مقامي الأشرف العال

وقال رضى الله عنه

لقدلعبت بنا الزرجون كريح رنحت لغصون ومنها القلب كالمجنون أدرها لى أيا ساق
عجوز أعجزت وصفا وبكر قد حلت رشفا حمى أورثت لهفا أدرها لى أيا ساق
مدام ذكرها قد دام سلاف تبرئ الأسقام عقار تطرب الاقوام أدرها لى أيا ساق
وراح للنفوس يريح بها قد جاد كل شحيح كذا يلتذ كل مليح أدرها لى أيا ساق
رحيق تسكر الألباب وتدخلها حمى الأحباب وتدنى الصب للوهاب أدرها لى أيا ساق
وسلسال فلا نسلوها فى أعمارنا فسلوا وعنها القلب لا يخلو أدرها لى أيا ساق
كذلك زنجبيل فى قلوب العاشقين وفى شراب كئوسها شغفى أدرها لى أيا ساق
وجريال لنا تجرى فيوص معارف السر لها عشاقنا تسرى أدرها لى أيا ساق
وخمر تسكر الشارب فكم لعبت بذى شارب وسيف سكره ضارب أدرها لى أ يا ساق
كذلك خندريس هى تشير لنا لها ولهى نهى عن سوا ها نهى أدرها لى أيا ساق
طلا طالت فلا يصلوا إليها غير من دخلوا .خلا وفيها قد عملوا أدرها لى أيا ساق
بها قد هامت الأملاك وعباد كذا نساك وأقطاب كما الأفلاك أدرها لى أيا ساق
بها الجيلانى كم قال مقالا منه ما بال وبين الأوليا طال أدرها لى أيا ساق
وشيخ طريقنا البكرى بها قد صار كالبدر وأسكن كل ذى حجر أدرها لى أيا ساق
بها السمان كم أسقا مريداً صادقاً حقاً وفتق كشفه رتقا أدرها لى أيا ساق
وطيبنا بها قد طاب وعن كل الآلى قد ناب بها كم هيج الأحباب أدرها لى أيا ساق
وصلى الله ما هاما بها من فى الورى داما على خير امرىء قاما أدرها لى أيا ساق
وعلى آله ثم أصحاب كرام خير أصحاب فهم كنزى وأحبابى أدرها لى أيا ساق

(٣٦)

وقال رضى الله عنه

أقولُ لِمَنْ لِي بَاتَ فى النَّاسِ حَاسِدًا تَرَقَّبْ سِهَامًا لَيْسَ تُخْطِى فُؤَادَ كَا
أَلَا تَخْشَ من خُدَّامِ لَيْلَى وَبَأْسِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ذَالِكَا
أَلَا تَخْشَ مِن غَارَاتِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ وَبَطْشِهِمْ فِي لَيْلَةٍ أوْ نَهَارِكَا
فَإِنْ لَمْ تَتُبْ فَالْأُسْدُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ إذا وَثَبَتْ كَالْمحِ تَخْرِبُ دَارَكَا

وَقَبْلَكَ كَمْ مِنْ حَاسِدٍ وَمُعَانِدٍ فَصَارُوا أَحَادِيثًا بِسَهْمٍ أُولَئِكَا
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى مِنْ خُوَيْدِمٍ هَالِكٍ فَكَيْفَ بِمَنْ فِي اللهِ أَحْيَا الْحَوَالِكَا
شُجَاعٌ عَلَى ذَمِّ الْأَحِبَّةِ فِي الْوَرَى، وَأَمَّا سِوَاهُمْ لَسْتَ فِيهِمْ كَذَلِكَا
تُسَرُّ بِمَنْ فِي غَفْلَةٍ وَضَلَالَةٍ وَتَنْبِذُ مَنْ للهِ كَانَ وَرَاءَكَا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ مَفَاسِدِكَ الَّتِي شَقِيتَ بِهَا حَقًّا هُنَا وَهُنَالِكَا
وَلَوْ كُنْتَ فِي حُبِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَى قَدَمٍ مَا كَانَ ذَلِكَ حَالَكَا
فَمَا لَكَ عُذْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ فِي غَدٍ إِذَا اغْتَاظَتِ النِّيرَانُ وَالْأَمْرُ هَالِكَا

(١١)

وقال رضي الله عنه

حُسَّادُنَا الْيَوْمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي ضَجَرٍ عَنَّا وَأَحْوَالُهُمْ تُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ
كَأَنَّ فِي جَوْفِهِمْ نَارًا قَدِ الْتَهَبَتْ بِمَا نَرَى مِنْ حِنَاقٍ فِيهِ مُسْتَتِرِ
وَلَيْسَ مِنِّي لَهُمْ شَيْءٌ فَيَضْجَرُهُمْ سِوَى التَّكَرُّمِ فِي الْآصَالِ وَالْبُكَرِ
وَتَقْضِنَا لِظُنُونٍ فِي قُلُوبِهِمْ بِحُسْنِ خُلْقٍ وَقَوْلٍ وَهْوَ كَالدُّرَرِ
يَأْتُونَنَا مِثْلَ زُوَّارٍ بِنَا اتَّصَلُوا وَالْقَلْبُ أَقْصَى مِنَ الْمِرِّيخِ وَالْقَمَرِ
لَهُمْ عَلَامَاتٌ فَالرَّائِي يُمَيِّزُهُمْ بِهَا وَلَوْ لَحْظَةً بِالْمَنْظَرِ الْبَصَرِي
فَالْبَعْضُ مِنْهُمْ مُسِرٌّ لِلْعَدَاوَةِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْهَا كَامِلُ الْحَذَرِ
قَدْ أَفْسَدُوا لِمَقُولِ الْمُذْعِنِينَ لَهُمْ مِنَ الْبَرِيَّةِ مِنْ أُنْثَى وَمِنْ ذَكَرِ
كَمْ يَلْبِسُونَ لِحَقٍّ فِي حَقِيقَتِنَا بِبَاطِلٍ عَنْهُ حَالِي فِي الزَّمَانِ بَرِي
وَكَمْ أَشَاعُوا لِأَقْوَالٍ بِهَا قَصَدُوا هَلَّا كُنَّا عِنْدَ أَهْلِ الْحُكْمِ فِي الْعَصْرِ
وَكَمْ إِلَى جِهَةٍ فِينَا لَقَدْ كَتَبُوا بِمَا يَشِينُ وَيَمْحُو عِنْدَهَا أَثَرِي

وَكَمْ لَنَا وَصَفُوا لِلسَّـــامِعِينَ بِمَا ... يُفْضِي إِلَى الخِزْيِ والنُّقْصَانِ وَالضَّرَرِ
لا يَرْغَبُونَ سِوَى مَنْ ذَمَّنَا لَهُمُ ... بَيْنَ الْبَرِيَّةِ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرِ
فَذَمُّنَا عِنْدَهُمْ أَحْلَى وأَعْذَبُ مِنْ ... شُهْدٍ وَمِنْ دِبْسِ الْأَثْمَارِ وَالثَّمَرِ
لَوْ يَسْمَعُونَ ثَنَا شَخْصٍ لِحَضْرَتِنَا ... لَمْ يَأْلَفُوهُ وَلَوْ مِنْ أَكْمَلِ الْبَشَرِ
فَضْلاً عَنِ الْوُدِّ فِيهِ أَوْ سَمَاعِهِمْ ... فِيهِ ثَنَا أَوْ قَضَا شَيْءٍ مِنَ الْوَطَرِ
حَارَ الأَنَامُ جَمِيعًا فِي اشْتِغَالِهِمِ ... بِي فِي الزَّمَانِ بِقَوْلٍ بَيِّنِ الْكَدَرِ
ولَمْ يَرَوْهُ سِوَى مِنْ فِتْنَةٍ لَهُمُ ... صَدَّتْهُمُ عَنْ طَرِيقِ السَّادَةِ الْغُرَرِ
جِنِّيَّةٍ بَلْ بِهَا جُنُّوا عَلَى سَفَهٍ ... بِحَيْثُ لَمْ يُذْكَرُوا فِي مَجْلِسِ الْخِيَرِ
إِلَّا بِنَقْصٍ وَحَالٍ فَاضِحٍ لَهُمُ ... بَيْنَ الْأَلِبَّاءِ مَرْدُودٍ وَمُحْتَقَرِ
لَهُمْ خِدَاعٌ لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ حِيَلٌ ... لِيُوهِمُوا فِي الوَرَى مَنْ كَانَ ذَا قِصَرِ
فَإِنْ رَأَوْا مَنْ لَهُ مَيْلٌ لَنَا مَدَحُوا ... وَأَظْهَرُوا الْوُدَّ فِي وَجْهٍ مِنَ الْغَرَرِ
وإِنْ رَأَوْا غَيْرَ هَذَا أَبْدَلُوهُ وَمَا ... لُوا لِلْمَذَلَّةِ والْإِيعَادِ بِالضَّرَرِ
وَلاَ أَرَى أَبَدًا شَيْئًا يُعَامِلُهُمْ ... فِينَا سِوَى حَالَةِ الْحِرْبَاءِ فِي النَّظَرِ
بِهِمْ تَلَاعَبَتِ الأَهْوَا وَأَفْسَدَهُمْ ... إِبْلِيسُ هَذَا بِقَوْلٍ وَاضِحِ الْخَطَرِ
لَهُمْ جَوَاسِيسُ لاَ زَالَتْ بِمَجْلِسِنَا ... يُرَاقِبُونَ لَنَا فِي الْمُكْثِ وَالسَّفَرِ
وَيَنْقُلُونَ لَهُمْ مَا فِيهِ لِي ضَرَرٌ ... بِزَعْمِهِمْ عِنْدَ ظَلَّامٍ وَمُقْتَدِرِ
فَكَمْ عَزَوْا لِي أَقْوَالاً بِفِرْيَتِهِمْ ... لِفِتْنَةٍ عِنْدَ مَنْ بَيْنَ الأَنَامِ جَرِي
نَظْمًا وَنَثْرًا وَلَمْ يَخْشَوْا الْعِقَابَ غَدًا ... بِذَاتِ حَرٍّ شَدِيدٍ ظَاهِرِ الشَّرَرِ
بِذَا يُرِيدُونَ إِطْفَائِي وَمَنْقَصَتِي ... وَمَحْوَ مَنْهَجِنَا مُحْيِي النُّهَى الْعَطِرِ

يَا وَيْلَهُمْ مِنْ مَقَالَاتٍ بِهَا وَقَعُوا ... فِينَا مُعَارَضَةً لِلوَصفِ بِالْخَطَرِ

لَهُمْ مَعَ الْكَذِبِ فِينَا حَالَتَانِ هُمَا ... شَمَاتَةٌ حَسَدٌ قَدْ أَضْنَى لِلصُّوَرِ

عِنْدَ الْمُصِيبَةِ فَالْأُولَى أَمَارَتُهُمْ ... وَأُخْتُهَا عِنْدَ خَيْرٍ لَاحَ لِلْبَصَرِ

اللّٰهُ حَسْبِيَ مِنْهُمْ فِي الزَّمَانِ وَأَوْ ... لَادِي وَصَحْبِي جَمِيعًا مُدَّةَ الْعُمُرِ

(٣٤)

وقال رضى الله عنه مخمساً بيتين لبعض العارفين

لِطَاعَةِ اللّٰهِ مَا أَقْبَلْتُ فِي حِجَجِي ... وَلَيْسَ تَنْفَعُنِي يَوْمَ الْقَضَا حُجَجِي

أَقُولُ مُنْكَسِرًا وَالدَّمْعُ كَاللُّجَجِ ... لَا أَبْرَحُ الْبَابَ حَتَّى تُصْلِحُوا عِوَجِي

وَتَقْبَلُونِي عَلَى عَيْبِي وَنُقْصَانِي

مَالِي سِوَاكُمْ لِكَشْفِ الْهَمِّ وَالْأَسَفِ ... وَلَا لِمَحْوِ ذُنُوبٍ سَوَّدَتْ صُحُفِي

ظَنِّي جَمِيلٌ وَعَنْكُمْ غَيْرُ مُنْصَرِفِ ... فَإِنْ رَضِيتُمْ فَيَا عِزِّي وَيَا شَرَفِي

وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَمَنْ أَرْجُو لِعِصْيَانِي

(٦)

وقال رضى الله عنه

الْأَوْلِيَا يَتَطَوَّرُونَ مِنَ الْبَشَرْ ... كَقَضِيبِ بَانِهِمِ الْوَلِيُّ الْمُشْتَهَرْ

فِيمَا لَهُ شَاءُوا مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي ... مِنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ كَآسَادِ الشَّجَرْ

وَمَلَائِكُ الرَّحْمَنِ تِلْكَ فَلَا اقْتِـ ... ـدَارَ لَهُمْ عَلَى هَذَا لَدَى أَهْلِ النَّظَرْ

يَعْنِي التَّطَوُّرَ مِنْهُمُ فِي مِثْلِهِمْ ... حَتَّى وَلَوْ جِبْرِيلَ سَيِّدَنَا الْأَغَرْ

كُنْ عَالِمًا بِالْأَوْلِيَاءِ وَدَعْ كَلَا ... مَ الْجَاهِلِينَ بِحَالِهِمْ جَالِي الْكَدَرْ

وقد رفع إلى الأستاذ رضى الله عنه سؤال فيمن وقع فى أعراض علماء الشريعة بالسب والأذى ، فكتب بعد جواب هذا السؤال هذه الأبيات :

مَنْ سَبَّ أَهْلَ شَرِيعَةِ الْمُخْتَارِ ... فَهُوَ الْعَدُوُّ لِدِينِهِ الْمُخْتَارِ

لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ أُهَيْلِ النَّارِ مَعْ ... أَمْثَالِهِ وَايْعَةِ الْفُجَّارِ

وَعَلَيْهِ يَحْكُمُ مَنْ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ... قَامُوا بِهِ فِى الْبَدْوِ وَالْأَمْصَارِ

لَا خَيْرَ فِيهِ وَفِى الَّذِينَ لِقَوْلِهِ ... مَالُوا وَلَوْ كَلُمَيْحَةِ الْأَبْصَارِ

فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ رَبِّنَا وَالْمُرْسَلِ ... ينَ مِنَ الْإِلٰهِ بِكَامِلِ الْأَسْرَارِ

وَمَلَائِكِ السَّبْعِ الطِّبَاقِ جَمِيعِهِمْ ... وَالنَّاسِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ نَارِى

(٦)

وقال رضى الله عنه

يَا مَنْ تَبِعْتُمْ لِأَهْوَاءِ الْمَلَاعِينِ ... فِى بُغْضِهِمْ لِعَظِيمِ الْمَنْهَجِ الدِّينِى

لَا تَمْنَعُوا الْقَوْمَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْ ... أَذْكَارِ حَالَةَ تَحْرِيكٍ وَتَسْكِينِ

دَفَنْتُمُو خَيْرَ دِينٍ جَا بِوَاسِطَةِ الْ ... أَمِينِ نَامُوسِ رَبِّ الْعَرْشِ جِبْرِينِ

إِلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ الرُّسْلِ قَاطِبَةً ... رَبِّ الْخَوَارِقِ وَضَّاحِ الْبَرَاهِينِ

بِقَوْلِ جَهْلٍ وَتَزْيِينٍ وَوَسْوَسَةٍ ... مِنْ أَوْلِيَائِكُمْ هَاذِى الشَّيَاطِينِ

مَعْ أَنَّكُمْ تَدْعُونَ الْحَقَّ وَهْوَ لَكُمْ ... يَأْبَى وَحَقِّ رَسُولِ اللهِ يَاسِينِ

لَا زِلْتُمُو تَبْحَثُونَ عَنْ حَقِيقَتِنَا ... مَعْ أَنَّهَا كُلَّهَا فِى اللهِ بَارِينِى

جَهِلْتُمُو دِينَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَعْرِفَةٍ ... كُنْتُمْ عَلَيْهَا بِلَا ظَنٍّ وَتَخْمِينِ

وَالْآنَ جَمْعُكُمْ قَدْ صَارَ مُتَّفِقًا ... عَلَى كَرَاهَةِ دِينٍ مُنْجِى فِى الدِّينِ

بَغَضْتُمُو ذِكْرَ رَبِّ الْكُلِّ خَالِقِكُمْ ... وَأَهْلَهُ مَنْ بِهِ نَالُوا لِتَمْكِينِ

وإن رأيتم له لم يرض عقلكم ... غير الفرار وبعد عنه في الحين

وإن رأيتم لآلات السفاهة لم ... تبدوا سوى البسط مع حال التحاسين

أبعد هذا تريدون السعادة بل ... أنتم وتالله من أصحاب سجين

ألستمو تعلمون الله خالقكم ... وباري عنصركم من لازب الطين

ما قولكم يوم يأتي الله في ظلل ... من الغمام لدى نصب الموازين

(٥)

وقال رضى الله عنه

يا مدعين وصولاً قبل توبتكم ... دعواكم هذه من أعجب العجب

هل لا استحيتم إله العرش خالقكم ... من دعوة الزور والبهتان والكذب

أتدعون ولم يبرح فؤادكم ... عن حالة اللهو في الأزمان واللعب

أتدعون وما زالت نفوسكم ... على الجهالة في شرع النبي العربي

أتدعون لأمر وهو قد قصرت ... عن نيله سادة كانوا على أدب

أتدعون لأمر لم ينله فتى ... غير امرىء زاهد للجاه والنشب

أغضبتم الله بالدعوى وكذبكم ... وميلكم لشريف الفخر والرتب

أضحكتمو ذلك الشيطان خصمكم ... يا ويلكم يوم كشف الستر من كرب

أحوالكم كلها في غير نفعكم ... دنيا وأخرى بلا مين ولا ريب

برزتمو بجهالات منوعة ... للخلق تدعو بها بالجهل للسبب

أحوالكم كعوام الناس ويحكم ... وقربكم ليس فيه غير ما الطلب

شغلتم الجهلا كذبا بنهجكم ... للجاه والمال لا لله في الحق

لا عِلْمَ عِنْدَكُمْ يَحْلُو لِسَامِعِهِ ... لاَ ذَوْقَ لاَ نَظْرَةَ تَهْدِى إِلَى القُرَبِ
لاَ صِدْقَ لاَ شَوْقَ فِي المَوْلَى وَلاَ أَدَبًا ... لاَ وَرَعَ لاَ زُهْدَ لاَ إِخْلاَصَ فِي الطَّلَبِ
لاَ شَيْخَ نِلْتُمْ بِهِ فَتْحًا وَمَعْرِفَةً ... وَلاَ سُلُوكًا عَلَى وَجْدٍ عَلَى تَعَبِ
لا خَيْرَ فِيكُمْ وَلاَ فِي التَّابِعِينَ لَكُمْ ... مِنَ الْبَرِيَّةِ مِنْ عُجْمٍ وَمِن عَرَبِ
عَلَّمْتُمُوهُمْ لِحَالٍ فَاضِحٍ لَكُمْ ... وَمَا لَهُ شَاهِدٌ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ
تَرْكَ الْمُرَاعَاةِ لِلشَّرْعِ الْمُحَمَّدِى مَعْ ... تَطَلُّبِ المَالِ مِن أَهْلِيهِ بِالْغَضَبِ
إِنْ نِلْتُمُو قُلْتُمُو هَذَا سَعِيدٌ وَإِلَّا ... لاَ وَهُوَ ذُو شِقْوَةٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبِ
وَتُوعِدُونَ لِمَنْ لَمْ يَقْضِ مَأْرَبَكُمْ ... بِالمَوْتِ أَو بِشَتَاتِ المَالِ وَالْوَصَبِ
تُوبُوا إِلَى اللهِ هَذَا قَبْلَ مَوْتِكُمُ ... وَقَبْلَ إِلْقَائِكُمْ فِي النَّارِ كَالْحَطَبِ

(٢١)

* * *

قد احتوى هذا النصف الماضى منه على ألفين وعشرين بيتاً وهو الجزء الاول والذى يليه هو الجزء الثانى من الديوان ومطلعه : محياك ياليلى بدور طوالع

دعاء مأثور عن سيدى ومولانا الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه :

إِلٰهِي نَعَّمْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِرًا . وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِرًا . فَلاَ أَنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ لِعَدَمِ الشُّكْرِ . وَلاَ أَنْتَ أَدَمْتَ الْبَلْوَى لِعَدَمِ الصَّبْرِ . إِلٰهِي لاَ يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلاَّ الْكَرَمُ .

روى هذا الدعاء من السيد سليمان حلمى حسين

فهرست الجزء الأول من شرب الكاس